مؤسسة نواصري للطباعة والنشر

نواصري
للطباعة والنشر

المسيلة في : 2022/06/09

شهـــادة نشـــــر

يشهد مسؤول مؤسسة نواصري للطباعة والنشر الكائن مقرها بـــ حي تعاونية الشيخ المقراني بالمسيلة بأن :

د: موشموش محمد، قد نشر له كتاب جماعي تحت عنوان **(أبحاث أكاديمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية)**،

تحت رقم **(ISBN : 978-9931-749-39-4)** ديسمبر 2020.

وذلك بناءا على عقد النشر الممضى مع المعني.

ملاحظة: قدمت هذه الشهادة لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

مسؤول المؤسسة

نواصري للطباعة والنشر
تعاونية الشيخ المقراني
المسيلة
ت: 28/01 - 28497811

العنوان: تعاونية الشيخ المقراني، طريق إشبيليا- المسيلة هاتف/ فاكس: 035.35.31.08 البريد الالكتروني: imp.nouasri@gmail.com

فرقة بحث: إقليم الحضنة دراسة
أنثروبولوجية واجتماعية عبر التاريخ

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست

أبحاث أكاديمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

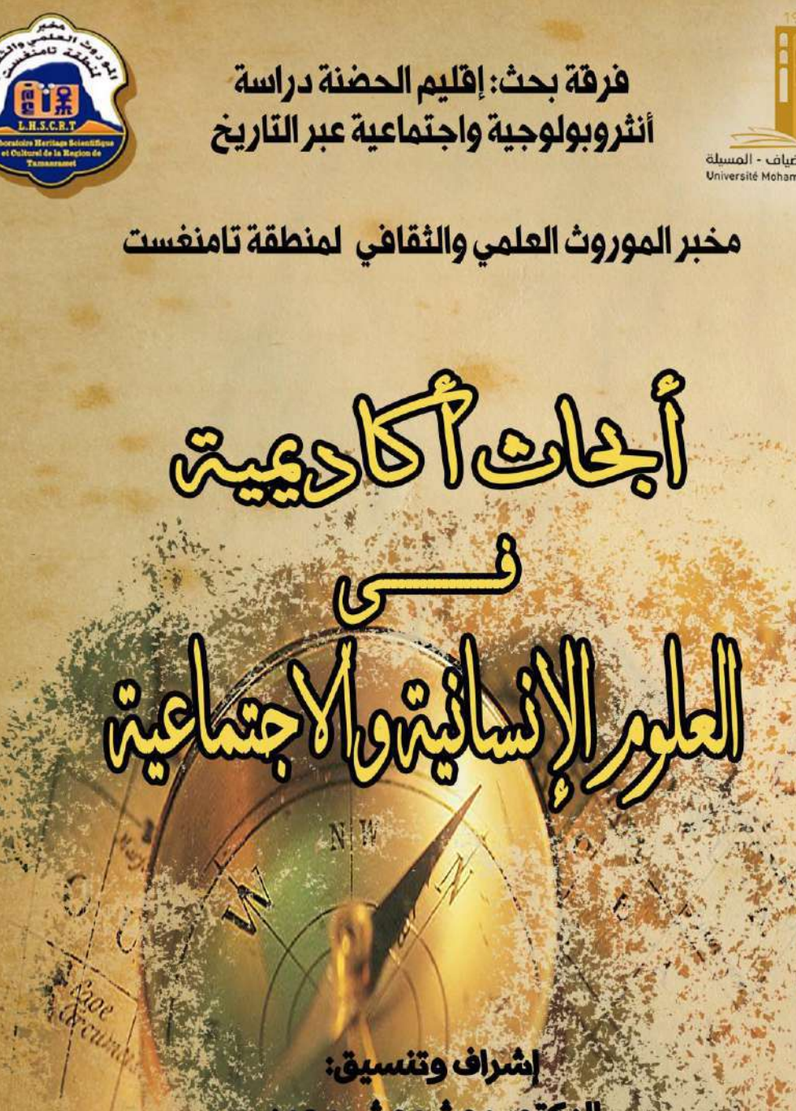

إشراف وتنسيق:
الدكتور موشموش محمد

التقديم:
الدكتور عبد الفني حروز

المراجعة اللغوية:
الدكتور كشرود علي

أبحاث أكاديمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

العنوان: حي تعاونية الشيخ المقراني -إهبيليا- مقابل جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - الجزائر.
تلفاكس: 035.35.31.08 imp.nouasri@gmail.com

ISBN: 978-9931-749-39-4
الإيداع القانوني:
ديسمبر 2020
نواصري للطباعة والنشر

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
فرقة بحث: إقليم الحضنة دراسة
أنثروبولوجية واجتماعية عبر التاريخ

مخبر الموروث العلمي والثقافي
لمنطقة تامنغست

أبحاث أكاديمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

إشراف وتنسيق:
الدكتور موشموش محمد

التقديم:
الدكتور عبد الفني حروز

المراجعة اللغوية:
الدكتور كشرود علي

بسم الله الرحمن الرحيم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ." رواه مسلم (931)، باب الوقف.

هيئة التحرير والتأليف

الدكتـور بوزرينـــة سعيـد أستاذ محاضــر(أ)

الدكتور حروز عبد الغني أستاذ محاضر(أ)

الدكتــور سرحـان حليم أستاذ محاضــر(أ)

الدكتور شاكي عبد العزيز أستاذ محاضر(أ)

الدكتــور شـرف موسـى أستاذ محاضــر(أ)

الدكتـورة صاحبـي وهيبة أستاذ محاضـر(أ)

الدكتــور كشـرود علــي أستاذ محاضـر(أ)

الدكتــور لخضــر العربـي أستاذ محاضـر(أ)

الدكتور موشموش محمد أستاذ محاضر(أ)

الدكتــور مياطــة تيجانــي أستاذ محاضر(أ)

الدكتــورة نوادري فريدة أستاذة محاضـر(أ)

الأستاذة موشموش أسية أستاذة مساعدة (أ)

الأستاذ شاكــي عبــد العزيز أستــاذ مساعد

الطالب علي صوشة المداني (دكتوراه علوم)

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

فرقة بحث: إقليم الحضنة دراسة أنثروبولوجية واجتماعية عبر التاريخ

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست

اسم الكتاب :أبحاث أكاديمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

الكتاب رقم: 05 من سلسلة الكتب الأكاديمية لفرقة البحث :إقليم الحضنة دراسة أنثروبولوجية واجتماعية عبر التاريخ.

إشراف وتنسيق : د /محمد موشموش

تقديم : د /عبد الغني حروز.

المراجعة اللغوية : د /علي كشرود

طبعة أولى: ربيع الأول 1442 هـ / نوفمبر2020 م

ردمك: ISBN : 978-9931-749-39-4

عدد الصفحات :265 صفحة

الناشر :نواصري للطباعة والنشر

إيميل: imp.nouasri@gmail.com

العنوان :حي تعاونية الشيخ المقراني – إشبيليا – مقابل جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر.

جميع الحقوق محفوظة

نواصري
للطباعة والنشر

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم به نستعين، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم أما بعد:

مصداقا لقوله صلى الله عليه سلم: " **إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَه** ". (رواه مسلم)، فإننا نَعد هذا العمل العلمي الجماعي من باب الصدقة الجارية كونه سيقدم إضافة لحقل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويعكس لطلبتنا الأعزاء في جامعة محمد بوضياف بالمسيلة وبقية الجامعات الجزائرية اهتمامات بعض الزملاء من خلال هذه البحوث.

ولقد آثرنا أن يكون هذا الكتاب مفتوحا على موضوعات مختلفة غير مقيدة بمحور معين، غير أنها

تدور كلها في فلك رسالة التعليم العالي، فهي بحوث أكاديمية مختلفة مثل التاريخ وعلم الاجتماع والأدب واللغة وعلم المكتبات، حتى يصل الكتاب إلى شرائح طلابية وعلمية واسعة، آملين مدن يقرأ

هذا العمل أن يستفيد منه ويفيد غيره به.

هذا وقد نسجت المداخلات ضمن محاور متنوعة، في التاريخ القديم والوسيط والحديث والمعاصر، وعلم الآثار، إضافة إلى اللغة وعلم الاجتماع والعمل الأرشيفي، وأملنا أن يجد كل باحث وقارئ ضالته ضمن هذا المؤلف، وأُقر في الأخير أن المجهود الكبير في استقبال المداخلات، وتصفيفها ومراجعتها وتدقيقها قد بذله الدكتور علي كشرود والدكتور محمد موشموش، فلهما منا كل الشكر والتقدير، وجعل الله سبحانه وتعالى ذلك في ميزان حسناتهما، كما لا يفوتني أن نثني ونشكر الزملاء على ما قدموه في انجاز هذا العمل. هذا ونسأل الله تعالى السداد والتوفيق.

الدكتور : عبد الغني حروز

حمام الضلعة في يوم السبت: 30 صفر1442هـ

الموافق لـــ 11 أكتوبر 2020م

فهرس المواضيع

دوْرُ المجامِعِ اللُّغويَّةِ في تطْويرِ اللُّغةِ العربيّةِ، ورَقْمنَتِها 3–20

الدّكتور: كشرود.علي

جزيرة صقلية بين الوجود الإسلامي والغزو النورماني 21–33

الدكتور: عبد الغني. حروز

شروط اِختيار مواضع المدن وتطبيقاتها على مدن المغرب الأوسط 34–60

الدكتور: موشموش. محمد

معركة حصن لييط بالأندلس على عهد المرابطين..... 61–70

الدكتور: عبد العزيز. شاكي

مكانة الفلاحة في المجتمع الزياني (07 – 10هـ/ 13 – 16م)..... 71–89

الدكتور: لخضر. العربي

زاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة وطرازها المعماري 90–114

الدكتور: بوزرينة. سعيد

أزياء فرقة النصارى في جيش السلطان 115–134

يغمراسن زيان (633–681هـ/1235–1282 م).

الدكتور: سرحان. حليم

الحفاظ على التراث المعماري في الجزائر ودوره في تحقيق التنمية الاِقتصادية المستدامة 135–151

الدكتور: التجاني. مياطه

المعالم التاريخية الجزائرية إبان فترة الاِحتلال الفرنسيّ 152–166

منطقة الأوراس –نموذجا–

الدكتورة: صاحبي. وهيبة

من أساليب الإعداد لِلثورة والكفاح الوطني لدى جمعية العلماء المسلمين 167–186

التربية والتعليم –نموذجا–

الدكتور: شرف. موسى

رؤية في بناء المجتمع في فكر عبد الحميد بن باديس 200–189
الدكتورة: نوادري. فريدة
وظيفة الأرشيف في وزارة الثقافة الجزائرية 230–201
الأستاذة: موشموش. آسيا
سيرورة الهجرة من الريف إلى المدينة 241–231
الأستاذ: شاكي. عبد العزيز
علاقة القبائل الليبية بمصر (3500–1150 ق.م) 261–242
المداني علي. صوشة

دوْرُ المجامِعِ اللُّغويَّةِ في تطْويرِ اللُّغةِ العربيّةِ، ورَقْمنَتِها.

الدّكتور: كشرود عليّ

أستاذ محاضر "أ"

جامعة الجزائر –2–

Kechroud-ali@hotmail.fr

دوْرُ المجامِعِ اللُّغويَّةِ في تطْويرِ اللُّغةِ العربيّةِ، ورَقْمنَتِها.

مدْخَل

أوَّلُ ظهورٍ لِلْهيئَةِ المسمّاةِ بـ: (المجْمَعِ اللُّغويّ) فيْ العصْرِ الحديثِ حسَبَ ما يُصرّحُ بِه أهْلُ الاِخْتصاصِ، كانَ عامَ 1635م، حينَ اِسْتصْدرَ الأديبُ والسِّياسيُّ الفرنْسيُّ ريشليو[1] أمْرًا ملَكيًّا بإنْشاءِ ما يُعْرَفُ بِالأكاديميَّةِ الفرنْسيَّةِ الّتيْ أُسْنِدَتْ إليْها مَهمَّةُ إعْدادِ مُعْجمٍ شامِلٍ، وسَنِّ القواعِدِ الجامعةِ لِعلْمِ البلاغةِ، والعَروضِ، والنّحْوِ، والإمْلاءِ. وبعْدَ رُبْعِ قرْنٍ منَ الزّمنِ، أُنْشئَتْ بإنْجلترا الجَمعيَّةُ العلْميَّةُ الملَكيَّةُ، لِتلِيَها الأكاديميّتانِ الألْمانيّةُ والرُّوسيّةُ اللّتانِ اِصْطبَغتا بِالطّابعِ العلْميّ الدّقيقِ. هذا، وقدْ تأثّرَ العالَمُ العربيُّ بِبُروزِ هذهِ الأكاديميّاتِ وبِوجْهٍ خاصٍّ: الأكاديميّةُ الفرنْسيّةُ؛ فأنْشأَ الأُدباءُ العربُ، والمفكّرونَ، واللُّغويّونَ المجْمَعَ العلْميَّ المِصْريَّ الّذيْ رأى النُّورَ عامَ 1798م أيّامَ الحملَةِ النّابولينيَّةِ[2] على مِصْرَ، وقدْ بلَغَ أعْضاؤهُ ثمانيةً وأرْبعينَ (48) عُضْوًا، ونُشرَتْ أعْمالُه فيْ أرْبعِ (4) مجلاّتٍ؛ لِتظْهرَ بعْدَ هاتِه النّشْأَةِ العربيّةِ، مجامِعُ لُغويَّةٌ عربيَّةٌ أُخرى، ومنْها:

1. مَجْمعُ اللّغةِ العربيّةِ بِمدينةِ دِمشْقَ/سوريا، الّذيْ أُنْشِىءَ عامَ 1919م.
2. المجْمعُ العلْميُّ العِراقيُّ، الذيْ أُنْشىءَ عامَ 1947م.
3. مجْمَع اللُّغةِ العرَبيّةِ بالأُرْدُن/المملكة الهاشميّة الأُرْدُنيّة، الّذيْ أُنْشىءَ عامَ 1976م.
4. مجْمَعُ اللُّغةِ العربيّةِ السُّودانِيُّ، الّذيْ أُنْشىءَ عامَ 1993م.
5. المجْمعُ الجزائريُّ لِلُّغةِ العربيّةِ، الّذيْ أُنْشىءَ عامَ 1996م.
6. مجْمَعُ اللُّغةِ العربيّةِ اللّيبيُّ، الّذيْ أُنْشىءَ عامَ 1998م.
7. اِتّحادُ المجامِعِ اللُّغويَّةِ بِالقاهرَةِ[3]، الّذيْ أُنْشىءَ عامَ 1956م، وهيَ مُؤسَّسَةٌ لِلتّنسيقِ بيْنَ المجامِعِ اللُّغويّةِ العربيّةِ.

وتسْعى كلُّ المجامِعِ اللُّغويَّةِ العربيّةِ لِخِدْمةِ لُغةِ الضّادِ فيْ ظلِّ الدَّورِ الوظيفيّ الهادِفِ إلى رقْمنَةِ اللُّغةِ العربيّةِ. ومنْ هذا المنْظورِ، نُحاوِلُ فيْ مِساحاتِ أوْراقِ مُداخلَتِنا أنْ نُبيّنَ أهمَّ القضايا الشّائكةِ الّتيْ تَطْبَعُ وضْعَ اللُّغةِ العربيّةِ فيْ مُواجهةِ الرَّقْمنَةِ، وتحدّيّاتِ المسْتقْبَلِ التّكْنولوجيّ.

إنّ لِلُّغةِ العربيّةِ نِظامًا خاصًّا فيْ طريقةِ التّأْليفِ، وخصائصَ تُميّزُها على مُسْتوى اللّفظِ والدّلالَةِ ما يجْعلُها تصْمُدُ بِقوَّةٍ أمامَ تحدّيّاتِ العَوْلَمَةِ منْ جهَةٍ، وكما يُؤهّلُها لِأنْ تفْتَحَ أحْضانَها مِنْ جهَةٍ أُخْرى على الفضاءِ التّكْنولوجيّ ومُسْتجدَّاتِهِ، هذا الفضاء العلْميّ الّذيْ يتمكَّنُ بِليونَةٍ اِسْتيعابَ قواعدِها منْ غيْرِ

المساسِ بِأُصولِها؛ لِأنّ اللُّغةَ العربيّةَ طيّعةٌ ومَرِنةٌ، وبِإمْكانِ المجامِعِ اللُّغويّةِ العمَلُ بِكلِّ تفانٍ وإخْلاصٍ على اِنْتِشارِها بِسُرعةٍ فائقَةٍ فيْ فضاءاتِ الرَّقْمنَةِ. ولْيكُنْ إذنْ، مُنطلَقنا مِنَ الإشْكالِ التّاليْ حوْلَ القضيَّةِ محلَّ الدّراسَةِ: **ما طبيعةُ الدَّوْرِ الوظيفيّ لِلْمجامعِ اللُّغويّةِ فيْ ظلِّ رقْمنَةِ اللُّغةِ العربيَّةِ (حَوْسبتِها)؟**

ولَعلَّ ما يُتَرْجِمُ المداخلَةَ الّتي نَنْويْ عَرْضَها في فضاءِ المُلْتقى الوَطنِيّ ويَحْدونا الأملُ العريضُ فيْ أنْ نَحْمِلَ بِوساطَتِها قيمَةً مُضافَةً، هوَ تلْكَ النِّقاطُ الّتي رَسَمْنا بِها مَعالِمَ ورَقَةِ الطّريقِ، والمتمَثِّلَةُ فيْ:

1. التّحدّياتُ الّتيْ تُواجِهُ اللُّغةَ العربيَّةَ فيْ المجالِ الرَّقْميّ.
2. طبيعةُ المحْتوى العربيّ في الفضاءِ الرَّقْمِيّ.
3. خصائصُ اللُّغةِ العربيَّةِ، وصعوباتُ التَّرْجمَةِ والنَّقْلِ إليْها مِنَ اللُّغاتِ الأُخْرى.
4. تحدّياتُ التّرْجمَةِ باللُّغةِ العربيَّةِ والنّشْرِ بِها، والتَّأَكُّدِ مِنْ سلامتِها.
5. الكشْفُ عنْ سُبُلِ تَنْمِيَةِ وُجودِ اللُّغةِ العربيَّةِ على الإنْتَرْنَتْ، وتَطْويرِ أَهمّ المبادراتِ في هذا الشَّأْنِ (جهودُ المجامِعِ اللُّغويَّةِ في تَطْويرِ اللُّغةِ العربيَّةِ، ورَقْمنَتِها).
6. وأخيرًا، تَعْزيزُ مُداخلَتِنا بِجُملَةٍ مِنَ التَّوْصياتِ، والملاحظاتِ لِلْمُهْتمّينَ بِمجالِ الرَّقْمنَةِ.

1- التّعْريفُ بِالمجْمَعِ اللُّغويّ

حدُّ المجْمَعِ لُغةً، هو: موْضِعُ الاِجْتِماعِ[4].

أمّا حدُّهُ اصْطِلاحًا، فهوَ: " مُؤسَّسةٌ لُغويّةٌ علْميّةٌ تقومُ بِخدْمةِ اللُّغةِ، وبِها جماعةٌ منَ العلماءِ فيْ مُختلِفِ التّخصُّصاتِ لِلنّظرِ فيْ ترْقيَةِ اللُّغةِ، والعلومِ والآدابِ، ومُختلِفِ الفُنونِ، ويُرَكِّزونَ اِهْتِمامَهُمْ وأبْحاثَهُمْ فيْ الجانِبِ اللُّغوِيّ والعلْميّ، وما يجبُ أنْ تكونَ عليْهِ اللُّغةُ بِناءً على التُّراثِ العربيّ والعالَميّ، وتزْويدها بِالمصْطلحاتِ العلْميَّةِ الحديثَةِ لِقضايا العصْرِ "[5].

ويُطلَقُ على مجْمَعِ اللُّغةِ العربيّةِ مُصْطلَحُ: المجْمعُ اللُّغويُّ أوِ المجْلِسُ العلْميُّ ذو الصِّبْغةِ العالَميَّةِ أوِ الهيْأَةُ (الهيْئَةُ) الاِسْتِشاريَّةُ لِخِدْمةِ اللِّسانِ العربيّ. وتَنُصُّ المادَّةُ الثّانيَةُ مِنْ مجْموعِ الموادِّ الّتي تُسيِّرُ لِجانَ هذا المجْلِسِ العلْمِيّ، على أنَّ الأهدافَ المسطَّرَةَ منْ إنْشاءِ هذِه الهيْئَةِ، هيَ:

بذْلُ الجهودِ منْ أجْلِ إغْناءِ اللُّغةِ العربيّةِ، وجعْلِها تُواكِبُ مُتطلَّباتِ العصْرِ، أيْ: الحِفاظُ على سلامةِ اللُّغةِ العربيّةِ، وجعْلُها في تقدُّمِها وتطَوُّرِها ملائمةً لحاجاتِ الحياةِ في العصْرِ الحاضِرِ، ومُسايرَةً لِرَكْبِ الحضارَةِ، والتَّقدُّمِ التِّكْنولوجيّ. وتتحقَّقُ هذِه السّلامةُ لِلُّغةِ في ظِلِّ ما يُحَدَّدُ في المعاجِمِ والمجلاّتِ الصّادرَةِ عنْ هذِه الهيْأَةِ، وما ينْبغي اِسْتعْمالُهُ منَ الألْفاظِ والتّراكيبِ أوْ تجنُّبُهُ، فضْلاً عنْ تكْثيفِ اِسْتعْمالِ اللُّغةِ العربيّةِ في

الميادينِ المسْتحْدَثَةِ، وإعْطاءِ الأَلْفاظِ العربيّةِ المهْملَةِ مكانَها في المعْجَمِ اللُّغويّ مثْلَما جاءَ على لِسانِ عليٍّ عبْدِ الواحِدِ وافي في كتابِهِ (فِقْهُ اللُّغةِ): " لا يُعْوِزُ اللُّغةَ العربيّةَ في العصْرِ الحديثِ إلاّ أنْ نُخَصِّصَ أَلْفاظًا منْ مُفْرداتِها لِلدّلالَةِ على مُسْتحْدَثاتِ العلومِ والفُنونِ. ولَنْ يُرْهِقَنا هذا منْ أمْرِنا عُسْرًا؛ لِأَنَّ في بُطونِ مُعْجَماتِ هذِه اللُّغةِ مِئاتُ الأُلوفِ منَ الكلماتِ المهْجورَةِ والمسْتعْملَةِ مِمّا يَصْلُحُ أنْ يوضَعَ لِهذِه المسمَّياتِ الحديثَةِ، ولنا بِهذا الصّدَدِ أُسْوَةٌ (إسْوَةٌ) حسَنةٌ فيما فعَلَه العربُ أنْفُسُهُم في صدْرِ الإسْلامِ والعصْرِ العبّاسِيّ، وهذِه هيَ إحْدى الغاياتِ الجليلَةِ الّتي يَعْمَلُ على تحْقيقِها مَجْمَعُ اللُّغةِ العربيّةِ ".

1. حِمايَةُ اللُّغةِ العربيّةِ، والتّصدّيْ لِما تتعرَّضُ لهُ منْ تحْريفٍ وتشْويهٍ.
2. تَيْسيرُ اللُّغةِ العربيّةِ، وتقْريبُها منْ دارسِها والباحثِ بِها نحْوًا وصرْفًا وكِتابَةً، تمْهيدًا لِانْتِشارِها والإقْبالِ عليْها، وضمانًا لِتقْويمِ اللِّسانِ والفهْمِ لدى النّاشئَةِ، وكلِّ مَنْ يتعاملونَ بِها.
3. إعْدادُ مُعْجَمٍ تاريخِيٍّ لِلُّغةِ العربيّةِ منْ قِبَلِ العُلماءِ المنْتمينَ إلى المجْمَعِ بِصِفتِهِمْ أعْضاءً بارزينَ مَعْروفينَ بِاطِّلاعِهِمِ الواسِعِ، وتَمَكُّنِهِمْ مِنْ ناصيَةِ اللُّغةِ العربيَّةِ.
4. نَشْرُ بُحوثٍ دقيقَةٍ تَعْكِسُ تاريخَ بعْضِ الكلماتِ، وتَغَيُّرَ مَدْلولاتِها.
5. القِيامُ بِدراسَةٍ علْميَّةٍ وافيَةٍ ودقيقَةٍ، ومَوْضوعيَّةٍ لِلَّهجاتِ العربيَّةِ الحديثَةِ في البلادِ العربيَّةِ.

ومِنَ المهامِ السّاميَةِ الّتي تَضْطلِعُ بِها المجامِعُ اللُّغويَّةُ، يُمْكنُ حَصْرُها على النّحْوِ الآتيْ:

1. بَحْثُ قضايا اللُّغةِ بِغرَضِ تَطْويرِها، وجعْلِها لُغةً تُواكِبُ العصْرَ الحديثَ.
2. إبْرازُ مكانةِ اللُّغةِ العربيّةِ، وأسْرارِها فيْ ظلِّ القُرْآنِ الكريمِ.
3. التّرْجمةُ والتّعريبُ بِوصْفِهما رافِديْنِ مِنْ روافِدِ اللُّغةِ العربيّةِ فيْ زيادةِ ثرْوتِها اللُّغويّةِ، وتنْميَةِ طاقاتِها التّعْبيريّةِ.
4. إعْدادُ المعاجِمِ اللُّغويَّةِ (المعاجِم المتخَصِّصَة).
5. وضْعُ المصْطلَحاتِ العلْميَّةِ، واللُّغويَّةِ.
6. إحْياءُ التُّراثِ العربيّ.
7. القيامُ بِالتّحْقيقِ فيْ التُّراثِ العربِيّ بِغرَضِ إحْيائِهِ، وبيانِ نِقاطِ الظِّلِّ فيهِ، والإشادَةِ بِمكانَتِه وبِجهودِ مَنْ أنْجزوهُ مِنْ عُلماءِ اللُّغةِ، والفُقهاء، والأُدباءِ، والشُّعراءِ.
8. تَنْظيمُ أنْشِطَةٍ ثقافيَّةٍ ذاتِ الصِّلَةِ المتينَةِ بِاللُّغةِ العربيَّةِ ولَهجاتِها.
9. تعْليمُ اللُّغةِ العربيّةِ لِلنّاطقينَ بِغيْرِها.

وإذا رَأَيْنا تَرْكيبَةَ هذِه المجامِعِ اللُّغويَّةِ الّتي هيَ: مَجْمَعُ اللُّغةِ العربيَّةِ بِالقاهرَةِ، وبِدِمَشْقَ، وبِبَغْدادَ، وبِالجزائرِ... وغيْرِها، وَجدْناها تَرْتكِزُ في عَمَلِها على لِجانٍ كثيرَةٍ أيْنَ تَحْمِلُ كُلُّ لَجْنَةٍ على عاتِقِها دَوْرًا مُمَيَّزًا في رِحابِ اِخْتِصاصٍ مُعَيَّنٍ مِنْ ميادينِ المعرِفَةِ المتباينَةِ، كَأَنْ نَذْكُرَ مثَلاً:

1. لَجْنَةَ المعْجَمِ الوسيطِ.
2. لَجْنَةَ الأدبِ.
3. لَجْنةَ اللَّهجاتِ، والبُحوثِ اللُّغويَّةِ.
4. لَجْنةَ أُصولِ اللُّغةِ، وغيْرَها مِنَ اللِّجانِ...

وإنَّ الحديثَ عنْ هذِه اللِّجانِ، يَقودُنا بِالضَّرورَةِ وبِاسْمِ المِحْوَرِ الّذي اِخْترْناهُ لِعَملِنا البحْثِيِّ منْ محاوِرِ الملْتقى الوطنِيِّ الموْسومِ: **اللُّغةُ العربيّةُ في عصْرِ الرَّقْمنَةِ**، إلى الوُقوفِ وِقْفَةَ المتأمِّلِ الفاحِصِ فيْ لَجْنةِ: **المُعالَجَةِ الإلِكْترونيَّةِ**، والّتي هيَ واحدَةٌ منْ لِجانِ المجْمَعِ اللَّغويِّ الّتي تجاوزَتْ حُدودَ العِشْرينَ لَجْنَةً.

فالحديثُ عنِ المعالَجَةِ الإلِكْترونيَّةِ لِلُّغةِ العربيّةِ، هوَ حديثٌ عنْ إثْراءٍ مُحْتواها على الشّابِكةِ العنْكبوتيَّةِ (الإنْتَرْنَتْ)، وهو الحديثُ كذلِك عنْ عمليَّةِ تَرْجمَةِ المصْطلَحاتِ الجديدَةِ واليَوميَّةِ إلى اللُّغةِ العربيّةِ بِحُكْمِ ضَرورَةِ تَجْسيدِ الهُوِيَّةِ وتأْصيلِها، والاعْتِزازِ بِالاِنْتِماءِ العرَبِيّ، وهوَ -لَعَمْرُنا- مَسْعًى نبيلٌ. إلاَّ أنَّ الواقِعَ المعيشَ، يُخْبِرُنا عنْ قِلَّةِ الدِّراساتِ المنْجزَةِ حوْلَ قَضِيَّةِ الرَّقْمنَةِ، هذا العَجْزُ في الدِّراساتِ تُقابِلُه العزيمةُ الفولاذيَّةُ لِلْمجامِعِ اللُّغويَّةِ وتحدِّياتُها في تجاوُزِهِ لِلاِجْتِهادِ في مجالِ التّرْجمَةِ بِاللُّغةِ العربيّةِ الفُصْحى، والنّشْرِ بِها، والتَّأَكُّدِ مِنْ سلامتِها.

2- جُهودُ المجامِعِ اللُّغويَّةِ

لمْ تقُمِ المجامِعُ اللُّغويّةُ ولمْ تُنْشَأْ إلاّ لِتحْقيقِ غرَضٍ أسْمى يليقُ بِمكانةِ اللُّغةِ العربيّةِ الّتيْ خصّها القُرآنُ الكريمُ بِالذِّكْرِ، ألا وهو: البحْثُ عنِ المشكلاتِ والعراقيلِ الّتيْ تجْعلُ اللُّغةَ العربيّةَ عقيمَةً وبعيدَةً بُعْدَ السّماءِ عنِ الأرْضِ عنِ الرَّقْمنَةِ. وما يُؤَكِّدُ هذا الواقِعَ المريرَ، هو تلْك الدِّراساتُ الكثيرَةُ الّتيْ شهِدتِ البُعْدَ اللُّغوِيَّ فيْ عصْرِنا الحاليْ؛ فكثيرٌ منْ هذِه الدِّراساتِ تسْتنِدُ فيْ تأْكيدِ هذِه الحقيقَةِ عنْ واقِعِ اللُّغةِ العربيّةِ بِتلْكَ المنْشوراتِ الّتيْ تمْلأُ جُدْرانَ مواقِعِ التّواصُلِ الاِجْتماعيّ بِكلِّ أنْواعِها والّتيْ تُنْشَرُ وتُوثَّقُ بِلغاتٍ أجْنبيَّةٍ، فجاءَتْ عبارةً عنْ رُموزٍ أجْنبيَّةٍ وُظِّفتْ بِلُغةٍ عربيَّةٍ بِغرَضِ النُّطْقِ وحسْبُ، وليْسَ بِغرَضِ الاِسْتعْمالِ. وعليْهِ، فدَورُ المجامِعِ اللُّغويَّةِ، هو ضبْطُ اللُّغةِ وِفاقَ الاِسْتعْمالِ بِغرَضِ التّطوُّرِ والرُّقِيّ، ووضْعُ

مُصْطلحاتٍ جديدةٍ تعْمَلُ المجامِعُ اللُّغويَّةُ على إخْضاعِها بِما يَتوافَقُ والمقاييسَ الّتيْ تضْبِطُ اللُّغةَ العربيَّةَ معَ توافُرِ شَرْطيْ: الفصاحةِ، والسّلامةِ.

يَنحَصِرُ الدّوْرُ الوظيفيُّ لِلْمجامِعِ اللُّغويّةِ فيْ تحْسينِ صورَةِ اللُّغةِ العربيّةِ وواقِعِها فيْ المجالِ الرَّقْميّ، وذلِك بدْءًا بِإحْصاءِ المَنْشوراتِ المكْتوبَةِ باللُّغةِ العربيّةِ، أيْ: النّظرُ بِعُمقٍ فيْ المحْتوى العربيّ على الشّابكَةِ العَنكبوتيَّةِ، والبحْثُ فيْ أسْبابِ قِلّةِ اِنْتِشارِ اللُّغةِ العربيّةِ فيْ فضاءِ الرَّقْمنَةِ إذا ما قورِنتْ بِلُغاتٍ أُخْرى ذاتِ الاِنْتِشارِ الواسِعِ. ومنْ هُنا يَبْرُزُ الدّوْرُ الرِّيادِيُّ لِلْمجامِعِ اللُّغويّةِ فيْ حصْرِ سُبُلِ تنْميَةِ المحْتوى العربيّ، وتشْجيعِ المبادراتِ الّتيْ تَصُبُّ فيْ هذا الاِتِّجاهِ حتّى يتسَنّى لِلُّغةِ العربيّةِ أنْ تجِدَ لها موْقِعًا مُشَرِّفًا فيْ عصْرِ التِّقَنيَّةِ، والتّطوُّرِ العلْميّ والتّكْنولوجِيّ، وتتَمكَّنَ مِنَ الاِنْفِتاحِ فيْ ظلِّ آفاقٍ رحبَةٍ على ثقافاتِ الأُممِ الأُخْرى عنْ طريقِ التّرْجمةِ والتّرْجمةِ الآليَةِ لِلُّغةِ العربيّةِ، والتّعْريبِ، وتطْويرِ البَرْمجيّاتِ، وإعْدادِ المعاجِمِ المتخَصّصَةِ، والتّأْليفِ فيْ قواعِدِ اللُّغةِ بغرَضِ تسْهيلِ اِكْتِسابِها، والاِجْتِهادِ فيْ إخْضاعِها لِلتّحْليلِ الحاسوبيّ؛ لأنّ اللُّغةَ العر بيّةَ منْ هذا المنطلَقِ، هيَ مِحوَرُ المنْظومةِ الفِكريَّةِ والثّقافيَّةِ، ويَتعاظمُ دوْرُها وشأْنُها فيْ عصْرِ التِّقنيّاتِ الحديثَةِ لا سيّما الإنْتَرْنَتْ، ولِهذا وجَبَ على المجامِعِ اللُّغويّةِ أنْ توليها العِنايَةَ الفائقَةَ لِتطْويرِها، وجعْلِها تحْتلُّ موْطِىءَ قَدمٍ فيْ العالَمِ المعاصِرِ الّذيْ باتَتِ العوْلَمةُ تتحكَّمُ فيهِ، وذلِك بِغرَضِ بِناءِ حضارَةِ الإسْلامِ المرْتقَبَةِ الّتيْ تُتَرْجِمُ العصْرَ الذَّهبِيَّ الّذيْ عاشتْهُ فيْ القُرونِ الخواليْ، وأيْنَ يَجِدُ القارىءُ العربيُّ ضالَّتَهُ منْ هُويَّةٍ وِانْتِماءٍ.

لقدْ قَلبَتْ وسائلُ الاِتّصالِ الحديثَةُ والمواقِعُ الإلِكْترونيَّةُ الّتيْ أنْجبَها التّطوُّرُ التّكْنولوجيُّ فيْ عصْرِ الرَّقْمنَةِ موازينَ اِسْتخْدامِ اللُّغةِ العربيّةِ، خاصَّةً لما شاعَ اِسْتِخْدامُ مِنصّاتِ التّواصُلِ الاِجْتِماعيّ، وتبادُلُ المحادثاتِ فيْ اليتوب والتّويتَر، والأنسْتغْرام، وعزوفُ الكثيرِ منَ الشّبابِ العربيّ عنِ اِسْتِخدامِ اللُّغةِ العربيّةِ فيْ هذهِ المنِصّاتِ؛ والوضْعَ هذا، باتَتِ اللُّغةُ العربيّةُ فيْ خطَرٍ حقيقيٍّ مُحْدِقٍ بِها إنْ لمْ تُسْرِعِ الجهاتُ الوصيَّةُ وعلى رأْسِها المجامِعُ اللُّغويّةُ العربيّةُ إلى اِحْتواءِ الأزْمةِ ومُعايَنةِ أسْبابِها، واِقْتِراحِ الحُلولِ لها.

لا وُجودَ لِأزْمةٍ تعيشُها اللُّغةُ العربيّةُ، وإنّما الخطرُ الّذيْ يَتهدَّدُها يَكْمُنُ أساسًا فيْ مُسْتعْمليها الّذينَ لا يُجيدونَ اللُّغةَ العربيّةَ الفُصْحى، ويُسيئونَ اِسْتعْمالَها الاِسْتعْمالَ الصّحيحَ وِفاقَ القواعِدِ الّتيْ تضْبِطُها. إنّ شعوبَ المعْمورَةِ وفيْ ظلِّ ما تولَّدَ عنِ التّطوُّرِ التّكْنولوجيّ، تسْعى جاهِدةً لِتَحْجِزَ لها ولِلُغَتِها مكانًا ضِمْنَ منْظومةِ العالَمِ الرَّقْميّ عنْ طريقِ مَدِّ جُسورِ التّواصُلِ بيْنَ أفْرادِ المجْتمَعِ العالَميّ بِوساطةِ الشّابِكةِ العَنْكبوتيَّةِ وما تُتيحُهُ منْ شبكاتِ التّواصُلِ الإلِكْترونِيّ المخْتلِفَةِ.

ولِحصْرِ الجهودِ المبْذولَةِ منْ قِبلِ المجامِعِ اللُّغويّةِ فيْ سبيلِ ترْقيَةِ اللُّغةِ العربيّةِ، والعملِ على اِنْتِشارِها على نطاقٍ واسعٍ، نُحاوِلُ فيْ محطّةٍ وجيزَةٍ بيانَ جهودِ كلِّ مجْمَعٍ على حِدةٍ، واِسْتعْراضَ المهامِّ المنوطةِ بِهِ بِغرَضِ تحْقيقِ الهدَفِ الأسْمى منْ وُجودِهِ، وهو الدِّفاعُ عنْ لُغةِ الضّادِ، ولْتكُنِ البِدايةُ منَ المجْمَعِ اللُّغوِيِّ العربِيّ بِدمَشْقَ.

1.2– المجْمعَ اللُّغوِيُّ العربِيُّ بِدِمشْقَ:

– العنايةُ بِاللُّغةِ العربيّةِ مِنْ حيْثُ التّعْريبُ، ونشْرُ الكتبِ المتعلِّقةِ بِها، ووضْعُ بعْضِ المفرداتِ والمصْطلحاتِ الإداريّةِ والفنِّيّةِ لِتحلَّ محَلَّ الألْفاظِ الأعْجميَّةِ الشّائعةِ بيْنَ الموظّفينَ وفيْ الدّواوينِ الحكوميَّةِ.

– جمْعُ المخطوطاتِ، وصِيانةُ المكْتبَةِ بِإنْشاءِ دارِ الكُتبِ الظّاهرِيَّةِ.

– صِيانةُ الآثارِ، وجمْعُها فيْ مُتْحَفٍ.

– إصْدارُ مجلّةٍ تُنْشَرُ فيها أعْمالُ المجْمعِ وأفْكارُهُ لِتكْوينِ رابِطةٍ بيْنهُ وبيْنَ المؤسّساتِ الثّقافيَّةِ العامّةِ[6].

ولمْ تَنْحصِرْ جهودُ المجْمَعِ العربِيّ السُّورِيّ فيْ التّرجمَةِ والتّعريبِ خِدمةً لِلُّغةِ العربيّةِ فيْ المجالِ الحُكومِيّ، بلِ: " اِمْتدَّتْ مَهمَّتُهُ إلى الميْدانِ الشّعْبِيّ، فأَخذَ يُنظِّمُ اِجْتِماعاتٍ تُلْقى فيها مُحاضراتٌ ثقافيَّةٌ وتاريخيَّةٌ، وأدبيّةٌ ولُغويّةٌ، يدْعو المجْمعُ لإلْقائها كِبارَ العُلماءِ فيسْتمِعُ إليْها الجمْعُ الغفيرُ مِنَ النّاسِ، ثُمّ يَقومُ المجْمَعُ بِطبْعِها لِلنَّفْعِ بِها "[7].

2.2– المجْمَعُ اللُّغوِيُّ بِالقاهرَةِ:

– الحِفاظُ على سلامةِ اللُّغةِ العربيّةِ، وجعْلُها ترْقى لِمطالِبِ الفُنونِ والعلومِ، وتُلائمُ حاجاتِ الحياةِ فيْ عصْرِنا هذا. ولِتحقيقِ الغرَضِ النّبيلِ، طُلِبَ منَ المجْمعِ النّظرُ فيْ قواعِدِ اللُّغةِ العربيّةِ بالاِسْتِماعِ إلى أئمَّةِ اللُّغةِ وفُقهائها بِغرَضِ توْسيعِ دائرَةِ قِياسِها، لِتكونَ أداةً سهْلةَ التّعبيرِ عنِ المقاصِدِ العلْميّةِ وغيْرِ العلْميّةِ.

– أنْ يسْتدِلَّ المجْمعُ بِالكلماتِ العربيّةِ وخاصّةً المهْمل منْها، لِمُواجهةِ تحدّياتِ العصْرِ ومُسْتجدَّاتِهِ منْ مُصْطلحاتٍ أعْجميّةٍ ولّدها التّقدُّمُ التّكْنولوجِيُّ، فإنْ لمْ يجِدْ بعْدَ البحثِ المقابِلَ لهذِه المصْطلحاتِ الأعْجميّةِ، وضَعَ أسْماءً جديدةً بِطُرُقِ الوضْعِ المعروفَةِ مِنِ اِشْتِقاقٍ ونحْتٍ، ومَجازٍ... وغيْرِ ذلِك. فإنْ لمْ يُوفَّقْ فيْ مسْعاهُ، لجأَ إلى التّعريبِ معَ المحافظةِ على حُروفِ اللُّغةِ وأوْزانِها قدْرَ المسْتطاعِ[8].

– تُلْقى على عاتِقِ المجْمعِ مهمَّةُ وضْعِ مُعْجماتٍ صغيرَةٍ لِمُصْطلحاتِ العلومِ والفنونِ وغيْرِها...

– وضْعُ مُعْجمٍ واسِعٍ يَجمَعُ شوارِدَ اللُّغةِ وغريبَها، ويَبْنِيْ أطْوارَ كلِماتِها.

– يَنْشُرُ قوائمَ الكلماتِ وَتَفسيرَها، والأساليبَ الفاسدَةَ الّتيْ يجِبُ تفاديها عنْدَ الاِسْتعْمالِ، كما يقومُ المجْمَعُ ببحثٍ علْميٍّ لِلَّهجاتِ العربيّةِ الحديثةِ بِمصْرَ وغيْرِها منَ البُلدانِ العربيّةِ.

– وضْعُ مُعجمٍ تاريخيٍّ لِلُّغةِ العربيّةِ، وتشْجيعُ إجْراءِ بُحوثٍ دقيقَةٍ فيْ تاريخِ بعْضِ الكلماتِ وتَغْييرِ مدْلولاتِها[9].

– إصْدارُ مجلّةٍ تَضُمُّ قراراتِ المجْمعِ ودراساتِه، وأهمَّ القواعِدِ والضّوابِطِ المتّفَقِ عليْها، وما أقرّهُ المجْمَعُ منْ مُختلِفِ المصْطلحاتِ فيْ العلومِ، والفُنونِ، والآدابِ [10].

– إعْدادُ مُعجَمِ أَلْفاظِ القُرْآنِ الكريمِ[11] بِالتّرْتيبِ الهِجائيّ العادِيّ، معَ شرْحِ أَلْفاظِ القُرآنِ شرْحًا معْنويًّا، وَبيانِ المزيدِ منْها والمجرَّدِ، والمصْدرِ والمشْتقّاتِ، والمعانيْ المختلِفةِ لِلَّفْظِ الواحدِ.

– إعْدادُ المعْجمِ الوسيطِ.

– إعْدادُ المعجَمِ الوجيزِ، وهوَ اِخْتصارٌ لِلْمُعجَمِ الوسيطِ.

– إعْدادُ المعجَمِ الكبيرِ، وهوَ مُعجَمٌ تاريخِيٌّ تأْصيلِيٌّ يَضُمُّ أَلْفاظَ اللُّغةِ: حقائقَها، ومجازاتِها[12].

3.2– المجْمَعُ العلْميُّ العِراقِيُّ بِبغْدادَ:

سارَ المجْمعُ العلْميُّ العِراقيُّ على هدْيِ المجْمعِ المِصْريّ، وذلِك بالاِعْتمادِ على الاِشْتقاقِ والتّعريبِ، واللُّجوءِ إلى النّحْتِ، والاِقْتصارِ على مُصطلَحٍ واحدٍ معَ إثْباتِ اللَّفظةِ المأْلوفةِ، وتجَنُّبِ الأَلْفاظِ العامّيّةِ، فضْلاً عنْ قِيامِه بِترْجمةِ المصْطلَحِ الأجْنبِيّ عنْدَ ثُبوتِ دلالتِه على معْناهُ الاِصْطِلاحِيّ بِإدْخالِ بعْضِ التّغييرِ فيْ نِطاقِ المصْطلَحِ المسْتهْدَفِ لِينْتظِمَ والنُّطقَ العربِيَّ، كلّ هذا منْ غيْرِ اِسْتعْمالِ السّوابِقِ واللّواحقِ الأجنبيّةِ، كما أنّهُ لا يُرسِّمُ المصْطلَحَ إلاّ بعْدَ مُرورِ سِتّةِ أشْهُرٍ منْ نشْرِه لِيتَسنّى لأعْضاءِ المجْمَعِ دراسَةُ المقْترَحاتِ والاِنْتِقاداتِ الّتيْ تُوجَّهُ بِشأْنِهِ[13].

ومنْ أعْمالِ المجْمعِ الّتيْ تُترْجِمُ جُهودَه فيْ ترْقيَةِ اللُّغةِ العربيّةِ، نذْكُرُ بعْضًا منْها على النّحْوِ الآتيْ:

– إصْدارَ العديدِ منَ كُرّاساتِ المصْطلحاتِ العلْميّةِ الّتيْ مَسَّتْ صِناعةَ النّفْطِ، وعلْمَ الجِراحةِ، والتّشْريح، وعلْمَ الولادةِ، وعلومَ المياهِ، والإلِكْترونيك، والتّرْبيّةَ البدنيّةَ، والسِّككَ الحديديّةَ، والرّيَّ، والأشْغالَ، والمِلاحةَ... وغيْرَها منَ المجالاتِ[14].

– النّهوضَ بِالدّراساتِ والبحوثِ العلْميّةِ فيْ العِراقِ لِمُواكبَةِ التّقدُّمِ العلْمِيّ.

– إحْياءَ التُّراثِ العربِيّ والإسْلاميّ فيْ العلومِ، والآدابِ، والفُنونِ.

4.2– المجْمعُ اللُّغويُّ العربيُّ الأُرْدُنيُّ بِعُمانَ:

– الحِفاظُ على سلامةِ اللُّغةِ العربيّةِ، ودفْعُها قُدُمًا نحْوَ مُواكبَةِ مُتطلّباتِ الآدابِ، والعلومِ، والفنونِ الحديثةِ.

– توْحيدُ مُصْطلحاتِ العلومِ، والآدابِ، والفُنونِ، ووضْعُ المعاجِمِ بِإشْراكِ وزارَةِ التّربيَّةِ والتّعليمِ، والمؤسّساتِ العلْميّةِ، واللُّغويّةِ، والثّقافيّةِ داخِلَ المِمْلكةِ الأُرْدُنيّةِ وخارِجَها.

– تشْجيعُ التّأْليفِ والتّرْجمَةِ، والنّشْرِ، وإقامةُ المسابقاتِ العلْميّةِ التّنافسيّةِ، وإنْشاءُ مكْتبَةِ المجْمَعِ.

– ترْجمةُ الرّوائعِ العالَميّةِ، ونشْرُ الكتُبِ المترْجمَةِ إلى العربيّةِ.

– عقْدُ المؤْتمراتِ اللُّغويّةِ فيْ المِمْلكَةِ وخارِجها، وإقامةُ النّدواتِ الثّقافيّةِ.

– نشْرُ المصْطلحاتِ الجديدةِ الّتيْ يَتِمُّ توْحيدُها فيْ اللُّغةِ العربيّةِ بِمُخْتلِفِ وسائلِ الإعْلامِ، وتعْميمُ اِسْتعْمالِها فيْ أجْهِزةِ الدّولَةِ.

– إصْدارُ مجلّةٍ دوْريّةٍ تُعْرَفُ بِاسْمِ: (مجْمعُ اللُّغةِ العربيُّ الأُرْدُنيُّ)[15].

5.2– مجْمَعُ اللُّغةِ العربيّةِ اللّيبيُّ:

ويتكوّنُ منْ لِجانٍ أرْبعٍ، هيَ: لَجنَةُ السّلامةِ اللُّغويّةِ فيْ وسائلِ الإعْلامِ، ولَجنَةُ مُراجعةِ النُّصوصِ التّعليميّةِ، ولَجنَةُ اللّهجاتِ العربيّةِ، وأخيرًا لَجنَةُ تحْديدِ اِسْتخْداماتِ الأسْماءِ والتّسْمياتِ فيْ النّشاطِ الاِقْتصاديّ. ومِنْ أعْمالِ المجْمَعِ وأهدافِهِ المسطَّرَةِ خدْمةً لِلُّغةِ العربيّةِ، نذْكُرُ:

– العِنايَةَ بِاللُّغةِ العربيّةِ، والسّهرَ على سلامةِ اِسْتعْمالِها، والعمَلَ الجادَّ على ترْقِيتِها.

– دراسَةَ المصْطلحاتِ العلميّةِ، والفنّيّةِ، والأدبيّةِ، والعمَلَ على توْحيدِها فيْ الوطنِ العرَبِيّ.

– وضْعَ مُعْجماتٍ عامّةٍ ومُتخصّصَةٍ.

– إصْدارَ الكتُبِ والدّوْريّاتِ لِنشْرِ بُحوثِ المجْمَعِ، والتّعريفِ بِها.

6.2– أكاديميّةُ المَمْلكَةِ المغْربيّة:

تأسَّسَتْ فيْ الرّباطِ بتاريخ: 8.أكتوبر.1977م بِمرْسومٍ ملَكيٍّ صدَرَ بِطابعِ المِلكِ الحسَنِ الثّانيْ، ومنْ أعْمالِ هذِه المؤسَّسةِ، وأهمّ أهْدافِها:

– تشْجيعُ تنْميّةِ البحْثِ فيْ النّشاطِ الفِكريّ، مثْل: علْمُ العقائدِ، والأخْلاقُ، والفلْسفةُ، والقانونُ، ومناهِجُ الحُكمِ، والتّاريخُ، والآدابُ والفنونُ الجميلةُ، والرّيّاضيّاتُ والعلومُ التّجريبيّةُ وغيْرُ التّجْريبيّةِ، والتّربيةُ،

والطِّبُّ، والدّبلوماسيّةُ، وعلْمُ الخِططِ الحرْبيّةِ، والإدارةُ، والاِقْتِصادُ، والصِّناعةُ، والتّعْميرُ، والتِّقنيّاتُ التّطْبيقيّةُ.

– العملُ على حُسْنِ اِسْتعْمالِ اللُّغةِ العربيّةِ بِالمغْرِبِ، والسّعيُ إلى إتْقانِ التّرْجمةِ منَ اللُّغةِ العربيّةِ وإليْها[16].

– وضْعُ مجلّةِ المؤسّسَةِ، وهيَ مجلّةٌ حوْليّةٌ يُطلَقُ عليْها اِسْمُ: (الأكاديميّةُ)، تُعْنى بِنشْرِ البُحوثِ والمحاضراتِ الّتيْ يَتِمُّ عرْضُها داخِلَ الأكاديميّةِ.

7.2– اِتّحادُ المجامِعِ العربيّةِ:

ظهرَتْ هذِه المؤسَّسةُ العلْميّةُ إلى الوجودِ عامَ 1971م عنْدَما شكَّلَتْها المجامِعُ اللُّغويّةُ الثّلاثَةُ، وهيَ: مجْمَعُ دِمشْقَ، ومجْمعُ القاهرَةِ، ومجْمَعُ عُمانَ، والّتيْ خرجَتْ جميعُها بِقرارِ اِتِّخاذِ القاهرَةِ مقَرَّ الاِتِّحادِ، لِيشْهدَ الاِتِّحادُ فيما بعْدُ اِنْضِمامَ كُلٍّ منْ: أكاديميّةُ الممْلكَةِ المغْرِبيّة، ومجْمَعُ طرابلُسَ، والمجْمعُ الجزائريُّ. ومِنْ أعْمالِ اِتِّحادِ المجامِعِ العربيّةِ:

– إعْدادُ اِسْتراتيجيّةٍ مبْنيّةٍ على مَنْهجٍ علْميٍّ لِتدْريبِ المعْجميّينَ وتَكوينِهِمْ، والّذينَ يُسْتعْملونَ فيْ هيئةِ المعْجمِ التّاريخِيّ لِلُّغةِ العربيّةِ.

– إعْدادُ كُتيّبٍ تعْريفِيٍّ بِالمعْجمِ التّاريخِيّ لِلُّغةِ العربيّةِ، والهيئَةِ المشرِفةِ على تأْليفِهِ.

– إعْدادُ قائمةٍ بِاِسْمِ الخُبراءِ الّذينَ يُسْتفادُ منْهُمْ فيْ البحْثِ والتّأْليفِ.

– حصْرُ المدوَّناتِ اللُّغويّةِ العربيّةِ المَوْجودَةِ.

8.2– المَجْمعُ الجزائريُّ لِلُّغةِ العربيّةِ:

لقدْ بذَلَ المجْمعُ الجزائريُّ جُهْدًا كبيرًا لِترقيَةِ اللُّغةِ العربيّةِ، ونشْرِها على نِطاقٍ واسِعٍ لِتَمَسَّ كلَّ مجالاتِ الحياةِ، وذلِك منْذُ تاريخِ نشْأَتِه بِموجبِ القانونِ رقْم 10/86 المؤرّخ فيْ 19/غشت/1986م[17]. ومنْ أهمِّ الأعْمالِ الّتيْ يُنْجِزُها لهذا الغرَضِ، نذْكرُ:

– إحْياءُ اِسْتعْمالِ المصْطلحاتِ المَوْجودةِ فيْ التّراثِ العربيّ والإسْلاميّ.

– اِسْتخْدامُ المصْطلحاتِ الجديدةِ الّتيْ أقَرّها اِتِّحادُ المجامِعِ العربيّةِ.

– نحْتُ مُصْطلحاتٍ جديدةٍ بِاِسْتخْدامِ القِياسِ أوِ الاِشْتِقاقِ.

– ترْجمةُ أوْ تعْريبُ المصْطلحاتِ الشّائعةِ فيْ العالَمِ المعاصِرِ، ونشْرُها فيْ أجهِزةِ الدّولَةِ، مثْل: المؤسّساتِ التّرْبويّةِ، والتّكْوينيّةِ، والإداراتِ.

– وضْعُ قاموسٍ حديثٍ يَضُمُ كلَّ المصْطلحاتِ العلْميّةِ والتّقنيّةِ المتداوَلَةِ فيْ مُخْتلِفِ المجالاتِ.

– ربْطُ صِلاتِ التّعاوُنِ والتّنسيقِ معَ المجامِعِ والهيْئاتِ اللُّغويّةِ فيْ البُلدانِ العربيّةِ، وفيْ العالَمِ الإسْلاميّ، وفيْ البُلْدانِ الأُخْرى.

– نشْرُ الدّراساتِ والبُحوثِ المتعلّقةِ باللُّغةِ العربيّةِ، وآدابِها، وفُنونِها، وتُراثِها.

– تشْجيعُ التّأْليفِ والتّرْجمةِ، والنّشْرِ باللُّغةِ العربيّةِ فيْ مُختلِفِ الميادينِ.

– إصْدارُ مجلّةٍ دَوْريّةٍ تُعْنى بِنشْرِ كلِّ الإنْتاجِ لِلْمجْمعِ منْ: مُصْطلحاتٍ، وبُحوثٍ، ودراساتٍ.

– عقْدُ المؤْتمراتِ، والنّدواتِ العلْميّةِ، والمشارَكةُ فيْ اللّقاءاتِ والنّدواتِ الدّوليّةِ.

– قِيامُ أعْضاءِ المجْمعِ بِبُحوثٍ مُتنوّعةٍ فيْ العلومِ العربيّةِ، وبِالخُصوصِ فيْ علْمِ المعانيْ، والمصْطلحاتِ، وعلومِ اللّسانِ.

– إصْدارُ مجلّةٍ لُغويّةٍ تعْملُ على التّعريفِ بِكلِّ الأعْمالِ الصّادرَةِ عنِ الهيئةِ العُلْيا لِمشْروعِ الذَّخيرَةِ العربيّةِ، وجعْلِ التُّراثِ العربيّ الإسْلاميّ فيْ مُتناوَلِ الباحثينَ والمثقّفينَ بِاسْتخْدامِ الإنْترْنت[18].

– اِسْتِخدامُ الحواسيبِ، والمخابِرِ الصّوْتيّةِ لِلْقيامِ بِالتّحْليلاتِ العلْميّةِ فيْ إطارِ تكْنولوجيا اللُّغةِ وهنْدسَتِها.

3– مفْهومُ الرّقْمنَةِ

يُعَدُّ مُصْطلَحُ الرَّقْمنَةِ منَ المصْطلحاتِ الحديثَةِ النَّشْأَةِ، وهْوَ تَعْريبٌ لِكلمَةِ (Digitization)، كما أُعْطِيَ مُصْطلَحُ الرَّقْمنَةِ في اللُّغةِ العربيَّةِ حينَ تُرْجِمَ أَلْفاظًا تَمَثَّلَتْ فيْ: الأرْشَفَة الرَّقْميَّة والإلِكْترونيّة أوِ التَّمْثيل الرَّقْميّ أوِ التّرْقيم. وتُقابِلُهُ مُرادِفاتٌ في اللُّغةِ الأجْنبيَّةِ، منْها: (Computerization) أوْ (Digitizing) أوْ (Scanning) أوْ (Numérisation).

ومَدْلولُ المصْطلَحِ أوْ حَدُّهُ، هوَ: تَحْويلُ الموادِّ الفِكْريَّةِ المنْتَجةِ سواء كانَتْ مَرْئيَّةً أوْ مَسْموعَةً أوْ مَقْروءَةً إلى صِيَغٍ رَقْميَّةٍ صالِحةٍ لِلتَّداوُلِ على الأجْهِزَةِ الرَّقْميَّةِ والشّابِكَةِ العَنْكَبوتيَّةِ، والتَّخْزينِ على الوسائطِ الحديثَةِ، مثْلُ: الأقْراصِ الصّلْبَةِ والمرِنَةِ شريطَةَ أنْ تكونَ قابلَةً لِلنَّشْرِ على الإنْتَرْنَتْ.

عنْدَ الحديثِ عنْ علاقاتِ البياناتِ والمعْلوماتِ فيْ بعضِ مجالاتِ التّكْنولوجيا، نُشيرُ إلى تحوُّلِ الإنْسانِ منَ الطُّرقِ التّقليديّةِ والّتيْ فيْ الغالِبِ تكونُ يدويّةً إلى اِسْتخْدامِ الطُّرُقِ التّناظُريّةِ الإلِكْترونيّةِ (Digital)، ثُمّ إلى التّكْنولوجيّةِ الرّقْميّةِ (Numérique) أوْ مَا يُطلَقُ عليْها التّحوُّلُ الرّقْميُّ أوِ الرّقْمنَةُ، وهيَ عمليّاتُ تحْويلِ البياناتِ القاعدِيّةِ أوِ المعْلوماتِ إلى شكْلٍ رقْمِيٍّ. وبِعبارةٍ أُخرى، هيَ عمليّةُ تنْظيمِ البياناتِ والمعْلوماتِ وتحْويلِها إلى وحداتٍ مُنْفصلَةٍ منَ البياناتِ الّتيْ يُمْكنُ مُعالجَةُ كلٍّ منْها بشْكلٍ مُنْفصِلٍ ضِمنَ

مجْوعاتٍ منَ الرّقْميْنِ الصِّفْر والواحِد (0 و1)، أيْ: ما يُعرَفُ بِالنِّظامِ الثُّنائيِّ الّذيْ تسْتطيعُ الأجْهزَةُ والوسائلُ ذاتُ التّكْنولوجيا الرّقْميّةِ منْ حواسيبَ وآلاتِ تصْويرٍ، ومُسجّلاتِ الصّوتِ والصّورَةِ فهْمَها، ومُعالجَتَها، والتّعامُلَ معها بغرَضِ الحُصولِ على معْلوماتٍ.

فبالرّقْمنةِ، يَتِمُّ إدْخالُ النُّصوصِ والصّورِ، والصّوْتِ إلى وحداتِ الإدْخالِ الرّقْميّةِ بِالحواسيبِ منْ ماسِحاتٍ ضوْئيّةٍ، وفأْرةٍ، ولَوْحةِ مفاتيحَ، ولاقِطاتِ الصّوْتِ... وغيْرِها، ومنْ ثَمَّ مُعالجتُها، وتخْزينُها، وأخيرًا إخْراجُها رقْميًّا فيْ شكْلِ معْلوماتٍ، وهذِه الطّريقةُ سهّلتْ عمليّةَ الحِفْظِ، وكثّفَتِ المشارَكةَ وتَداوُلَ المحْتوياتِ الّتيْ تَمَّتْ مُعالجتُها رقْميًّا، وذلِك فيْ كلِّ الأوْقاتِ، وفيْ كلِّ الأماكِنِ.

ومنَ الفوائدِ الّتيْ نَجمَتْ عنِ التّحوُّلِ إلى التّكْنولوجيا الرّقْميّةِ، نذْكرُ بعْضَها على النّحْوِ الآتيْ:

1. صِيانةَ البياناتِ والمعْلوماتِ الّتيْ عولِجتْ بِطرُقِ التّكْنولوجيا الرّقْميّةِ منَ العوامِلِ الجوّيّةِ، فلا هيَ تضيعُ، ولا هيَ يَحْصُلُ لها التّقادُمُ والتّلَفُ.
2. سُهولةَ التّعامُلِ معَ ما تَمَّ رقْمنتُهُ منِ اِسْترْجاعٍ، وبحْثٍ، وسُرْعةِ الوصولِ إلى المعلومةِ.
3. إمْكانَ إظْهارِ التّفاصيلِ الدّقيقَةِ عنِ المعْلومةِ المرقْمنَةِ، مثْلُ: التّصْغيرُ، والتّكْبيرُ، والنّسْخُ، والطِّباعةُ.
4. الاِقْتصادَ فيْ أماكِنِ التّخْزينِ والحفْظِ، فالوثائقُ الورقيّةُ تسْتدْعيْ توْفيرَ إمْكاناتٍ كبيرَةٍ فيْ مساحاتِ التّخْزينِ.
5. أمْكنَ لِلْفرْدِ أنْ يَحْمِلَ كمّيّاتٍ هائلَةً منَ الوثائقِ الرّقْميّةِ فيْ الجيْبِ.

كثُرتِ المفاهيمُ المرتبِطةُ بِمصْطلَحِ (الرّقْمنةِ)، وهذا بحسَبِ السّياقِ الّذيْ يُوظَّفُ فيهِ، فـ(تيري كانيْ Terry Kenny) يرى الرّقْمنةَ على أنّها عمليّةُ تحْويلِ مصادِرِ المعْلوماتِ على اِخْتلافِ أنْواعِها، منْ: كتُبٍ، ومجلاّتٍ، وصُورٍ، وتسْجيلاتٍ صوْتيّةٍ، والصّورِ المتحرّكةِ... وغيْرِها، إلى شكْلٍ مقْروءٍ بِوساطةِ تِقنيّاتِ الحاسبَةِ الآليّةِ عبْرَ النّظامِ الثُّنائيّ (البيتات Bits)، والّذيْ يُعَدُّ وحْدةَ المعْلوماتِ الأساسيَّةَ لِنظامِ معْلوماتٍ يرْتكِزُ على الحاسِباتِ الآليّةِ، وتحْويل المعْلوماتِ والبياناتِ إلى مجْموعةٍ منَ الأرْقامِ الثُّنائيّةِ يُطلَقُ عليْها (الرّقْمنةُ)، وتَتِمُّ هذِه العمليّةُ بِاسْتخْدامِ مجْموعةٍ منَ التّقنيّاتِ والأجْهزَةِ المتخصّصَةِ. أمّا (شارلات بيريسي Charlette Buresi)، فإنّهُ يَنظُرُ إلى الرّقْمنةِ على أنّها عمليّةٌ مُمَنْهجَةٌ تسْمَحُ بِتحْويلِ المعْلوماتِ والبياناتِ مِنَ النّظامِ التّناظُرِيّ إلى النّظامِ الرّقْمِيّ.

وهناك مفْهومٌ ثالِثٌ لِمصْطلَحِ الرّقْمنَةِ قامتِ المكْتبَةُ الوطنيّةُ الكندِيّةُ بتبَنّيهِ، وهو لـ(دوج هودجز Doug Hodges)، أيْنَ يَعْتبِرُ الرّقْمنةَ على أنّها عمليّةٌ أوْ إجْراءٌ تِقَنِيٌّ يَلْجأُ إليْهِ الإنْسانُ بِغرَضِ تحْويلِ المحتوى الفِكرِيّ المتاحِ على وسيطِ تَخْزينٍ فيزْيائيٍّ تَقْليدِيٍّ، إلى شكْلٍ رقْمِيٍّ. فالرّقْمنةُ بِهذا المفْهومِ، تَعْنيْ:

1. فُرْصَةَ الحُصولِ على مجْموعاتٍ منَ النُّصوصِ الإلِكْترونيّةِ وإمْكانِ إدارَتِها.
2. تحْويلَ مصْدرِ المعْلوماتِ المتاحِ فيْ شكْلٍ ورَقِيٍّ أوْ على وسيطِ تخْزينٍ تقْليدِيٍّ إلى شكْلٍ إلِكْترونِيٍّ، أيْ: يُصْبِحُ النّصُّ التَّقْليدِيُّ نصًّا مُرَقْمنًا.

والسُّؤالُ الوجيهُ والّذيْ يَفْرِضُ نفسَهُ فيْ سِياقِ عرْضِنا هذا، هو: لِماذا الرّقْمنةُ؟ أوْ بِعبارَةٍ أُخرى: لِماذا تَتَّجِهُ مُؤسّساتُ المعْلوماتِ إلى رقْمنةِ مجْموعاتِها منْ مصادِرِ المعْلوماتِ؟

إنّ عمليّةَ تحْويلِ مصادِرِ المعْلوماتِ منَ الشّكْلِ التّقْليدِيّ إلى مجْموعاتٍ مُتاحةٍ على وسائطَ رقْميّةٍ حديثَةٍ، تُيَسِّرُ عمليّةَ الوُصولِ إلى المعْلومةِ والاِطِّلاعِ عليْها، وإمْكانِ إجْراءِ البحْثِ أَوِ الاِسْتعْلامِ داخِلَ النّصوصِ الكاملَةِ، والاسْتِعانةِ بِمجْموعاتٍ مِنَ الرّوابِطِ الفائقَةِ (HyperText) الّتيْ تُحيلُ القارىءَ مُباشرَةً أوِ المطَّلِعَ إلى النّصوصِ الّتيْ يُريدُ الاِطِّلاعَ عليْها، فضْلاً عنْ إحالتِهِ إلى المصادرِ الخارجيّةِ المرْتبِطةِ أساسًا بِموْضوعِ بحْثِهِ.

4- اللُّغةُ العربيّةُ فيْ عصْرِ الرّقْمنَةِ

واجهتِ المجامِعُ اللُّغويّةُ عنْدَ مُحاولَةِ رقْمنَةِ اللُّغةِ العربيّةِ عوائقَ كثيرَةً جعلتِ المجْهوداتِ المبْذولَةَ فيْ سبيلِ تحْقيقِ هذا المسْعَى النّبيلِ ضعيفةَ المرْدودِ، ولا تكادُ ترْقى إلى طُموحِ الشُّعوبِ العربيّةِ بِالنّظرِ إلى ما حقَّقَتْهُ اللُّغاتُ الأجْنبيّةُ منْ حُضورٍ دائمٍ، وانْتِشارٍ واسعٍ على الشّابكَةِ العَنكَبوتيّةِ وما تُتيحُهُ منْ أنْواعٍ شتّى مِنْ مِنَصّاتِ التّواصُلِ الاِجْتماعِيّ. ومنْ أهمّ العراقيلِ الّتيْ واجهَتْها المجامِعُ اللُّغويّةُ، نذْكُرُ:

- اِنْتِشارَ الأُمّيَّةِ فيْ الوطنِ العرَبِيّ، فهيَ تقارِبُ الثّلاثينَ بِالمائة (30%)، فضْلاً عنِ اِنْتشارِ الأُمّيّةِ المعْلوماتيّةِ.
- ضَعفَ وتيرَةِ التّأْليفِ، وبِالخُصوصِ حرَكة النّشْرِ وقلَّة شبكاتِ التّوزيعِ.
- الغيابَ شِبْهَ الكلّيّ لِدَورِ الجامعاتِ، ومراكزِ البحْثِ فيْ رقْمنَةِ المخْطوطاتِ.
- هشاشَةَ البِنيَةِ التّحْتيّةِ لِشبكاتِ الإنْترْنتْ، وضعْفَ المسْتوياتِ الاِقْتصاديَّةِ لِعامّةِ الشُّعوبِ فيْ الأوْطانِ العربيّةِ والإسْلاميّةِ، الأمْر الّذيْ يحولُ دونَ حُضورِها فيْ العالَمِ الرّقْميّ، والاِسْتِفادةِ مِمّا تُولّدُهُ هذِه التّكْنولوجيّا الحديثَةُ فيْ مجالِ المعْلوماتيّةِ.
- شُيوعَ الأخْطاءِ، فَمُعظَمُ مُحرّكاتِ البحْثِ تَعْتمِدُ أساسًا على خَوارزْميّاتٍ ثابتَةٍ تتعلَّقُ بِشيُوعِ الاِسْتعْمالِ بغَضّ النّظرِ عنِ السّلامةِ اللُّغويّةِ، فقضيَّةُ التّدْقيقِ اللُّغوِيّ إذنْ تُطْرَحُ بِحدَّةٍ وبِشكْلٍ كبيرٍ، فَكلّما كانَ اللَّفْظُ مُسْتعمَلاً أكْثَر، تعاملَتْ معَه مُحرّكاتُ البحْثِ على أنّهُ هوَ الصّحيحُ.

– اِنْتِشارَ ما يُعرَفُ بـ: (Franco-arabe) أوْ ما يُسمّيهِ المشارِقَةُ (العَربيزيْ)، وهو كتابةُ اللُّغةِ العربيّةِ بِالحُروفِ الأجْنبيّةِ.

– غيابَ المَوْسوعاتِ العربيّةِ المَوْثوقَةِ والمصادِرِ المَفْتوحةِ، أيْ ما يُعْرَفُ بـ: (Online Courses Massive Open)، وهيَ عبارَةٌ إنْجليزِيّةٌ تُخْتصَرُ فيْ: (MOOCs)، وتَعْنيْ: مجْموعةَ المواقِعِ المتخصِّصَةِ فيْ كلِّ فرْعٍ منَ العلومِ المرْتكزَةِ أساسًا على بَثِّ المعْلومةِ الموثَّقَةِ.

إنّ مجْموعَ هذِه العراقيلِ أثّرتْ بِشكْلٍ أوْ آخرَ فيْ حجْمِ المحتوى العربيّ الرّقْميّ المنْتَشِرِ فيْ الشّابِكةِ العَنكَبوتيّةِ ومُخْتلِفِ الوسائطِ الإلِكْترونيّةِ، هذا الحجْم الّذيْ لا يَرْقى ومكانةَ اللُّغةِ العربيّةِ وإشْعاعَها الثّقافيَّ العظيمَ كَلُغةٍ أُولى لِلْعلومِ والمعارِفِ، وقدْ كانَ هذا شأْنها فيْ الزّمنِ الغابِرِ؛ إذْ قدَّرتْهُ أكْبرُ مُحرِّكاتِ البحْثِ العالَميّةِ ولْيكُنْ (غوغل) مثلاً أوْ (ياهو) بِأَكْثرَ قليلاً منْ واحِدٍ بِالمائةِ (1%) منْ مُجْمَلِ المحْتوى الرّقْميّ العالَمِيّ.

إنّ لِلْمجامِعِ اللُّغويّةِ الدّوْرَ البارِزَ فيْ خِدمةِ اللُّغةِ العربيّةِ ورقْمنَتِها؛ وعليْهِ، فهيَ فيْ حاجةٍ ماسّةٍ إلى تكْوينِ أعْضاءٍ لِجانِها وبِالخُصوصِ لِجَنَةِ المعالجَةِ الإلِكْترونيّةِ ولِجَنةِ صِناعةِ المعاجِمِ، وتدْريبِهِمْ وِفاقَ بُحوثٍ علْميّةٍ مَدْروسَةٍ بِشكْلٍ جيّدٍ ومُنْهَجٍ فيْ كيْفيّةِ تَصْميمِ المعاجِمِ وصِناعتِها لِتوْليدِ المصْطلحاتِ وتوْحيدِها، فضْلاً عنْ حوْسبَةِ اللُّغةِ العربيّةِ. فَتنْميةُ المحْتوى العربيّ الرّقْميّ يتَطلّبُ أدواتٍ مَعْلوماتيّةً ضروريّةً وأساسيَّةً لِحوْسبَةِ اللُّغةِ العربيّةِ، وتحْليلِها بِشكْلٍ عمَلِيٍّ دقيقٍ، وإنّ على رأْسِ هذِه الأدواتِ لِأهَمّيّتِها: مُحرِّكاتِ البحْثِ، والمعاجِمَ.

وإذا نظرْنا إلى اللُّغةِ العربيّةِ فيْ إطارِ المعاجِمِ الموْضوعةِ لها، فإنّ نظْرَتنا حتْمًا ستُواجَهُ بِمُشْكلٍ مُعْجمِيٍّ كبيرٍ رُغْمَ كلِّ المجْهوداتِ المبْذولَةِ على يَدِ المجامِعِ اللُّغويّةِ المنْتشِرَةِ هنا وهُناكَ فيْ بعْضِ الأقطارِ العربيّةِ، ويتَمثَّلُ المشْكِلُ المعْجمِيُّ أنَّ أغْلبَ معاجِمِ اللُّغةِ العربيّةِ هيَ مُعْجماتٌ تاريخيّةٌ اِرْتبَطَ وُجودُها بِتاريخٍ مُعيّنٍ أوْ حِقْبَةٍ منَ الزّمنِ مُعيَّنةٍ، وغالِبًا ما تَنْتهيْ عنْدَ عصْرِ الاِسْتشْهادِ؛ لِأنّ واضِعِيّ هذِه المعْجماتِ اِنْطلَقوا مِنْ فِكرَةِ أوْ خلْفيّةِ الحِفاظِ على لُغةِ القُرْآنِ الكريمِ، هذِه الخَلْفيّةِ النّبيلَةِ الّتيْ تَشبَّعوا بِها وآمَنوا بِسُمُوِّ هدَفِها... ولكنْ، معَ ذلِك أثَّرتْ هذِه الخَلفيّةُ فيْ اللُّغةِ العربيّةِ كثيرًا، فقدْ قَصَرتِ اللُّغةَ على تِلك العُصورِ، فماتَتِ اللُّغةُ بِموْتِ تلْك العُصورِ، معَ أنّ الإنْسانَ فيْ حاجةٍ أكيدةٍ إلى كلماتٍ وتعابيرَ جديدةٍ لِلتّعْبيرِ عنْ مُسْتجدّاتِ العصْرِ وما أنْتجتْهُ التِّكْنولوجيّا الحديثَةُ منْ مُخْتَرعاتٍ جديدةٍ تَحْمِلُ مُصْطلحاتٍ جديدةً. فالمعاجِمُ العربيّةُ ضخْمةٌ جِدًّا، لكنّها اليوْمَ لمْ تُجْدِ الإنْسانَ العربِيَّ نفْعًا فيْ دراستِهِ لِلْعلومِ الحديثَةِ ولا حتّى فيْ مُتابعَةِ الإعْلامِ أوْ حتّى فيْ مُتابعَةِ اللُّغةِ الموازِيةِ المتحدَّثَةِ فيْ الشّارِعِ وفيْ مِنصّاتِ التّواصُلِ الاِجْتِماعِيّ،

وهذا لِأنّنا لمْ نُسايِرِ الرَّكْبَ الحضارِيَّ والتّطوُّراتِ وما يُصاحِبُها منْ مُصْطلحاتٍ وتعابيرَ جديدةٍ، فالفَجوَةُ إذنْ، كبيرةٌ وعميقَةٌ بيْننا وبيْنَ العالَمِ المتقَدِّمِ فيْ العلومِ الحديثَةِ. ولما كانتِ المعاجِمُ مُسْتَوْدَعَ اللُّغةِ وديوانَ حياتِها، وجَبَ أنْ تسْتجيبَ لِعصْرِ الرّقْمنَةِ بِمُواكبَةِ الجديدِ وتفصيحِهِ لِيكونَ فيْ مُتناوَلِ الشُّعوبِ العربيّةِ لِهذا العصْرِ. وأوّلُ عمَلٍ قامتْ بِهِ المجامِعُ اللُّغويّةُ فيْ ظلِّ تِقنيّاتِ الحداثَةِ الإلِكْترونيّةِ، هو إعادَةُ ترْتيبِ المعْجمِ العربيّ حسَبَ مُعْطياتِ الحاسوبِ، فأَوَّلُ ما تَصدَّى لهُ اللُّغويُّونَ والمشْتغِلونَ بِحَوْسبَةِ اللُّغةِ لِتكونَ العربيّةُ حيّةً ومُتصالحَةً معَ كلِّ جديدٍ، أنْ يَسَّروا أمْرَ الوُصولِ إلى مُفْرداتِ اللُّغةِ لِضمانِ حرَكيّةِ اللُّغةِ وبقائها.

ومِنْ أعْمالِ المجامِعِ اللُّغويّةِ، هوَ إحْياءُ فِكرَةِ المعْجَمِ التّاريخِيّ لِلُّغةِ العربيّةِ الّذيْ يُعَدُّ أكْبرَ بوّابَةٍ إلِكْترونيَّةٍ تُؤرّخُ لِلْعربيّةِ، وأهمَّ مُدوَّنَةٍ حاسوبيّةٍ رقْميّةٍ تُساعِدُ على إيجادِ كلمةٍ أوْ لفْظةٍ بِسُرعةٍ فائقَةٍ وبِسُهولَةٍ، وتُمكّنُ مُسْتعْمِلَها مِنْ تَتَبُّعِ اللَّفْظِ العربيّ فيْ أوّلِ اِسْتعْمالٍ لهُ وسِياقِ وُرودِه، والدّلالَةِ الّتيْ كانَ يَحْمِلُها، والتّغيُّراتِ الّتيْ طرَأَتْ عليْهِ منْ ناحيَةِ الشّكْلِ والصّوْتِ والتّهْجيّةِ، والبِنيَةِ الصّرْفيّةِ، وتَحوُّلِ دلالَتِه منْ معْنًى إلى آخرَ. ومنْ أعْمالِ المجامِعِ اللُّغويّةِ الأُخرى، هو إعْدادُ المعْجمِ التّداوُلِيّ، أيْ ذلِك المعْجمُ الّذيْ يسْتقْرىءُ ويَلْحَظُ مدى اِنْتِشارِ الكلماتِ واِسْتعْمالِها فيْ الوقْتِ الرّاهِنِ أوِ الأزْمِنةِ الماضيَةِ، ولِهذا نرى فيْ كتُبِ النّحْوِ التّعْليميّةِ كلمةَ (طَفِقَ) مثلاً، يكادُ يَخْلو نَصٌّ كامِلٌ أوْ مُؤلَّفٌ كامِلٌ مِنِ اِسْتخْدامِها. وعليْهِ، فالنّقائصُ كثيرَةٌ فيْ معاجِمِنا وتَحْتاجُ إلى إعادةِ النّظرِ فيْ صِناعتِها وفيْ الإبْداعِ عنْدَ صِناعتِها؛ لِأنّ الكثيرَ مِنْ هذِه النّقائصِ والصُّعوباتِ يُمْكِنُ تَذْليلُها فيْ عالَمِ الرّقْمنَةِ والحوْسبَةِ، هذا العالَمِ الحديثِ الّذيْ اِخْتصَرَ الأزْمنَةَ والجهودَ.

إنّ أوّلَ تحَدٍّ تُواجِهُه اللُّغةُ العربيّةُ على الشّابكَةِ العالَميّةِ، هو التّحَدّيْ المتعلّقُ بِنشْرِ اللُّغةِ العربيّةِ والنّتاجِ اللُّغوِيّ فيْ عصْرٍ باتَتْ فيهِ عمليّةُ السِّباقِ الثّقافِيّ والمعْرِفِيّ أمْرًا ذا بالٍ ومُثيرًا على مدارِ السّاعةِ الواحدَةِ؛ لِأنّ ذلِكَ " سيُحقّقُ لِثقافتِنا ولُغتِنا نقْلَةً نوْعيّةً هائلَةً، منْ حيْثُ وضْعُهُما فيْ موْقِعِ الثّقافاتِ العالَميّةِ السّائدةِ الآنَ، ويَفْتَحُ أمامَهُما فُرَصَ التّلاقيْ والتّفاعُلِ معَ حامِليّ تلْك الثّقافاتِ منْ جانِبٍ، ومنْ جانِبٍ آخرَ يُعيدُ ربْطَ الملايين منَ المهاجِرينَ والمغْتربينَ العربِ والمسْلمينَ فيْ العالَمِ بِثقافَتِهِمْ العربيّةِ والإسْلاميّةِ، ويُنمّيْ منْ خلالِهِمْ حركَةً ثقافيّةً وفِكريَّةً عربيّةً فيْ مواطِنِهِمْ الجديدةِ، ويُؤَسّسُ لِتلْك الثّقافَةِ وُجودًا جديدًا فيْ تلْكَ الأصْقاعِ منَ العالَمِ البعيدِ عنْ ثقافَتِنا الحاليَةِ، ويَكْسِرُ حاجِزَ الجهْلِ المطْبَقِ الّذيْ تَعيشُهُ شُعوبُ وأُمَمُ الأرْضِ حوْلَ ثقافَتِنا العربيّةِ قَديمِها وحديثِها، ورُبّما يُعيدُ لِهذِه الثّقافَةِ وحامليها الاِعْتِبارَ لَدى أُمَمِ الأرْضِ المعاصرَةِ "[19].

إنّ مسؤوليّةَ المجامعِ اللُّغويّةِ فيْ ترْقيَةِ اللُّغةِ العربيّةِ جسيمةٌ، وعلى الأعْضاءِ المنتمينَ لها أنْ يُثْبِتوا وبِجدارَةٍ أنّ اللُّغةَ العربيّةَ قادرَةٌ على مُواكبَةِ هذا التّدفُّقِ المعْرِفيّ الهائلِ واللاّمَحْدود، وأنْ يُثْبِتوا خطأ تَوقُّعاتِ المفكِّرِ البريطانِيّ (مول جونسون) حينَ رأى أنّ العالَمَ العربِيَّ سَيدْخُلُ القَرْنَ الواحِدَ والعِشْرينَ وهُمْ أقلُّ أهمِّيَّةً مِمّا كانوا عليْهِ فيْ السّابِقِ. فعلى المجامِعِ اللُّغويّةِ أنْ تَعْمَلَ على رقْمنَةِ اللُّغةِ العربيّةِ فيْ ظلِّ لُغةٍ تَجْمعُ كلَّ الشُّعوبِ العربيّةِ، وتُقدِّمَها لِلْعالَمِ بِطريقَةٍ صحيحةٍ، فإنَّ " نُظُمَ المعْلوماتِ، هيَ حِصانُ طرْوادَةَ الّذيْ يُمْكِنُ أنْ يُشْعِلَ جذْوَةَ التّغْييرِ فيْ قلْبِ المؤَسَّسَةِ العربيّةِ، شريطةَ إدْخالِها بِأُسْلوبٍ مَنْهجِيٍّ فعّالٍ، بلْ ويُمكِنُ منْ خِلالِها إزالةُ الآثارِ السّلْبيَّةِ لِكثيرٍ منْ تراكُماتِ الماضيْ، حيْثُ تَحُثُّ نُظُمُ المعْلوماتِ على أنْ نُفكِّرَ فيْ المشاكِلِ بِنظْرَةٍ جديدةٍ، ومنْ مَنْظورٍ مُخْتلِفٍ"[20].

خاتِمة

اللُّغةُ كائنٌ مُتطوِّرٌ مثْلُهُ مِثْل أيّ كائنٍ على وجْهِ الأرْضِ، ولِكلِّ لُغةٍ قواعِدُ ونَحْوٌ، والنّحوُ يَتغيَّرُ بِتغيُّرِ اللُّغةِ عبْرَ تغيُّرِ الأزْمانِ. وبِما أنّ اللُّغةَ ظاهرَةٌ اِجْتماعيّةٌ، فإنَّ القواعِدَ الّتيْ ضبَطَتِ الكلماتِ فيْ وضْعٍ مُعيَّنٍ، إنّما بُنِيَتْ أساسًا على ما سُمِع عنِ العرَبِ ولمْ تُبْنَ على قِياسٍ عقْلِيٍّ.

وعليْهِ، باتَ لِزامًا علينا نحْنُ الباحثينَ والدّارسينَ أنْ نَطرَحَ اِنْشِغالاً وجيهًا يَهُمُّ واقِعَ اللُّغةِ العربيّةِ حينَ تراجعَتْ مكانتُها فيْ المجْتمعاتِ العربيّةِ، ولمْ يَقَعْ هذا التّراجُعُ إلاّ بِسبَبِ قُصورِ أهْلِها، فنَعيبُ الزّمانَ والعَيْبُ فينا، نَعيبُ اللُّغةَ العربيّةَ قائلينَ: ليْسَتْ لُغةَ العلْمِ والتّكنولوجيا... والعيْبُ كامِنٌ فينا!

فلا رقْمنَةَ، ولا اِنْتِشارَ كاسِحٍ لِلُّغةِ العربيّةِ فيْ مِنصّاتِ التّواصُلِ الاِجْتماعيّ بِشتّى أنْواعِها، ولا فيْ حَوْسبتِها إلاّ بِالرُّجوعِ إلى الأصْلِ الّذيْ يُعَدُّ فضيلَةً، أيْ الرُّجوعُ إلى:

- إثْباتِ الهُويّةِ، والاِنْتماءِ.
- تقْويَةِ الاِقْتصادِ، وتنْويعِه.
- إحْياءِ الثّقافةِ العربيّةِ بِكلِّ تجلّياتِها وتَنوُّعِها.

هذا، وفيْ الختامِ أمْكنَ لنا مِنْ بابِ الاجْتِهادِ المتواضِعِ، أنْ نَعْرِضَ بعْضَ الاِقْتِراحاتِ الّتيْ نراها مُناسبَةً لِردِّ العِزَّةِ لِلُغةِ الضّادِ وتكْثيفِ اِنْتِشارِها على الشّابِكةِ العَنْكبوتيَّةِ فيْ إطارِ الرَّقْمنَةِ، والمتمثِّلَةِ فيْ النِّقاطِ التّاليَةِ:

- وضْعُ معاجِمَ لُغويّةٍ حديثةٍ رقْميّةٍ.

– توْطيدُ العلاقاتِ وتفْعيلُها بيْنَ المجامِعِ اللُّغويّةِ وجميعِ الدُّولِ العربيّةِ (توْحيد الرُّؤى، وتجْسيد الأهدافِ المشْتركَةِ).

– توْحيدُ المصْطلَحاتِ العلْميّةِ واللُّغويّةِ والأدبيّةِ، وضبْطُ مفاهيمِها.

– تشْجيع التّرْجمَةِ، والتّعريبِ، والتّأْليفِ فيْ مُختلِفِ الميادينِ، وعلى رأْسِها: الميْدانُ العلْميُّ بِغرَضِ الممارسَةِ اللُّغويّةِ.

– ترْجمَة الرّوائعِ الأدبيَّةِ، والفنّيَّةِ، والعلْميَّةِ العالَميَّةِ.

– بعْث التُّراثِ اللُّغويّ العرَبيّ فيْ شكْلِ مشاريعَ بحْثيَّةٍ أو أكاديميَّةٍ لِلْحِفاظِ على الإرْثِ الحضاريّ التّليدِ الّذيْ أنْجبَنا منْ جهةٍ، ومُواكبَةِ مظاهرِ الحداثَةِ والتِّكْنولوجيا منْ جهةٍ أُخْرى وَالّتيْ وَلَّدَها اِجْتِهادُ الأُممِ فيْ ظلِّ العَوْلمةِ.

– تشْجيع كلِّ المبادراتِ لِانْتِشارِ اللُّغةِ العربيّةِ فيْ مِنصّاتِ التّواصُلِ الاِجْتِماعيّ، واِسْتعْمالِها اِسْتعْمالاً صحيحًا، وبِالطّريقةِ السّليمةِ، وتطْويرِها بِالاِعْتِمادِ على الرّقْمنَةِ.

– أنْ نرْفَعَ التّحدّيْ بِإيجادِ سياساتٍ لُغويَّةٍ بِغرَضِ تعْزيزِ المحْتوى الرَّقْميّ لِهذِه اللُّغةِ، وأولى السّياساتِ: إحْصاءُ المحْتوى العربيّ على الشّابكَةِ العنْكبوتيَّةِ، أيْ الإنْتاج المبْثوثُ على الإنْترْنَتْ، وإجْراءُ مُقارنَةٍ بيْنَه وبيْنَ الإنْتاجِ غيْرِ العربيّ لِمعْرِفةِ أسْبابِ تقَهْقُرِ اللُّغةِ العربيّةِ.

– برْمجَة تخْطيطٍ لُغويٍّ واضِحٍ منْ قِبَلِ الهيئاتِ المشرِفَةِ فيْ كلِّ مُسْتوياتِها على تنْميَةِ اللُّغةِ العربيّةِ، وترْقِيَتِها.

ثبْتُ الإحالاتِ:

1- ريشليو (الكردينال دي...) Richelieu (1585–1642م)، منْ كبارِ رجالِ السّياسةِ الفرنْسيّينَ، وزير لويس الثّالثَ عشرَ، أسَّس الأكاديميّةَ الفرنْسيّةَ.

2- نابليون Napoléon (1769–1821م)، ولِد فيْ أجاكسيو منْ عائلةِ بونابرْت. إمْبراطور فرنْسا 1804–1815م. اِشتهَرَ فيْ حمْلةِ إيطاليا الأولى عام 1794م، و فيْ الثّانية عام 1796م. قادَ حمْلةً على مِصْرَ عام 1798م إلى غايَةِ عام 1799م، واِنْتصرَ فيْ معرَكةِ الأهْرامِ. جَلبَ منَ الفاتيكان إلى مصْرَ أولى مطْبَعةٍ عربيَّةٍ (مطْبعة بولاق). تقلَّدَ منْصِبيْنِ سياسيْنِ، وهما: قُنْصُلٌ أوّلُ عام 1799م، ثمَّ قُنْصُل مدى الحياةِ عام 1800م. عمِلَ على ربْطِ الكنيسةِ الكاثوليكيّةِ الفرنْسيّةِ بِالدّولَةِ عامَ 1801م، كما نشَرَ القانونَ المدَنِيَّ عامَ 1804م، إلى أنْ لُقِّبَ بِالإمْبراطورِ عامَ 1804م. اِنْزوى فيْ جزيرَةِ إلْبا، لِيعودَ إلى باريسَ بعْد شُهورٍ قليلَةٍ ويَنْهزِمَ فيْ معْرَكةِ واترْلو 1815م بعْدَ تحالُفِ أوروبا ضِدّهُ. نُفِيَ إلى جزيرَةِ القِدّيسَةِ هيلانةَ أيْنَ تُوُفِّيَ بِها.

3- صالح بلْعيد: مقالاتٌ لُغويّةٌ، دارُ هومةَ، الجزائر، (د.ط)، 2004، ص: 119.

4- د/عليّ القاسميّ: علْمُ المصطلَحِ، أُسُسهُ النّظريَّةُ وتطْبيقاتُهُ العلْميّةُ، مكْتبةُ لُبْنان ناشرونَ، 2008، ص: 243.

5- صالح بلْعيد: مُحاضراتٌ فيْ قضايا اللُّغةِ العربيّةِ، دارُ الهُدى، الجزائر، (د.ط)، 1999، ص: 118.

6- حامد صادِق قنيبيْ: مَباحِثُ فيْ علْمِ الدّلالَةِ والمصْطلَحِ، ص: 207.

7- المرْجِعُ نفسُهُ، والصّفحةُ نفْسُها.

8- عزّة حسين عزّاب: المعاجِمُ العربيّةُ، ص: 322.

9- حامد صادِق قنيبيْ: مَباحِثُ فيْ علْمِ الدّلالَةِ والمصْطلَحِ، ص: 209.

10- المرْجِعُ نفْسُهُ، ص: 210.

11- أحْمد مُخْتار عُمر: البحْثُ اللُّغويُّ عنْدَ العرَبِ، عالَمُ الكتُبِ، القاهرَةُ/(ج.م.ع)، (د.ط)، 2003، ص: 325.

12- حامد صادِق قنيبيْ: مَباحِثُ فيْ علْمِ الدّلالَةِ والمصْطلَحِ، ص: 210.

13- صالح بلْعيد: مُحاضراتٌ فيْ قضايا اللُّغةِ العربيّةِ، ص: 20.

14- حامد صادِق قنيبيْ: مَباحِثُ فيْ علْمِ الدّلالَةِ والمصْطلَحِ، ص: 208.

15- عبْد الكريم خليفة: اللُّغةُ العربيّةُ والتّعريبُ فيْ العصْرِ الحديثِ، دارُ الفُرْقانِ،عُمان/الأُرْدُن، ط3، 1992، ص: 265.

16- د/عليّ القاسميّ: علْمُ المصطلَحِ، أُسُسهُ النّظريَّةُ وتطْبيقاتُهُ العلْميّةُ، مكْتبةُ لُبْنان ناشرونَ، 2008، ص: 253.

17- الجريدةُ الرّسْميّةُ لِلْجُمْهوريّةِ الجزائريّةِ: الأرْبعاء 14 ذو الحِجّة عام 1406 هـ، الموافِق لـ: 20 غشْتْ 1986م، ع66، 2001، المادّةُ الأُولى، ص: 1420.

18- عبْدُ الرّحمن الحاج صالح: الاِفْتِتاحيّة، مجلّة المجْمَعِ الجزائريّ لِلُّغةِ العربيّةِ، المؤسّسَةُ الوطنيّةُ لِلْفُنونِ المطْبعيَّةِ، الجزائر، ع3، 2005، ص: 9.

19- سُليْمان العسْكريّ: عالَمُنا العربيُّ، ومُسْتقْبَلُ النّشْرِ الإلِكْترونيّ، مجلّةُ العربيّ، ع506، 2001.

20- د/نبيل عليّ: العرَبُ وعصْرُ المعْلوماتِ، عالَمُ المعْرِفةِ، الكويت، رقْم 184، 1994، ص: 173.

جزيرة صقلية بين الوجود الإسلامي والغزو النورماني

الدّكتور: عبد الغني حروز

أستاذ محاضر " أ"

جامعة محمد بوضياف المسيلة

abdelghani.hrouz@univ-msila.dz

جزيرة صقلية بين الوجود الإسلامي والغزو النورماني

تعتبر جزيرة صقلية من الأماكن التي اجتمعت فيها جل الصفات الطبيعية والجغرافية الملائمة للاستقرار و العيش برخاء، هذه العوامل جعلتها من أكثر الأماكن طلبا ورغبة في احتلالها من طرف مختلف الأجناس لاعتبارات متعددة، بداية بمن سكنها أولا و هم أنفسهم الصقليون منذ أكثر من ألف سنة، مرورا بالبيزنطيين والمسلمين وصولا إلى النورمان،(483هـ- 1091م)[1].

1- الموقع الجغرافي لجزيرة صقلية :

كلمة صقلية تضبط بكسر كل من حرف الصاد والقاف واللام مع التشديد على حرفي اللام والياء، أيضا يمكن أن تنطق بدايتها بحرف السين ، حيث إن الكثير من سكانها كانوا ينطقون الكلمة على نحو يفتح فيه كل من حرفي الصاد واللام كصَقَلِّيَةُ[2]. وصقلية جزيرة على شكل مثلث نوعه متساوي الساقين لهذا سميت قديما ب: اتريناكيبا، تقع شرق الأندلس، يحدها من الغرب بلاد افريقية وكل من مدنباجة، طبرقة، ومرسى الخرز[3]، ومن الجنوب جزيرة قوصرة[4]، ومن الشرق القسطنطينية ونواحي قلورية[5]،وتقابل جغرافيا افريقية وتبلغ المسافة بينهما أربعين ميلا[6].حيث إن مثلث الجزيرة تبلغ مساحته 25461 كلم[2]، وتعتبر الجزيرة الجسر الواصل بين الجهة الشمالية المتمثلة في أوروبا والجهة الجنوبية التي تمثلها قارة أفريقيا، وساعدت كثيرا على انتقال مختلف الأجناس من الشمال إلى الجنوب[7]، كما أن الجزيرة

1- محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 900هـ / 1496م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق : إحسان عباس، مكتبة بيروت، 1975م، ص 366.

2- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي الحموي (ت 626 هـ /1228م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت ، د . ت، ج3، ص 416 .

3- مرسى الخرز: مدينة شرق بونة بالقرب من باجة، تتميز بكثرة المرجان اشتهرت بصناعة السفن والمراكب البحرية. ينظر: - الحميري، المصدر السابق، ص 538 .

4- جزيرة قوصرة : جزيرة قليلة السكان يقال تسكنها أرواح شريرة مم قلل السكان فيها، تحاذي صقلية من جنوبها. ينظر: - أبو عبد الله شمس الدين ابي عبد الله محمد ابي طالب الصوفي الدمشقي(ت 727 / 1328 م)، **نخبة الدهر وعجائب البر والبحر**، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، ألمانيا، 1865م، ص 20-141.

5- قلورية : مدينة شرق جزيرة صقلية، دخلها إبراهيم بن الأحمد بن الاعلب فهرب منها سكانها الأصليون. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 470 .

6- نفسه، ج4، ص392 .

7- احمد توفيق المدني، **المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا**، مكتبة الإستقامة، تونس، د . ت، ص9 .

في جزئها الجنوبي العلوي مرتبط بإيطاليا ، أما السفلي فهو مرتبط بالشمال الأفريقي عن طريق سلسلة من الجبال التلية ، هذا التواصل الجغرافي أكد على وجود تواصل من نوع آخر ، جمع بين أوروبا وأفريقيا عبر فترات زمنية مختلفة[1].

والإدريسي أجزل في وصف الجزيرة بمختلف ما تحتويه طبيعيا والقول عنها إنها جنة الله في الأرض، لما تحتويه من مميزات طبيعية ومواقع اِستراتيجية جعلتها مطمعا للكثير من الأجناس لِاستيطانها ونهب خيراتها و ثرواتها حيث يقول عن صقلية : " أما جزيرة صقلية فأقدارها خطيرة وأعمالها كثيرة وبلادها كثيرة ومحاسنها جمة ومناقبها ضخمة[2]".

وكان لِابن جبير نصيب في مدحها والحديث عن محاسنها بالقول: " وخصب هذه الجزيرة أكثر أن يوصف مشحونة بالأرزاق على اِختلافها مملوءة بأنواع الفواكه وأصنافها."[3]

إضافة إلى هذا تتميز الجزيرة بكثرة الجبال مثل جبل مدينة قصريانة الذي صنفه المؤرخون بأنه أعجوبة من عجائب الدهر[4]، وجبل النار الذي يحمل في جوفه الحمم والنيران، ويقال إن غالب الجزيرة هو الجبال[5] والقلاع والحصون ، ففي مدينة بلرم[6] يوجد صور عظيم وشامخ من الحجارة يعتبر سدا منيعا ضد الأعداء وصور في مدينة الخالصة ، وفي بنيانها يصفها اِبن جبير أنها الأخت الشقيقة لقرطبة[7].

أما المناخ الذي ساد الجزيرة فإنه يميل إلى الاِعتدال ، فصل شتاء بارد وممطر و صيف حار ، أما الجو الغالب على المنطقة فهو المعتدل خاصة مدينة بلرم التي تشهد أجواء ربيعية طوال السنة لذا سميت "بلاد الربيع الأبدي"، وكانت المستقر الدائم للملوك وعائلاتهم على مدار الأزمنة[8] .

1- المدني ، المرجع السابق/ 9 ، 10 .

2- أبو الحسين محمد بن أحمد الكيماني الأندلسي البلنسي اِبن جبير (ت 614 هـ / 1258 م)، **رحلة اِبن جبير**، دار صادر، بيروت، ص 290 – 293 .

3- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي (ت 560 هـ / 1165 م)، **نزهة المشتاق في اِختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د . ت، ص590 .

4- الحموي، المصدر السابق، ج3، ص417.

5- المدني، المرجع السابق، ص 12.

6- بلرم: عاصمة جزيرة صقلية وقاعدتها العسكرية، تقابلها مدينة الخالصة، تتميز بشكلها المستطيل، أشهر أسواقها سوق السماط. ينظر:- الحميري، المصدر السابق، ص102،101. وكذلك:- الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 483.

7- اِبن جبير، المصدر السابق، ص 305 ، 306 .

8- المدني، المرجع السابق، ص 13، 14 .

2- المسلمون في صقلية قبل الغزو النورماني :

مع اِتساع حركة الفتوحات الإسلامية مشرقا ومغربا خاصة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13هـ/23هـ)، وعهد عثمان بن عفان (23هـ/35هـ)، وانتصار المسلمين في معركة ذات الصواري[1] سنة (31هـ/651م)[2]، بدأ المسلمون بالاِهتمام بالبحرية وتطويرها، وبدأت أنظارهم تتجه نحو السيطرة على سواحل بحر الروم وجزيرة صقلية ، التي كانت خاضعة للحكم البيزنطي حيث كانت ثغرا من ثغورها .

أما أول من فكر في غزو صقلية هو معاوية بن أبي سفيان، حيث عندما كان واليا على الشام أرسل معاوية بن حديج[3] لفتح صقلية[4]، وبعد قيام الدولة الأموية تذكر المصادر أن معاوية بن حديج والي إفريقية أرسل حملة لغزو صقلية في مائتي مركب[5]، فسبوا وغنموا ورجعوا إلى إفريقية سنة (46هـ/ 667م)، ثم توالت الحملات الإسلامية على صقلية وكانت إفريقية منطلقها جميعا ، إلا أن الحملات توقفت فترة من الزمن سنة (135هـ/ 753م)، وذلك بسبب الفتن وثورات البربر[6].

1- ذات الصواري: معركة حدثت سنة أربعين و ثلاثين، و قيل سنة إحدى و ثلاثين ، كانت بين المسلمين و الروم بين معاوية وقسطنطين. ينظر: - أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المدعو اِبن الأثير (ت 630 هـ/1233م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج3، ص 30،31.

2- نفسه، ج3، ص 14.

3- معاوية بن حديج التيجيني: قائد عسكري عين واليا على إفريقية ، بعدها دخلها فاتحا سنة (45 هـ / 665م) ،عين واليا على مصر، حتى عزل من طرف عقبة بن نافع الفهري. ينظر : محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ط 4، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1979م، ص 19.

4- ميخائيل أماري، **المكتبة العربية الصقلية**، دار صادر، بيروت، 1857م، ص 426 .

5- أحمد بن يحي بن جابر البلاذري (ت 279 هـ/ 893م)، **فتوح البلدان**، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، 1987م، ص 329 .

6 - اِبن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 97 .

وفي سنة (212هـ/828م) شرع زيادة الله بن الأغلب[1] في فتح صقلية ، فقام بتولية الفقيه أسد اِبن الفرات[2] فقيه الدولة الأغلبية وقاضيها على رأس جيش لفتح صقلية[3]، وذلك حين اِستنجد به قائد البحرية البيزنطي أوفيميوس المدعو" فيمي"[4]، فاِستغل زيادة الله بن الأغلب هذه الفرصة من أجل فتح الجزيرة ، فنزل أسد بن الفرات بصقلية وتوغل فيها حتى وصل إلى سرقوسة[5]وفرض عليها حصارا ، حتى توفي هناك إثر وباء سنة (213هـ/829م)[6] بعد أن مهد السبل لفتحها، وفي سنة (214هـ/830م) حيث وصل دعم إلى المسلمين من الأندلس وإفريقية وعزز قوتهم هذا الدعم أدى إلى فتح مدينة بلرم التي اِتخذوها عاصمة لهم سنة(216هـ/832م)[7].

وفي سنة (244هـ/859م) تم فتح مدينة قصريانة[8]، وبهذا بدأت مرحلة جديدة من الفتح النهائي لمدينة سرقوسة التي تم فتحها سنة (264هـ/887م)[9]، وبعدها تم فتح مدينة طبرمين[10] سنة (289هـ/903م).

---

1 – زيادة الله بن الأغلب: (ت 201/ 816 م) ، ثالث أمراء الأغالبة ، جاء بمرسوم التقليد ، ولي على إفريقية عقب وفاة أبيه أبي العباس.ينظر:– أبو عبد الله محمد بن عبد الله القذاعي البلنسي بن الآبار (ت658هـ/ 1260م)، **الحلة السيراء** ، تحقيق : حسين مؤنس، ط :2 ، دار المعارف ،د.م ، 1985م، ص 165 .

2 – أسد بن الفرات: من موالي بني سليم ، ولد بحران سنة (145هـ/758م)، يؤثر عليه القول:" أنا الأسد، والأسد خير الوحوش، وأبي الفرات و الفرات خير الماء".ينظر:– أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي و الأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص 114 .

3 – محمود إسماعيل، **الأغالبة وسياستهم الخارجية** ، ط:3 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2000م، ص37.

4 – اوفيميوس: قائد البحرية البيزنطية ، قاد عدة حملات على الشمال الإفريقي، كان في صراع مع قسطنطين وإلي صقلية. ينظر: – عزيز أحمد، **تاريخ صقلية الإسلامية**، ترجمة: أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب، د.م، 1980م، ص 13.

5– سرقوسة: هي مدينة صقلية يحيط بها البحر من كل الجهات، تعتبر من الواجهات الكبرى لصقلية. ينظر:– الحميري ، المصدر السابق ، ص317 ، 318.

6– أبو عبد الله محمد المراكشي بن عذارى (ت 712هـ/ 1313م) ، **البيان المغرب في أخبار إفريقية والمغرب**، تحقيق: س كولان، اليفي بروفنسال، ط: 3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج1، ص 102.

7 – إحسان عباس، **العرب في صقلية دراسة في التاريخ و الأدب**، دار الثقافة، د.م، 1975م، ص35.

8 – اماري، المرجع السابق، ص 405.

9 – اِبن الاثير، المصدر السابق، ج6، ص 279.

10 – طبرمين: هي حصن منيع بصقلية ، بلد رفيع بأقدميته وحضارته وخيراته. ينظر: – الحميري ، المصدر السابق، ص 385.

وبهذا يكون المسلمون قد أتموا فتح كامل الجزيرة بعد حملات كثيرة إستمرت لسنين من الزمن وإستطاعوا بفتح صقلية السيطرة على بحر الروم بعد إجلاء البيزنطيين عنها[1].

ويعد فتح جزيرة صقلية أهم عمل قام به الأغالبة، حيث أصبحت صقلية حاضرة إسلامية مثل الأندلس، وقد كانت فترة حكم الأغالبة للجزيرة كلها فترة جهاد وفتح[2]، وهذا لم يمنع الأغالبة من الإهتمام بالشؤون الإقتصادية والإجتماعية والعلمية[3].

حيث تميزت فترة حكمهم بالتسامح الديني فسمحوا للمسيحيين بممارسة معتقداتهم وطقوسهم الدينية ولم يأخذوا الجزية عن الأطفال والنساء والشيوخ كما أدخلوا إلى الجزيرة غراسة القطن وزراعة الحمضيات[4]، كما إهتم المسلمون في صقلية بالجانب العمراني حيث عرف إزدهارا كبيرا[5] وإهتموا بالعلم والعلماء حيث كانت المساجد والكتاتيب لتدريس الطلاب، وبعد سقوط دولة الأغالبة على يد الفاطميين أصبحت صقلية تابعة لها ، حيث عين عبيد الله المهدي[6]، الحسن بن محمد إبن أبي خنزير على صقلية سنة (297هـ/911م)[7]، فثار عليه أهلها[8]، وبهذا إشتدت الفتن في البلاد بين أهل صقلية وأمرائها من سنة (325 هـ/938م- 329هـ/942م)[9] .

---

1 – محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 38 ،39.

2 – المدني، المرجع السابق، ص 112.

3 – أبو القاسم بن حوقل (ت367 هـ/978 م)، **صورة الأرض**، مطبعة بريل المسيحية، ليدن، 1372، ص51.

4 – المدني، المرجع السابق، ص 210 .

5 – نفسه، ص 207 .

6 – عبيد الله المهدي : أبو محمد عبيد الله ، أول داعية للخلافة الفاطمية ، قيل ولد (266هـ / 881م) ، دعي له بالخلافة في القيروان (ت 322هـ/ 935 م) بالمهدية .ينظر : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت618هـ/1283م)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،د.ت، ج1، ص 117- 119 .

7- الحسن بن محمد بن أبي خنزير: قائد عسكري بربري، عينه عبيد الله المهدي واليا على صقلية، ناصر الشيعة الفاطميين و أيدهم .ينظر : – المدني ، المرجع السابق، ص 129.

8- أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت808هـ/1406م) ، كتاب العبر **ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج4، ص 264.

9- إبن الأثير، المصدر السابق،ج7، ص 132.

ومع اِنتقال الحكم في إفريقية إلى المنصور بالله بن إسماعيل[1] الذي ولى على صقلية أبا الغنائم الحسين علي بن أبي الحسين الكلبي[2]سنة(336 هـ/948 م)[3] ، الذي عمل على توطيد الحكم لأسرته واِستمر حكم الكلبيين على الجزيرة حتى سنة(435 هـ/1044م)، بعد الثورات والفتن على الصمصام آخر الأمراء الكلبيين[4].

ولى أمر الجزيرة إلى قادة الجند أمراء الطوائف، حيث اِنقسمت صقلية ، فاِستقل اِبن الثمنة[5]،ببلرم وسرقوسة ، واِنفرد اِبن الحواس علي بن النعمة[6]بـ : قصريانة[7]وجرجنت[8]، وتذكر المصادر أن خلافا وقع بين اِبن الثمنة و زوجته، فهربت إلى أخيها اِبن الحواس وأبت العودة إلى زوجها[9]، فجهز اِبن الثمنة جيشه لمحاربة اِبن الحواس واِلتقى الجيشان في معركة هزم فيها اِبن الثمنة سنة(444 هـ/1053م)، فلجأ اِبن الثمنة إلى النورمان حكام إيطاليا ، فسهل لهم بهذا سبل الدخول إلى صقلية واِحتلالها[10]، هذا عن الجانب السياسي، وتعاقب الأمراء على الحكم بجزيرة صقلية الإسلامية حتى سقوطها في يدي النورمان.

أما فيما يخص الجوانب الأخرى الاِجتماعية و الاِقتصادية والعلمية في الجزيرة إبان الحكم الفاطمي والأمراء الكلبيين، فإن التركيبة الاِجتماعية لصقلية الإسلامية من حيث الجنس فهم العرب الذين عمروا

---

1 – المنصور بالله إسماعيل : الملقب بالمنصور بالله بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية، كان بليغا فصيحا و شجاعا، هو الذي بنى مدينة المنصورية (ت 341 هـ/ 952م) ، دفن بالمهدية . ينظر:- اِبن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 234 – 236 .

2- أبو الحسن الكلبي: عين واليا على صقلية سنة (336هـ/ 948م) من طرف المنصور بالله الخليفة المهدي ، بغرض جمع شتات المسلمين بها و إيقاف الحروب الأهلية، فنجح في ذلك. ينظر: – المدني، المرجع السابق، ص 143 .

3 – إحسان عباس، المرجع السابق، ص 44.

4 – اِبن خلدون، المصدر السابق ، ج 4، ص 269.

5 – اِبن الأثير، المصدر السابق ، ج7، ص 132 .

6 – اِبن الثمنة: محمد بن إبراهيم صاحب سرقوسة، قائد عسكري ظهر في فترة اِستيلاء المسلمين على صقلية. ينظر: – عزيز أحمد، المرجع السابق، ص 440 .

7 – اِبن الحواس: علي بن النعمة، قائد عسكري، اِستولى على قصريانة و جرجنت والقصر الجديد. ينظر: نفسه، ص430.

8 – جرجنت: حصن من حصون صقلية، تميزت بحضارتها القديمة و عمرانها ، تجتمع فيها الكثير من الأسواق ، مع مختلف الصناعات مثل : صناعة السفن والمراكب. ينظر: المدني، المرجع السابق، ص 217.

9 – اِبن خلدون، المصدر السابق ،ج4، ص 269.

10 – أماري، المرجع السابق، ص 474.

الجزيرة مع بداية الفتح، وكذلك البربر القادمين من إفريقية والفرس[1]، خاصة مع سيطرتهم على الجزيرة، كذلك نجد أهل الذمة الذين قبلوا بالجزية، إضافة إلى العبيد.

أما على النظم الإدارية، فكانت تابعة للخلافة الفاطمية[2] أين ظهرت الوزارة و الكتاب، والوزير كانت له صلاحيات كبيرة، حيث كان يتصرف في الشؤون المالية كالضرائب، كما كانت له سلطات عسكرية، كما عرفت صقلية نظام الحجابة فقد كان الأمراء والوزراء يتخذون الحاجب، وعرفت نظام الدواوين، مثل: ديوان الإنشاء، ديوان الصناعة وديوان الخمس[3].

وكان اِقتصاد صقلية الزراعي في العهد الفاطمي يقوم على نظام ري ممتاز، فقد أدخلت إلى الجزيرة أساليب الري الفارسي[4]، كما اِحتفظوا بالنظام البيزنطي للري، واِهتموا بالصناعة التعدينية مثل: الذهب والفضة وصناعة النسيج، حيث كان الحرير في صقلية رائجا[5]، وكانت التجارة نشطة بين صقلية وإفريقية ومصر[6].

واِزدهرت الصناعة في صقلية بفضل العرب حيث اِستخرجوا ثرواتها الطبيعية من نحاس وكبريت والرخام و الغرانيت، وأدخلوا إليها صناعة الحرير و فن صباغة المنسوجات.[7]

أما من الناحية العلمية، فإن صقلية لما كانت في أيدي المسلمين تميزت بكثرة العلماء والأدباء و الفضلاء مضاهية في ذلك الأندلس.[8]

3- أصل النورمان:

تعددت الآراء حول أصل النورمان، حيث ذكروا بعدة أسماء منها: النورمان، الفايكينغ، والاردمانيون والمجوس[9]، ولفظ النورمان مشتق من الاِسم اللاتيني NORTHMEN الذي يعني سكان الشمال، أما

---

1 - إحسان عباس، المرجع السابق، ص 65 .

2 - نفسه، ص 62، 63.

3- نفسه، ص 55 .

4- أمين توفيق الطيبي، **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية**، ط: 1، اِقرأ للطباعة و النشر، طرابلس، 1990، ص 190.

5- المدني، المرجع السابق ص211.

6- عزيز أحمد، المرجع السابق، ص46.

7- غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هينداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012م، ص321، 322.

8- الدمشقي، المصدر السابق، ص 140.

9- الحميري، المصدر السابق، ص 89.

الاردمانيون مشتقة من الكلمة اللاتينية NORDMANNI، وهذا اللفظ محرف عن النورمانيين مثل عادة أهل الأندلس في قلب النون همزة[1].

ولفظ الفايكينغ أطلق على سكان شبه جزيرة اسكندناوا القدامى شمال غرب أوروبا المليئة بالخلجان، وهم الدانماركيون والنرويجيون والسويديون وكلهم يرجع إلى أصل انجلوسكسوني[2].

كما لقبوا بالمجوس لأنهم كانوا يشعلون النار في أي منطقة يحلون بها وكانوا يحرقون جثث موتاهم، فظن العرب أنهم يعبدون النار مثل المجوس لأنهم لم يكونوا على دين النصرانية بل كانوا وثنيين[3].

والنورمان جنس قديم، سكن شبه جزيرة اسكندناوا وجوتلند[4]، عرفوا بقوتهم البحرية وهم محاربون أشداء ، اِشتهروا بشجاعتهم وجرأتهم وبراعتهم وقدرتهم على التحمل، والذي ساعدهم على التوغل والاِنتشار في البلدان الأخرى هو طبيعة بلادهم وكثرة خلجانها على التحرك في البحار والأنهار، لذلك كانوا قوة بحرية بِامتياز وكانوا يشكلون جماعات بغية السلب والنهب معتمدين على عنصر المباغتة والمفاجأة[5]، حيث كان عتادهم الحربي يتكون من فأس وحربة طويلة ودرع وقوارب بحرية مشهورة بطولها وسرعتها[6].

كما أن المسعودي يذكرهم بأنهم جزء من جنس الصقالبة[7]، الذين اِستوطنوا الجهة الشمالية من أوروبا، و ذكر صعوبة البيئة التي يعيشون فيها من مياه مالحة وبرودة طقسهم وكثرة الزلازل في أراضيهم[8] أما الجغرافيون الرحالة فكان لهم الرّأي نفسه إذ أطلقوا اِسم الصقالبة على الشعوب المنحدرة من أصول شتى من بين هذه الشعوب الجنس النورماني، كذلك وصفوا بالاِختلاف في الصفات الجسمية عن الأجناس

1– أحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت ، 1969م، ص 152.

2– سعيد محمود عمران، **معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة ، بيروت ، 1986م، ص 231.

3– العبادي ، تاريخ البحرية، ص152. و كذلك:- نيفين ظافر حسيب الكردي، **الأوضاع الدينية و السياسية و الاِقتصادية والاِجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر**، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف رياض مصطفى، مجلس كليات الآداب، جامعة غزة، 2011م، ص 107.

4– العبادي ، تاريخ البحرية، ص 152 .

5- سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة الأوروبية، بيروت، 1972م، ص175.

6– نفسه، ص 152 .

7- الصقالبة: هم من نسل صقلب بن ليطي بن يونان بن يافث، قوم سكنوا في الشمال من بحر الروم و بحر المحيط، بين المشرق والمغرب ، اِشتهروا بحرق أمواتهم من الملوك إلى العبيد. ينظر: – الدمشقي ، المصدر السابق، ص 261 .

8– أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت325هـ/957م)، **أخبار الزمان**، دار الأندلس، بيروت، 1996م، ص 92.

الأخرى، مثل اِحمرار وجوههم[1] وأصبحت بشكل دائر، وصغار عيونهم واِمتلاء عظامهم ومفاصلهم لحما[2]، حيث ظلوا لفترات طويلة يعيشون العزلة، على غرار الآخرين من بني جلدتهم وهم البرابرة الجرمان الذين اِنظموا إلى المملكة الرومانية، حيث فشلت جميع المحاولات لضم هذا النوع من الجنس الشمالي، لكن بعدها حدث نوع من التغير حيث شهدت هذه الجماعات تحركات واسعة اِختلفت أسبابها من نفسية واِقتصادية واِجتماعية وسياسية، وهذا التوسع كان خاصة في القرن التاسع ميلادي وكان على حساب الأراضي الرومانية[3].

كما وصفوا من طرف الكثير من المصادر، بصفات كثيرة كانت تميز سكان الشمال اِكتسبوها بالوراثة حيث جمع هذا الجنس بين الجشع والإسراف[4]، إذ هو شعب خداع ومنتقم ، بالإضافة إلى تعطشهم إلى الحروب والقتال وهذا سبب حبهم للسلطة والثروة وممن تحدث عن سلوكهم الأميرة البيزنطية آنا كومينانا ANNA COMINANA[5] التي وصفتهم أنهم لصوص ليس لهم عهد ولا ذمة وأنهم برابرة يعشقون الحروب وهذا لأنهم سعوا في الأرض فمدروا وخربوا فيها ، حيث إنهم لم يتركوا قرية إلا ودمروها ولا كنيسة إلا ودمروها، كل هذه الصفات تبث الرعب والخوف في قلوب بقية الأجناس ،ظلوا يرهبونهم لفترات من الزمن[6]، ومن الأراضي التي اِكتشفوها،الشمال الغربي لفرنسا، مما أدي بالملك الفرنسي آنذاك إلي إعطاءهم جزءا من فرنسا المسمي إقليم اشتق اسمهم من نورما نديا، مما أدي بعدها إلي تناقص العدوان الذي كانوا عليه[7].

1– الحموي ، المصدر السابق، ج3، ص 416 .

2– أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي (ت 345 هـ / 957 م)، **التنبيه و الإشراف**، مراجعة : عبد الله إسماعيل الصادق، دار الكتب الملكية، القاهرة ، 1938، ص 22.

3– عمران، المرجع السابق، ص 174 – 176 .

4– ادوارد جيبون، **اِضمحلال الإمبراطورية الرومانية و سقوطها**، ترجمة : محمد سليم سالم ، دار الكتب ، د.م، 1969، ج3، ص 146 .

5– انا كومينانا: إمبراطورة بيزنطية اِبنة الامبراطور اليكسوس كومينوس، ولدت سنة(502هـ/1108م)، مؤرخة و أديبة و سياسية، لقبت بالإمبراطورة منذ ولادتها.ينظر:– انا كومينانا، **الكسياط**، ترجمة: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، 2004م، ص1– 9.

6 – نفسه ، ص 118 ، 245 – 248 .

7– شوقي ضيف، **عصر الدول و الإمارات –ليبيا– تونس– صقلية**، دار المعارف، القاهرة، 1992م، ص 343.

4 – الغزو النورماني لجزيرة صقلية الإسلامية:

بدأ الغزو النورماني لجزيرة صقلية سنة(444هـ/1053م) ،في نهاية حكم الكلبيين حين وقعت صراعات وإنقسامات داخلية ،وذلك عندما قام اِبن الثمنة بالإستنجاد بالقائد[1] النورماني روجر الأول الذي أرسله أخوه روبرت جيسكارد، زعيم النورمان في جنوب إيطاليا[2]، حيث يقول اِبن الأثير :" إن اِبن الثمنة لما تمزقت عساكره سولت له نفسه بالإستنجاد بالكفرة"، ووصل اِبن الثمنة الى حصن (ملطو)، فكلم ملكها روجر وقال له: " أنا أملككم الجزيرة"، فساروا معه في رجب سنة (444 هـ/1053م)[3].

فاِحتلوا المدن التي مروا بها فقاتلهم اِبن الحواس فهزموا، وبعدها اِستنجد أهل صقلية بالمعز اِبن باديس الزيري[4]، وطلبوا منه إنقاذ الجزيرة من النورمان، فاِستجاب لهم وهيأ أسطولا ضخما و عتادا كبيرا ، واِتجه الأسطول صوب صقلية، لكن هبت عاصفة عاتية، فغرق أكثر ذلك الأسطول ولم يصل المدد إلى صقلية[5].

وبذلك سيطر النورمان على المدن والمعاقل الإسلامية الواحدة تلو الأخرى[6]، وبعد وفاة المعز اِبن باديس، حاول اِبنه تميم إنقاذ الجزيرة ، فأرسل أسطولا إلى الجزيرة و جعل على رأسه اِبنيه: علي وأيوب، فنزل بصقلية فأحبه أهلها أين حسده على ذلك اِبن الحواس[7]، وخشي على ملكه فطلب منهما العودة إلى إفريقية ، فرفض ثم جرت حرب بينهما اِنتهت بمقتل اِبن الحواس، وحدثت فتنة بين تميم بن المعز وأهل (جرجنت) أدت إلى الإقتتال .

فقرر الأخوان الرجوع إلى إفريقية سنة (461هـ/1070م)، وبذلك لم يبق أمام النورمان ما يمنعهم من اِحتلال صقلية، فأصبحت الجزيرة لقمة سائغة في أيدي النورمان، أين اِحتلوا أكبر مدنها من بينهم

1- أماري، المرجع السابق، ص 447 .

2– روبرت جيسكارد: هو سياسي و قائد عسكري الإبن الرابع لعائلة هوتيفيل، أصبح زعيم النورمان في إيطاليا بعد وفاة أبيه، له الفضل بتثبيت النورمان بإيطاليا. ينظر: – عمران ، المرجع السابق، ص 272 .

3– اِبن الأثير، المصدر السابق ، ج8، ص 473 .

4– المعز بن باديس منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي صاحب إفريقية ، كان ملكا جليلا محبا لأهل العلم. ينظر: – اِبن خلكان ، المصدر السابق ، ج5، ص 233 – 234 .

5– اِبن خلدون، المصدر السابق ج 4، ص 269 .

6– عزيز أحمد، المرجع السابق، ص 60 .

7– اِبن الأثير، المصدر السابق ، ج8، ص 474 .

العاصمة (بلرم) سنة (464هـ/1073م)، وضربوا حصارا على مدينة قصريانة وجرجنت حتى أكل أهلها الميتة، فاِستولوا أولا على جرجنت وبعدها بثلاث سنوات تم تسليم مدينة قصريانة سنة (484هـ/1091م)[1]، كذلك مدينة بثيرة في السّنةِ نفْسِها، واِستسلمت آخر المدن الإسلامية نطوس، وبذلك تم إخضاع كامل جزيرة صقلية للحكم النورماني وذلك في مدة ثلاثين سنة من الحرب بين المسلمين والنورمان[2].

– قائمة المصادر والمراجع:

– ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القذاعي البلنسي (ت658هـ/ 1260م)، **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، ط :2، دار المعارف ،د.م ، 1985م.

– اِبن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المدعو (ت 630 هـ/1233م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

– اِبن جبير أبو الحسين محمد بن أحمد الكيماني الأندلسي البلنسي (ت 614 هـ / 1258 م)، **رحلة اِبن جبير**، دار صادر، بيروت.

– ابن حوقل أبو القاسم (ت367 هـ/978 م)، **صورة الأرض**، مطبعة بريل المسيحية، ليدن، 1372هـ.

– ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن الحضرمي (ت808هـ/1406م) ، كتاب العبر **ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مراجعة: سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت، 2000م.

– ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت618هـ/1283م)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،د.ت.

– ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي (ت 712هـ/ 1313م) ، **البيان المغرب في أخبار إفريقية والمغرب**، تحقيق: س كولان، اليفي بروفنسال، ط: 3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

– الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت560هـ/1165م)، **نزهة المشتاق في اِختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د . ت.

– البلاذري أحمد بن يحي بن جابر (ت279هـ/893م)، **فتوح البلدان**، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987م.

– الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت 626 هـ /1228م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت ، د . ت.

– الحميري محمد بن عبد المنعم (ت900هـ/1496م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة بيروت، 1975م.

1– نفسه، ج8، ص 474 .

2– الحميري، المصدر السابق، ص 367 .

- الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين ابي عبد الله محمد ابي طالب الصوفي (ت 727 / 1328 م)، **نخبة الدهر وعجائب البر والبحر**، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، ألمانيا، 1865م.
- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت325هـ/957م)، **أخبار الزمان**، دار الأندلس، بيروت، 1996م.
- أحمد عزيز ، **تاريخ صقلية الإسلامية**، ترجمة: أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب، د.م، 1980م.
- أحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت ، 1969م.
- أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي و الأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت ، 1972م.
- ادوارد جيبون، **إضمحلال الإمبراطورية الرومانية و سقوطها**، ترجمة : محمد سليم سالم ، دار الكتب ، د.م، 1969م.
- إسماعيل،محمود **الأغالبة وسياستهم الخارجية** ، ط:3 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2000م.
- اناكومينانا، **الكسياط**، ترجمة: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، 2004م.
- سعيد محمود عمران، **معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة ، بيروت ، 1986م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة الأوروبية، بيروت، 1972م.
- شوقي ضيف، **عصر الدول و الإمارات –ليبيا– تونس– صقلية**، دار المعارف، القاهرة، 1992م.
- الطيبي أمين توفيق ، **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية**، ط: 1، إقرأ للطباعة و النشر، طرابلس، 1990م.
- عباس إحسان، **العرب في صقلية دراسة في التاريخ و الأدب**، دار الثقافة، د.م، 1975م.
- عنان محمد عبد الله ، **دولة الإسلام في الأندلس**، ط 4، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1979م.
- غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هينداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012م.
- الكردي نيفين ظافر حسيب ، **الأوضاع الدينية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر**، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف رياض مصطفى، مجلس كليات الآداب، جامعة غزة، 2011م.
- المدني احمد توفيق، **المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا**، مكتبة الإستقامة، تونس، د . ت.
- ميخائيل أماري، **المكتبة العربية الصقلية**، دار صادر، بيروت، 1857م.

شروط اِختيار مواضع المدن وتطبيقاتها على مدن المغرب الأوسط

مدينة تلمسان – نموذجا–

الدّكتور موشموش محمد

أستاذ محاضر أ

جامعة محمد بوضياف المسيلة

mohamed.mouchmouche@univ-msila.dz

شروط اِختيار مواضع المدن وتطبيقاتها على مدن المغرب الأوسط
مدينة تلمسان –نموذجا–

مقدمة

تعد دراسة تواريخ المدن الإسلامية من الدراسات التي اِستهوت أنظار الباحثين، فالمدينة الإسلامية هي الوحدة الأساسية و النّموذج الكامل للحضارة الإسلامية الفاعلة،و أن تحليل تركيبها الداخلي وإظهار سماتها وخصائصها، وإبراز الدور الذي قدمته بحد ذاته مشاركة في إلقاء الأضواء على فعالية الدور الذي أدَّتْهُ الحضارة الإسلامية بصورة عامة، والمدن كما هو معروف وليدة الحضارة وهي الصورة التي تعكس الجانب التمدني، والتطور العمراني والمعماري والصنائع لدى المجموعات البشرية والمجتمعات المقيمة بها.

ومنذ القرن الرابع للهجرة، بدأ علماء الإسلام بِالإِهتمام بجغرافية المدن بالمغرب الإسلامي، حيث تركوا لنا أوصافها طبيعية و عمرانية، واِهتموا كذلك بذكر علاقة السلطان بالمدينة والتمدن، ومن بين هؤلاء العلماء نجد اِبن حوقل والبكري والإدريسي وغيرهم ممن صنفوا في علم المدينة، ثم ظهرت من بعدهم مجموعة من العلماء اِهتموا بربط العمران الإسلامي وفن بناء المدن بمقاصد التشريع الإسلامي، وهذا ما سنحاول في هذا البحث التطرق إليه.

1 – شروط اِختيار مواضع المدن عند علماء الإسلام:

1 – 1 – اِبن أبي الربيع:

وضع اِبن أبي الربيع شروطا هامة أصبحت مقياسا متبعا في تخطيط المدن الإسلامية، ووقف عندها عدة باحثين عند دراستهم للمدن الإسلامية حيث جعلها في ستة شروط، وهي[1]:

– **سعة المياه المستعذبة:** ويقصد في ذلك جلب المياه الصالحة للشرب، وتيسيرها للرعية، أو تقوم المدينة على نهر جار، أو وفرة الينابيع من عيون عذبة يسوغها الشارب.

– **إمكان الميرة المستمدة:** حيث يجب أن تكون للمدينة أرباضا توفر لها الميرة، وأراضي زراعية تضمن لها الأمن الغذائي في حالة الحروب والحصار.

---

1 – شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع (218 هـ – 833م / 272هـ-885م)، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تحقيق، عارف أحمد عبد الغني، دار كنانة للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، 1996م، ص106.

– **إعتدال المكان:** وجودة الهواء، إذ أن المدن التي تبنى في منخفض الأرض يركد فيها الهواء ويتجدد ببطء، والعامل المساعد على تجديد الهواء هو الريح، ومن ثم فإن المدن المؤسسة على مكان معتدل أو مرتفع فإن هواءها لطيف صحي.

– **القرب من المراعي والإحتطاب:** وذلك لتوفير الكلأ للمواشي، وتوفير الحطب للطهي والغداء.

– **تحصين منازلها من الأعداء والذعار:** ويقصد بذلك تأمين الرعية من كل طارق.

– **أن يحيط بها السواد يعين أهلها:** ويقصد هنا القرى، والقبائل، والأرباض التي يجب أن تحيط بالمدينة، وتكون مددا عند الصريخ، وتموينها بالميرة.

وبالتالي فإن القاعدة العمرانية هنا تقوم على قاعدة أصولية هي: جلب المصالح ودرء المفاسد، وهو ما يبيّنه إبن أبي الربيع في جلب المصالح من الأصل الأول إلى الرابع ثم السادس، ودرء المفاسد في الأصل الخامس، وهذا يعني أنه من شروط إنشاء المدن الإسلامية أن تقوم على أسس دينية ترعى المصلحة المرسلة لجميع الناس كما تقوم على أسس إستراتجية وإقتصادية، والذي ذكره إبن أبي الربيع إيجاز بليغ لهذه القواعد العامة البالغة الأهمية في تخطيط المدن على أسس إستراتيجية وإقتصادية، و لهذا كان المخططون للمدن الإسلامية الجديدة يحتاطون لأن تنشأ على ثمانية أسس وهي[1]:

– أن يسوق إليها الماء العذب للشرب حتى يسهل تناوله من غير عسف.

– أن يقدر طرقها وشوارعها حتى لا تضيق.

– أن يبنى فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها.

– أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها لينال سكانها حوائجهم من قريب.

– أن يميز قبائل سكانها، بأن لا يجمع أضدادا مختلفة متباينة.

– أن يحوطها بسور خوف إغتيال الأعداء، لأنها بجملتها دار واحدة.

– أن أراد سكناها من ولى أمرها فليسكن أفسح أطرافها، وأن يجعل خواصه كنفا له من سائر جهاته.

– أن ينقل إليها من أهل العلم، والصنائع بقدر حاجة لسكانها حتى يكتفوا بهم، ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها.

---

1 – إبن أبي الربيع، المصدر السابق، ص 107، 108.

1 – 2 – الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري:

جمع لنا الماوردي بالإضافة إلى الشروط التي وضعها المفكرون السابقون، وتعريفه لمصطلح مصر و علاقة السلطان بالعمران بقوله: "...وحفظ السلطان في عمارة البلدان والأوطان أوفى من حظ رعيته، لأنه أصل و هم فروعه، ومتبوع وهم أتباعه، والذي يعتبر في إنشائها ستة شروط، أحدهما: سعة المياه المستعذبة، و الثاني: إمكان الميرة المستمدة.و الثالث: اِعتدال المكان الموافق لصحة الهواء والتربة. والرابع: قربه مما تدعو الحاجة إليه من المراعي والأحطاب. والخامس: تحصين منازله من الأعداء والذعار. والسادس: أن يحيط به سواد يعين أهله بمواده، فإذا تكاملت هذه الشروط الستة في إنشاء مصر اِستحكمت قواعد تأبيده، ولم يزل إلا بقضاء محتوم، وأجل معلوم، ثم على منشئ المصر في حقوق ساكنيه ثمانية شروط، أحدهما: أن يسوق إليه ماء السارية إن بعدت أطرافه، إما في أنهار جارية، أو حياض سائلة، ليسهل الوقوف إليه من غير تعسف. والثاني: تقدير طرقه وشوارعه حتى تتناسب ولا تضيق بأهلها، فيستضر المار بها. والثالث: أن يبني جامعا للصلوات في وسطه ليقرب على جميع أهله ويعم شوارعه بمساجده. والرابع: أن يقدر أسواقه بحسب كفايته، وفي مواضع حاجته. والخامسة: أن يميز خطط أهله، و قبائل ساكنيه، ولا يجمع بين أضداد متنافرين، ولا بين أجناس مختلفين. والسادس: إن أراد الملك أن يستوطنه سكن منه في أفسح أطرافه، وأطاف به جميع خواصه، ومن يكفيه من أمر أجناده، وفرق باقيهم في بقية أطرافه، ليكفوه من جميع جهاته[1]. وخص أهله بالعدل، وجعل وسطه للعوام أهله ليكونوا منكوفين بهم، وليقل ركوبه فيهم حتى لا يلين في أعينهم. والسابع: أن يحوطهم بسور إن تاخموا عدوا، أو خافوا اِغتيالا حتى لا يدخل عليهم إلا من أرادوه ولا يخرج عنهم إلا من عرفوه، لأنه دار لساكنيه، وحرز لمستوطنيه. والثامن: أن ينقل إليه من أعمال أهل العلوم والصنائع ما يحتاج أهله إليه حتى يكتفوا بهم، ويستغنوا عن غيرهم، فإذا قام منشئه بهذه الشروط الثمانية فيه، فقد أدى حق مستوطنيه، ولم يبق لهم عليه إلا أن يسير فيهم بالسيرة الحسنى، ويأخذهم بالطريقة المثلى، وقد صار من أكمل الأمصار وطنا، وأعدلها مسكنا"[2].

---

1 - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (364هـ- 974م/ 450هـ 1058م)، **كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك و سياسة الملك** ، دار النهضة العربية، لبنان، 1401هـ/ 1981م، ص 209.

2- نفسه

صنف الماوردي الأمصار إلى صنفين بقوله: " والأمصار نوعان: مصر مزارع وسواد، ومصر فرصة وتجارة، فأما مصر المزارع والسواد فهو أثبت المصرين أهلا، وأحسنهما حالا، وأولاهما اِستيطانا لوجود مواده فيه، واِقتناء أصولهما منه. ومن شروطه، أن يكون في وسط سواده، وبين جميع أطرافه، حتى تعتدل مواده منها وتتساوى طرقه إليها، وهو موفور العمارة ما كان سواده عامرا. فإن نال أهله فيه حيف، فرقهم الحيف في سواده، فأصابوا عيشا ودافعوا من زمان الحيف وقتا. وإن جار السواد على أهله كان لهم في المصر أمن وملاذ، ويكون كل واحد منها للآخر معاذا.

أما مصر الفرصة والتجارة فهو من كمال الإقليم وزينة الملك، لِأنه مقصود بتحف البلاد وطرف الأقاليم، فلا يعوز فيه مطلوب ولا ينقطع عنه مجلوب، والمعتبر فيه ثلاثة شروط أحدها: أن يتوسط أمصار الريف، ويقرب من بلاد المتاجر، فلا يبعد على طالبه، ولا يسبق على قاصده. والثاني: أن يكون على جادة تسهل مسالكها، ويمكن نقل الأثقال فيها، إما في نهر، أو على ظهر. فإن توعرت مسالكه، وأجدبت مفاوزه عدل الناس عنه إلا من ضرورة. والثالث: أن يكون مأمون السبل لِأهل الطرقات، خفيف الكلف قليل الأثقال، فإنه ليس يأتيه إلا جالب مجتاز يطلب من البلاد أجداها، فإن توعر هجر. وهذا أكثر البلدين طالبا، وأنشرهما في الأقاليم ذكرا، وهو معد لمطالب الملوك، لا لموادهم، فإن اِستمدوه و تحيفوه بالمكوس والأعشار نفروا عنه. وإن وجدوا سواه صار لِأهل الضرورات دون الاِختيار، ولا دوام لِأوطان الأضرار، ولا يبعد أن يندرس، فيلحق المضطر بالمختار، وإن لم يستدركه سلطانه بتخفيف وإنصاف، لِأن أمواله أموال تجارة متنقلة، لا يشق عليهم تحويلها، فهم يستوطنون من البلاد أعدلها، ويقصدون من المتاجر والمعاملات أسهلها، فإن نبا بهم وطن، فكل البلاد لهم وطن، قال الشاعر:

وأترك محل السوء لا تحلل به وإذا نبا بك منزل فتحول.[1]

1 – 3 – علي اِبن أبي زرع:

وذكر اِبن أبي زرع نقلا عن بعض الحكماء كما قال في مصنفه: " أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء، وهي: النهر الجاري، والمحرث الطيب، والمحطب القريب، والسور الحصين، والسلطان، إذ به

1- نفسه، ص213.

صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبابرتها"[1]. وهذه الشروط التي ذكرها اِبن أبي زرع أسقطها على مدينة فاس من أوائل المدن التي شيدت بالمغرب الإسلامي.

1 – 4 – عبد الرحمّن بن خلدون:

قدم اِبن خلدون تحليلا للشروط السابقة حيث جمعهما في شرطين: أولهما هو **أمن المدينة** أي حمايتها من شر كل طارق، والأمن الصحي للساكنة ويكمن ذلك في اِختيار موقع صحي يتجدد فيه الهواء لحماية الأبدان. والأمن يؤدي إلى اِستقرار الساكنة، ووفود رؤوس الأموال والعلماء، فتتطور المدينة ويتسع عمرانها، والأمن من مقاصد الشريعة الإسلامية حيث يندرج ضمن حفظ المال والنفس. يقول اِبن خلدون في ذلك: "... اِعلم أن المدن قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه، فتؤثر الدعة والسكون، وتتوجه إلى اِتخاذ المنازل لِلقرار. ولما كان ذلك لِلقرار المأوى وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع و تسهيل المنافع: فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار، وأن يكون وضع ذلك في ممتنع من الأمكنة إما على هضبة متوعرة من الجبل، و إما باستدارة بحر أو نهر بها، حتى لا يوصل إليها إلى بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف اِمتناعهاوحصنها. ومما يراعي في ذلك لِلحماية من الآفات السماوية طيب الهواء لِلسلامة من الأمراض. فإن الهواء إذا كان راكدا خبيثا، أو مجاورا لِلمياه الفاسدة، أو لمناقع متعفنة أو لمروج خبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورتها، فأسرع المرض لِلحيوان الكائن فيه لا محالة، وهذا مشاهد.

والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الأمراض في الغالب، و قداِشتهرت بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد الجريد بإفريقية، فلا يكاد ساكنها أو طارقها يخلص من حمى العفن بوجه. وقد يقال إن ذلك حادث فيها، ولم تكن كذلك من قبل، ونقل البكري في سبب حدوثه أنه وقع فيها حفر ظهر فيه إناء من نحاس مختوم بالرصاص، فلما فضَّ ختامه صعد منه دخان إلى الجو واِنقطع. وكان ذلك مبدأ

1- علي بن أبي زرع (توفي:726هـ/ 1326م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، 1420 هـ / 1999 م، ص40.

أمراض الحميات فيهز وأراد بذلك الإناء كان مشتملا على بعض أعمال الطّلسمات لوبائه، وأنه ذهب سره بذهابه، فرجع إليها العفن والوباء[1].

و الذي يكشف لك الحق في ذلك أن هذه الأهوية العفنة أكثر ما يهيّئها لتعفن الأجسام وأمراض الحمّيات ركودها، فإذا تخللتها الريح وتفشت وذهبت بها يمينا وشمالا، خف شأن العفن والمرض البادي من الحيوانات.

والبلد إذا كان كثير الساكن وكثرت حركات أهله فيتموج الهواء ضرورة، وتحدث الريح المتخللة لِلهواء الراكد، ويكون ذلك معينا على الحركة والتموج. وإذا خف الساكن لم يجد الهواء معينا على حركته وتموجه، وبقي ساكنا راكدا وعظم عفنه وكثر ضرره. وبلد قابس هذه كانت عندما كانت إفريقية مستجدة العمران، كثيرة الساكن تموج بأهلها موجا، فكان ذلك معينا على تموج الهواء وإضطرابه وتخفيف الأذى منه، فلم يكن فيها كثير عفن ولا مرض. وعندما خف ساكنها ركد هواؤها المتعفن بفساد مياهها، فكثر العفن والمرض. فهذا وجهه لا غير، وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت، ولم يراع فيها طيب الهواء. وكانت أولا قليلة الساكن، فكانت أمراضها كثيرة. فلما كثر ساكنها إنتقل حالها عن ذلك وهذا مثل دار الملك بفاس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد، وكثير من ذلك في العالم. فتفهمه تجد ما قلته لك".[2]

أما الشرط الثاني: هو جلب المنافع لِلساكنة وذلك بقوله: "وأما جلب المنافع والمرافق لِلبلد فيراعى فيه أمور: منها الماء، بأن يكون البلد على نهر، أو بإزائها عيون عذبة ثرة، فإن وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية، فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة. ومما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعي لسائمتهم إذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان لِلنتاج و الضرع و الركوب، ولا بد لها من المرعى، فإذا كان قريبا طيبا، كان ذلك أرفق بحالهم، لما يعانون من المشقة في بعده. ومما يراعى أيضا المزارع، فإن الزروع هي الأقوات. فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها، فإن الحطب أسهل في إتخاذه وأقرب في تحصيله. ومن ذلك الشجر لِلحطب والبناء، فإن الحطب مما تعم البلوى في إتخاذه لوقود النيران لِلإصطلاء والطبخ، والخشب أيضا ضروري لسقفهم، وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم، وقد يراعى أيضا قربها من البحر لِتسهيل الحاجات القاصية من البلاد النائية. إلا أن ذلك

---

1 – عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، تحقيق: عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 2006م، ج2، ص 785، 786.

2 – نفسه.

ليس بمثابة الأول، وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات، وما تدعو إليه ضرورة الساكن، وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الإختيار الطبيعي، أو إنما يراعى ما هو أهم على نفسه وقومه ولا يذكر حاجة غيره كما فعل العرب لأول الإسلام في المدن التي إختطوها بالعراق وإفريقية، فإنهم لم يراعوا فيها إلا الأهم عندهم، من مراعي الإبل وما يصلح لها من الشجر والماء والملح، ولم يراعوا الماء، ولا المزارع، ولا الحطب ولا مراعي السائمة من ذوات الظلف، وغير ذلك، كالقيروان و الكوفة، والبصرة وأمثالها، ولهذا كانت أقرب إلى الخراب لما لم تراع فيها الأمور الطبيعية..."[1].

وعلى هذا الأساس، فإن الحاكم يختار المكان الأنسب لمدينته الذي يضمن من خلاله لِساكن أو الرعية مقاصد الشريعة الإسلامية، وإبن خلدون وصل إلى هذه الإستنتاجات من خلال التجارب التي مرت عليه في تجوله بمدن المغرب الإسلامي، وهو ما يؤكد أن إختيار مواقع المدن لم يكن عشوائيا بل على أسس وقواعد تضمن لِلساكن مقاصد الشريعة، ويساعد على توسع خططها وتطور عمرانها.

وأفرد لنا إبن خلدون شرطيْن وجب توافرهما بالمدن الساحلية إرتبطت بتوفير الأمن، وذلك بقوله: "مما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر، أن تكون في جبل، أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدد، تكون صريخا لِلمدينة متى طرقها طارق العدو، والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر، ولم يكن بساحتها عمران لِلقبائل أهل العصبيات، ولا موضعها متوعر من الجبل، كانت في غيرة للبيات، وسهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها وتخيفه لها، لما يأمن من وجود الصريخ لها، وأنّ الحضر المتعودين على الدعة قد صاروا عيالا وخرجوا عن حكم المقاتلة، وهذه كالإسكندرية من المشرق، وطرابلس من المغرب، وبونة وسلا.

ومتى كانت القبائل والعصائب متوطّنين بقربها، بحيث يبلغهم الصريخ والنفير، وكانت متوعرة المسالك على من يرومها بإختطاطها في الهضاب والجبال وعلى أسنمتها، كانت لها بذلك منعة من العدو ويئسوا من طروقها، لما يكابدونه من وعرها، وما يتوقعونه من إجابة صريخها. كما في سبة وبجاية، وبلد القل على صغرها، ففهم ذلك وإعتبره في إختصاص الإسكندرية بإسم الثغر من لدن الدولة العباسية، مع أن الدعوة من ورائها ببرقة وإفريقية، وإنّما إعتبر في ذلك المخافة المتوقعة فيها من البحر لسهولة وضعها، ولِذلك والله أعلم كان طروق العدو للإسكندرية وطرابلس في الملة مرات متعددة والله تعالى أعلم".[2]

---

1 - نفسه.

2 - إبن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 785، 786.

1 – 5 – اِبن القاضي أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي:

ويقول اِبن القاضي: " حكي عن الحكماء أنها قالت: لا تستوطن إلا بلدا فيه سلطان حاضر، وطبيب ماهر، ونهر جار، وقاض عدل، وعالم عامل، وأسواق قائمة، وقالت الحكماء أيضا: أحسن المدن هي التي تجمع خمسة أشياء: نهر جار، ومحرث طيب، وحطب قريب، وسور حصين، وسلطان قاهر، إذ به صلاح أهلها وتأمين سبلها".[1]

2– التاريخ السياسي لمدينة تلمسان في العصر الوسيط:

أهل الموقع الجغرافي الإستراتيجي مدينة تلمسان[2] أن تكون مطمعا لِلدويلات الإسلامية بالمغرب الإسلامي، ومقصدا لِلمجموعات البشرية، والقبائل البربرية والعربية، حيث دخلها أبو المهاجر دينار (55–62هـ/675– 682م) على زمن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان بعد معارك ضارية مع البيزنطيين، وبالقرب من مدينة تلمسان[3] ولد الحلف الأخوي الذي جمع كلا من أبي المهاجر دينار وكسيلة بن لمزم الأوربي، و لتخليد هذه الذكرى، شرع أعوان أبي المهاجر في حفر ينابيع كثيرة عرفت في المصادر التاريخية بعيون أبي المهاجر، ثم تقلبت بين أيدي الفاتحين المسلمين من ولاية عقبة بن نافع الثانية (62هـ- 64هـ/682م- 684م) إلى غاية عهد الولاة من الأمويين اِبتداء من سنة (95هـ/ 714م)، ثم تأثرت بالتيارات المذهبية التي ظهرت بالمغرب الإسلامي بدءا عصر الولاة الأمويين والعباسيين[4]، وكان النشاط الصفري أول نحلة برزت بالعداء لِلخلافة الأموية منذ سنة (122هـ/ 740م)، وتسببوا في إنهاك قوات الولاية بإفريقية، وكذلك قوات الخلافة الإسلامية، ولم يستطع الولاة الأمويون الثأر لهزائمهم إلا عندما ولّي الأمر حنظلة اِبن صفوان الكلبي حيث اِنتصر في معركتين حاسمتين بجوار القيروان سمّيت

1- اِبن القاضي أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي (ت: 1065هـ/ 1654م)، **جدوة الاِقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار منصور، الرباط، 1973م، ج1، ص 42.

2- تقع مدينة تلمسان غرب مدينة الجزائر العاصمة وتبعد بحوالي 600 كلم.ك.

3- عرفت المدينة في الفترة الرومانية بإسم بوماريا " Pomaria " ومعناها البساتين،وذكر ذلك البكري بقوله: " ...و فيها لأول آثار القديمة، وبها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا، ولهم بها كنيسة معمورة ....."، وكانت هذه النواة التي أسست فيها المدينة الإدريسية أغادير. لِلمزيد من التفاصيل أنظر:- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 76.

4- لِلمزيد من التفاصيل أُنظر:- اِبن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، نشر عبد المنعم عامر، القاهرة، 1961م، ص 266.كذلك:
- موسى لقبال، " تيار الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا ونتائجه "، **في كتاب الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى غاية بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 20.

إحداهما معركة القرن، والثانية معركة الأصنام سنة (126هـ/ 744م)، وقتل زعماء الصفرية عبد الواحد الهواري، وعكاشة اِبن أيوب الفزازي، وفر أبو قرة اليفرني الصفري إلى مدينة تلمسان واتخذها عاصمة لإمارته بعد مبايعته سنة (140هـ/757م)[1]. وفي سنة (150هـ/767م) خرج منها ودانت للمغرويين[2] إلى غاية دخول الأدارسة إليها[3].

2-1- في الدولة الإدريسية:

تعد الدولة الإدريسية[4] أول إمارة إسلامية اِنطوت مدينة تلمسان تحت سلطتها، ففي سنة (173هـ/789م) خرج إدريس بن عبد الله برسم غزو مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة وبني يفرن، ونزل بخارجها، فأتاه أميرها محمد بن خزر المغراوي فطلب الأمان، فأمنه إدريس بن عبد الله، وبايعته جميع قبائل زناتة[5]، فدخل مدينة تلمسان صلحا وأمن أهلها وبنى مسجدها، وكانت المدينة تعرف بأغادير وهي النواة الأولى لمدينة تلمسان الإسلامية، ولسوء حظنا لم يبق من أثار المدينة الإدريسية إلاّ أطلال المسجد (المئذنة تعود للفترة الزيانية)، و يقول ابن أبي زرع: "...وصنع فيه منبرا وكتب عليه (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن اِبن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك في شهر صفر سنة أربع و سبعين و مئة)"[6].

وفي سنة (299هـ/911م) سار إدريس بن إدريس بن عبد الله إلى مدينة تلمسان، فنظر في أحوالها و أصلح أسوارها وجامعها، و أقام بها مدة ثلاث سنين.[7]

ب – في الدولة المرابطية والموحدية:

---

1 – عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر...، ج4، 414.

2 – لِلمزيد من التفاصيل أُنظر:- مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011م، ج2، ص 415.

3 – لِلمزيد من التفاصيل حول دخول الأدارسة إلى المغرب الإسلامي وأهم القبائل البربرية التي حملت لواء الدولة. أُنظر: – مؤلف مجهول (ألف حوالي 712هـ/1312م)، **مفاخر البربر**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2005م، ص 199.

4 – لِلمزيد من التفاصيل حول نشأة الدولة الإدريسية أُنظر: – اِبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 21.

5 – اِبن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص 371.

6- اِبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 25.

7 – السليماني، المخطوط السابق، ورقة 10.

بعد نهاية الدور الأول لِلدولة الإدريسية، وخروجهم من فاس، وإنتقال بقاياهم إلى قلعة حجر النسر في شعاب جبال الريف إستبد بالأمر موسى بن أبي العافية[1] مؤيدا في ذلك الفاطميين، ولكن الأمر لم يستقر له طويلا، لأنه لم يستطع إقامة النظام، فلم تلبث وحدة القبائل التي أقامت دولة الأدارسة أن إنفرط عقدها، فعاد المغرب الأقصى و المغرب الأوسط إلى الفوضى، وسيطرت عليه القبائل الزناتية، معظمهم من مغراوة وبني يفرن، وأخذت زندقة برغواطة تنشط من جديد، وتسلم مقاليد المغرب الإسلامي الزيرين من طرف الفاطميين[2]، ونشب صراع سياسي وعسكري كبير بالمغرب الإسلامي، أثر سلبا في التطور الفكري والعمراني للمغرب الأوسط عموما دام حوالي سبعين سنة إلى غاية خروج المرابطين من رباطهم في جنوب المغرب الأقصى، وزحفوا نحو الشمال.

لما دانت إمارة المرابطيين لِيوسف بن تاشفين عمل على إستكمال الفتح فكان له ذلك، ففي سنة(460هـ/1063م) فتح بلاد غمارة، وفي سنة (462هـ/1070م) نزل فاس فحاصرها مدة ثم إفتتحها عنوة، وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة، وبني يفرن ومكناسة، ومن نجا منهم من القتل فر إلى تلمسان، وأمر بهدم الأسوار التي كانت فاصلة بين عدوة القرويين و الأندلسيين، ولازال يوسف بن تاشفين يفتح المدن، ويدوخ القبائل إلى غاية سنة (473هـ/1081م-1082م)، فزحف على الريف، وإفتتح مليلة، وخرب مدينة نكور، ثم زحف على بلاد المغرب الأوسط في السّنةِ نفْسِها (473 هـ/1082م-1083م)، ففتح مدينة وجدة، وبلاد بني يزناسن، ثم مدينة تلمسان، وإستلحم من كان بها من مغراوة، و قتل العباس بن بختي أمير تلمسان، وأنزل محمد بن تنعمر بها في عساكر المرابطيين، وإختط بها مدينة تكرارت بمكان محلته ثم إفتتح وهران، وجبل الونشريس، وواد شلف، ومدينة تنس، ووصل إلى غاية مدينة الجزائر من بني مزغنة، ورجع إلى مراكش سنة (475هـ/1085م)، ودان المغرب الأوسط لِلمرابطيين.

1- موسى بن أبي العافية : مؤسس الإمارة المكناسية، بعد القضاء على آخر الأدارسة على يد مصالة بن حبوس الصنهاجي، حامل لِواء الدعوة الفاطمية في المغربين الأوسط و الأقصى سنة (312 هـ/ 925- 926م)، عين موسى بن أبي العافية أميرا على المغربين، فقاتل الأدارسة، وأجلاهم عن بلادهم، قتل سنة (341هـ / 952م). أنظر: - يوسف علي بديوي، **عصر الدويلات الإسلامية في المغرب و المشرق من الميلاد إلى السقوط**، دار الأصالة، الجزائر، 1431هـ / 2010م، ص 135.

2- لِلمزيد من التفاصيل حول نسب الدولة الفاطمية أُنظر: - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج1، ص210. وكذلك:- موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5 هـ / 11م**، الشركة الوطنية لِلنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 328.

في سنة (500هـ/1110م) توفي يوسف بن تاشفين (400هـ-500هـ/1010م-1110م)، فخلفه اِبنه علي بن يوسف بن تاشفين (477هـ-537هـ/1085م-1143م)، ولزم المغرب الأوسط طاعة المرابطيين، وكان حد الدولة المرابطية شرقا مدينة الجزائر، إلى غاية وفاة الأمير علي بن يوسف سنة (537هـ/1147م)، و خلفه اِبنه تاشفين بن علي، واِستلحم أمر الموحديين[1].

ولما علم عبد المؤمن بن علي (524هـ- 1130م/558هـ-1163م) بوفاة علي بن يوسف اِبن تاشفين وخروج بعض القبائل عن قبيلة لمتونة حاصر مدينة سبتة، ودخل إلى تلمسان، ثم فتح مدينة فاس بعد تسعة أشهر من الحصار سنة (540هـ/1150م-1151م)[2]، ثم غزا عبد المؤمن بن علي الكومي غزوته الكبرى على بلاد المغرب، فصار يتبع جيوش المرابطين إلى أن هلك تاشفين بن علي بوهران سنة (541هـ/1151م-1152م)، ثم فتح مدينة مراكش سنة (541هـ/1151م-1152م)، وبالتالي أصبح عبد المؤمن بن علي سيد مراكش والمغرب كله، ثم جهز عبد المؤمن اِبن علي جيشه لِفتح الأندلس ففتحها، وكان ذلك سنة (555هـ/1168م)، وأمر بتحصين جبل الفتح ثم دان له المغرب الأوسط، وإفريقية، والمهدية سنة (555 هـ/ 1168م)[3].

جـ – في الفترة الزيانية– الحفصية– المرينية:

لما أذن الله بسقوط الدولة الموحدية بدأ الشقاق والطمع يلج إلى قلوب القبائل العربية، والبربرية على السواء في الخروج عن عصا الطاعة، لِعلمهم أنّ الدولة الموحدية قد تصدع كيانها، واِنكسر جيشها بعد معركة حصن العقاب بالأندلس سنة (609هـ/ 1212م)[4]. بدأت بوادر الاِستقلال عن السلطة

---

1 – حول دخول المهدي بن تومرت إلى المغرب أُنظر: – السليماني، المخطوط السابق، ورقة 58. كذلك: – اِبن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص 38. كذلك:– اِبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 208.

2– لِلمزيد من التفاصيل حول دخول المهدي بن تومرت إلى المغرب وبداية ظهور الدعوة الموحدية أُنظر:– السليماني، المخطوط السابق، ورقة 68. كذلك:– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 255.

3– اِبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 241. كذلك: – اِبن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص388.

4– وقعت بالأندلس بين الأمير الموحدي محمد الناصر بن يعقوب المنصور وملك الروم ألفنسو، وذلك بحصن عقاب من أرض الأندلس، وكان ذلك يوم الإثنين الخامس عشر صفر من عام (609 هـ/1212 م). لِلمزيد من التفاصيل أُنظر:– اِبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 315. كذلك: – مؤلف مجهول، مفاخر...ص 208.

المركزية بمراكش تلوح ونشأت أول ما نشأت الدولة الحفصية بتونس[1]، وإستقلت عن الدولة الموحدية سنة (627هـ/1230م)، ثم تلتها الدولة الزيانية، وكان من أكبر قادتها ومؤسسي الدولة يغمراسن بن زيان (633هـ-1236م/681هـ-1283م) حيث تولى أمر بني عبد الواد بعد موت أخيه أبي عزة زكدان بن زيان سنة (633هـ/1236م)، فإستولى على تلمسان وجعل منها قاعدة لِدولته ووسع رقعتها على حساب دولة الموحدين الضعيفة، إلاّ أنّ يغمراسن بقي يدعو لِلخليفة بمراكش، ولكن الموحدين أرادوا نزع مدينة تلمسان منه، وخلعه منها فحاصروها، وخلال ذلك طلب يغمراسن الأمير أبا زكريا الحفصي (627هـ- 1230م/647هـ- 1249م) راغبا في القيام بدعوته، فدانت الدولة الزيانية الفتية إلى الحكم الحفصي، ولكن روح الإنفصال بقيت قائمة، وتجسدت بعد مقتل السعيد علي بن إدريس الموحدي (640هـ-1242م/ 646هـ-1248م) بعد محاصرته ليغمراسن بن زيان بقلعة تامزردكت وذلك سنة (646هـ/1248م)[2].

وقامت بالمغرب الأقصى الدولة المرينية[3]، ونتيجة لهذا التمخض الجديد الذي عرفه المغرب الإسلامي كبر الصراع على الأماكن الإستراتجية لِلمغرب الإسلامي خاصة موانئ المغرب الأوسط بل تعدى ذلك لِيشمل الصراع على مدينة تلمسان التي كانت نقطة إنتقال السلع والذهب من الصحراء، وبلاد السودان إلى الشواطئ الأندلسية والجزر المتوسطية.

وعلى الرغم من هذا الصراع لم تتغير الخريطة الجيوسياسية لِلمنطقة جذريا، ولم تتمكن أي دولة من فرض سيطرتها المطلقة والمستمرة على بقية الدول، لِأن الظروف العامة لم تكن ملائمة، أو بسبب توازن القوى، إلا أن هذا الصراع خلف حالة من عدم الإستقرار السياسي والأمني في منطقة المغرب الإسلامي برمتها و أهدر طاقات كبيرة، في وقت كان العالم الأوروبي يشهد تحولات سوف تكون لها إنعكاسات

1- حول الدولة الحفصيةُ نظر:- أبو العباس أحمد بن الشماع (ت: 833هـ /1429م)، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية لِلكتاب، 1984م، ص 15.كذلك: - محمد لعروسي المطوي، **السلطة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1986 م، ص12.

2 - لِلمزيد من التفاصيل:- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر..، ج 7، ص 162.

3- حول نشأة الدولة المرينية، وأهم أمرائها أُنظر:- تقي الدين بن علي المقريزي (766هـ- 845هـ/1364م-1441م)، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تحقيق: محمود الجليلي، دار المغرب الإسلامي،142هـ/2002م، ج1، ص113،112. كذلك: - مؤلف مجهول، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، 1920م، ص 15. وكذلك:- إبن خلدون، كتاب العبر، ج7، ص 400. وكذلك:- إبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 360.

خطيرة على مستوى توازن القوى النصرانية والإسلامية، وكذا بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط الشمالية والجنوبية.

لما اِستقل أبو زكريا الحفصي بأمر إفريقية بايعته قبيلة بني توجين[1]، فحين ولى يغمراسن رأسه إلى مراكشو تقلد طاعة بني عبد المؤمن بن علي، وكان الرشيد الموحدي (630هـ-1232م/640هـ-1242م) قد ضاعف له البر، وذلك مند سنة (637هـ/1239م-1240م)، خاصة لما تولى يغمراسن الحرب ضد بني مرين الطامعين في ملك المغرب الأقصى، ولكن هذا الولاء اِنفض عند أول حملة سيرها السلطان الحفصي أبو زكريا إلى تلمسان، حيث فرض سلطانه عليها، وحوصرت المدينة عدة أيام قبل أن تقتحم أسوارها، ويعمل فيها و في أهلها القتل والنهب والتخريب، وضياع أملاك، وذلك في أواخر سنة (639هـ/1241م)، وأوائل سنة (640هـ/1242م)[2]، وفر يغمراسن منها، وجهز السرايا لمهاجمة معسكر الحفصيين، فعلم أبو زكريا أنه لا طاقة له في محاربته، فراجعه بالإسعاف، واِتصال اليد على صاحب مراكش، فخطب يغمراسن أبا زكريا الحفصي راغبا في القيام بدعوته، فقبلها أبو زكريا، وعهد إليه ولاية تلمسان وأعمالها، ولكنّ أبا زكريا أراد أن يوقف جماح يغمراسن في التوسع بالمغرب الأوسط فجعل بين ذلك كلا من عبد القوي بن عطية التوجيني، والعباس بن منديل المغراوي و علي بن منصور المليكشي على قومهم، و أوطانهم، وعهد إليهم بذلك، وأذن لهم بِاتخاذ الألة، والمراسيم السلطانية على سنن يغمراسن نظيرهم[3].

ويبدو أن هذا الصلح ظل قائما والدعوة لبني حفص على المنابر محترمة، إلى أن عطلها عثمان بن يغمراسن (681هـ-703هـ/1282-1303م) أواخر القرن السابع الهجري مما أدى إلى تدهور العلاقات بين الطرفين من جديد.

وظل التوتر يطبع العلاقات الزيانية والحفصية، إما بسبب النزاع على بعض الأقاليم والمدن كما هو الحال في الصراع الذي دار بينهما سنة (732هـ/1331م) لِلسيطرة على بجاية، حيث وجدت السلطة

---

1 - مواطنهم من جبل الونشريس إلى صحراء تلمسان. لِلمزيد من التفاصيل أُنظر: - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص117.

2 - اِبن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، تحقيق: سلوى الزاهد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ/ 2009م، ص 172.

3- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 164.

الحفصية دعما من السلطة المرينية بقيادة أبي الحسن (731هـ–752هـ/ 1330م-1351م)، أو لِفرض الشرعية كما حدث مع الحملات العسكرية على تلمسان لاحقا خلال القرن التاسع الهجري.[1]

لم تكن علاقات حسن الجوار بين الزيانيين، والمرينيين هي الصفة السائدة والدائمة، بل كانت حروبا، وتطاحنا، وحصارا، ومن خلال ذلك تنقلب مغراوة وبنو توجين على السلطة الزيانية، لما ينالهم من التنكيل من قِبَلِ بني عبد الواد في كل مرة عند حلول السلم مع بني مرين.

أثناء الحصار الذي ضربه عثمان بن يغمراسن على قلعة بني سلامة من بلاد توجين سنة (698هـ/ 1298م-1299م) زحف يوسف بن يعقوب (685هـ-706هـ/1286م-1307م) بالجيش المريني على تلمسان، ولولا تدارك عثمان بن يغمراسن الأمر لفتحها المرينيون، فدخلها عثمان بن يغمراسن وتحصن بها، ونزل يوسف بن يعقوب بجيشه على الهضبة المطلة على تلمسان، وإختط مدينة المنصورة، وحاصر تلمسان سنين وسرح عساكره لإفتتاح المغرب الأوسط، وكان له ذلك.

خلال حصار تلمسان من قِبَلِ المرينيين توفي عثمان بن يغمراسن(681هـ- 1283م/703هـ-1303م)، فخلفه أبو زيان محمد (703هـ-1303م/707هـ- 1308م)، ودام الحصار ثماني سنين وثلاثة أشهر[2]، نال من أهل تلمسان، من الجهد، والجوع مالم ينل أمة من الأمم، وفي الوقْتِ نفسِهِ إتسعت خطط المنصورة[3]، ودام الحصار حتى قتل يوسف إبن يعقوب من قِبَلِ أحد الخصيان أسخطته بعض النزعات الملوكية[4]، وذهب الله بجحيم الحصار على الزيانيين.

بعد إنتهاء المحنة نهض أبو زيان مستردا ما أخذه منه المرينيون من أعمال، ففي سنة (706هـ/1307م-1308م) خرج من تلمسان مع أخيه أبي حمو موسى الأول فقصد بلاد مغراوة، وشرد من كان هناك منهم في طاعة بني مرين، وأخذ الثغور من أيدي عمالهم، ثم عقد عليها لمسامح مولاه، ورجع عنها[5].

---

1 – إبن مرزوق، المصدر السابق، ص 26.

2– لِلمزيد من التفاصيل أُنظر: ـ السليماني، المخطوط السابق، ورقة 125.

3 – حول حصار مدينة تلمسان، و تأسيس مدينة المنصورة أُنظر: – عبد العزيز لعرج، **مدينة المنصورة المرينية بتلمسان**، دراسة في الفكر العمراني الإسلامي و تطبيقاته العلمية" عمرنا وعمارة وفنا"، ط2، شركة إبن باديس لِلكتاب، الجزائر، 2011م.

4 – حول مقتل السلطان يوسف بن يعقوب المريني أُنظر: – إبن خلدون، كتاب العبر، ج7، ص 308.

5 – محمد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية لِلكتاب، الجزائر، 1985 م، ص 108. وكذلك: – إبْن خلدون، كتاب العبر، ج7، ص 191.

في فترة حكم أبي زيان اِنقطعت الدعوة لِلحفصيين بتلمسان، واِستمرت على ذلك إلى غاية وفاة أبي زيان، ولما خلفه أخوه أبو حمو موسى الأول(707هـ-1308م/718هـ-1318م)، وكان شديد البأس اِتبع سيرة أخيه أبي زيان في قطع الدعوة لِلحفصيين، وعقد السلم مع سلطان بني مرين لِأول دولته.[1]

ولما نشب الخلاف بين السلطان أبي حمو موسى الأول مع أمير الدولة المرينية أبي سعيد عثمان اِبن يعقوب (708هـ- 1308م/ 710هـ- 1310م) بسبب تدخل أبي حمو موسى الأول في خلاف حدث بين السلطان المريني وأخيه يعيش بن يعقوب[2] زحف أبو سعيد على تلمسان وحاصرها، وغلب على ضواحيها. ولما اِنكشفت المحنة على تلمسان نهض أبو حمو موسى الأول واِستعمل اِبنه أبا تاشفين على تلمسان زحف على بلاد مغراوة، وكان ذلك سنة (707هـ/1307م)، لكنّ أبا تاشفين سولت له نفسه فدخل في صراع مرير مع أبيه اِنتهى سنة (718هـ/ 1318م) بقتله[3].

كان أبو تاشفين (718هـ-1318م/737هـ-1337م) مولعا بالبناء وذكر ذلك اِبن خلدون بقوله: "...و أغرى دولته بتشييد القصور واِتخاذ الرياض والبساتين، فاِستكمل ما شرع فيه أبوه من ذلك وأربى عليه، فاِحتفلت القصور والمصانع في الحسن ما شاءت..."[4] ، لكن هذا الأمن والاِستقرار الذي عرفته "تلمسان" ودام ما يقارب عشرين سنة اِنتهى بالحصار الذي ضربه المرينيون على تلمسان بقيادة أبي الحسن المريني، ومقتلهم لِسلطان الدولة الزيانية أبي تاشفين، وملكت بني مرين تلمسان، وبلاد توجين، ومغراوة، وذلك سنة (737هـ/1337م)، واِنقطعت دولة بني عبد الواد إلى غاية إحيائها من قِبَلِ أبي سعيد عثمان سنة (749 هـ / 1348م).[5]

خلال الحصار الذي فرضه أبو الحسن على تلمسان، ومسيرته إلى فتح إفريقية، وما كان له فيها من مشْكلاتٍ وصعاب أثناء عودته إلى المغرب اِجتمعت مغراوة واِنفصلت عن الدولة المرينية إلى حين. ولما اِسترد أبو سعيد عثمان ملك (749هـ- 1348م/ 753هـ- 1352م) تلمسان جعل قيادة الجيش لِأخيه أبي ثابت، فلما زحف الناصر الحفصي من إفريقية على المغرب الأوسط بَقِيَتْ مغراوة مع أميرها

---

1 - اِبن أبي زرع، المصدر سابق، ص 528.

2 - اِبن خلدون، كتاب العبر، ج7، ص305.

3 - الميلي، المرجع السابق، ج3، ص 736.

4- اِبن خلدون، كتاب العبر، ج7، ص 142.

5 - الميلي، المرجع السابق، ج3، ص736.

علي بن راشد على نُصْرَةِ بني عبد الواد رغم الصلح، والموادعة، والتظاهر على عدوهم، فأسرها أبو ثابت في نفسه ولما هزم جيش الناصر، وقطع الطريق على السلطان المريني أبي الحسن وجه أبو سعيد عثمان جيوشه نحو مغراوة، فخرج من تلمسان سنة (752هـ/1351م)، وزحف على المغرب الأوسط ودخل مدينة الجزائر، وعقد عليها لسعيد اِبن موسى بن علي الكردي، وذلك في منتصف شهر شعبان من سنة (752هـ/ 1351م)[1].

أثناء الحصار الذي فرضه أبو ثابت على المغراويين بجبل الظهرة بعث علي بن راشد إلى سلطان بني مرين أبا عنان فارس، وطلب منه الشفاعة والوساطة عند أبي ثابت، ولكن هذا الأخير رد الشفاعة ولم يقبلها، ولما بلغ أبو عنان نبأ مقتل علي بن راشد، جمع لِغزو تلمسان، والمغرب الأوسط وكان ذلك سنة (753هـ/1352م)، واِنهزم جيش بني عبد الواد عند سهل وجدة، وكان ذلك في ربيع الثاني من سنة (753 هـ/1352م)، وقتل أبو السعيد عثمان، وفر أبو ثابت إلى بجاية، ودخل أبو عنان إلى تلمسان، و طلب من صاحب بجاية أبي عبد الله حفيد السلطان أبي بكر الحفصي القبض على أبي ثابت، فكان ذلك وسلم لِسلطان بني مرين، وقتل بصحراء المدية سنة (753هـ/1352م) وغلب بنو مرين على المغرب، واِنقضى ملك آل زيان من جديد إلى غاية بعثه من قِبَلِ أبي حمو موسى الثاني[2].

ولما تزعم أبو حمو موسى الثاني أمر آل زيان (760هـ-1358م/791هـ- 1388م) اِسترجع تلمسان، و المغرب الأوسط من بني مرين[3]، ولكن الصراع تجدد مرة أخرى بين أبي حمو موسى الثاني، والسلطان المريني الجديد أبي سالم إبراهيم (760هـ- 1359م/762-1361م)، بسبب طلب هذا الأخير من أبي حمو موسى الثاني الكف عن المرينيين المؤجودينَ بالجهة الشرقية، ولكنّ أبا حمو موسى الثاني رفض ذلك فجهز أبو سالم الجيش المريني وزحف به على أعمال تلمسان، وحاصرها، ودخلها سنة

---

1 - اِبن خلدون، كتاب العبر، ج 7، ص160.

2- نفسه، ج 7، ص 216.

3 - حول خروج أبي حمو موسى الثاني من المغرب الأوسط و الدخول إلى مدينة تلمسان، و اِستقبال هائل الذي خص به من قِبَلِ أهلها أُنظر: - مؤلف مجهول، **زهرة البستان في تاريخ بني زيان**، السفر الثاني، مخطوط بمكتبة جامع مانشيستر، بريطانيا، ميكروفيل رقم: Ms:283 / 79b ، ص 69.

(761هـ/ 1360م)، لكنّ أبا حمو موسى الثاني خالفه إلى المغرب فخشي أبو سالم على ملكه، فقفل راجعا إلى فاس بعد أن عين أبا زيان القبي[1] على تلمسان.[2]

خرج أبو سالم إبراهيم من تلمسان إلى فاس فاِستغل أبو حمو موسى الثاني هذا الوضع وزحف على تلمسان، ففر من أمامه أبو زيان القبي، واِستطاع السيطرة على كل ممتلكات بني مرين، وذلك يوم 8 رمضان سنة (761هـ/23 جويلية 1360م).

وفي سنة (768هـ/1366م) ثار من جديد أبو زيان القبي بدعم من المرينيين حيث تمكن من مليانة والبطحاء والمدية، مما جعل أبا حمو موسى الثاني يزحف من جديد على هذه المدن، فأطاعته الحواضر كتنس، ووهران، ومستغانم ماعدا الجزائر، وكان ذلك في محرم (769هـ/1367 م).[3]

اِحتدم الصراع بين أبي حمو موسى الثاني، وأبي زيان القبي إلى غاية زحف السلطان عبد العزيز على تلمسان، ولقيه أبو حمو موسى الثاني عند جبل بني وردنيد فاِقتتلوا قتالا شديدا توفي عندها أبو حمو موسى الثاني، وكان ذلك سنة (791هـ/1389م)، وملك بنو مرين المغرب الأوسط، وتَسَلَّمَ أبو تاشفين الحكم (791هـ-1389م/795هـ-1393م) بمساعدة الجيوش المرينية ضد أبيه أبي حمو موسى الثاني، وفي زمانه بقي المغرب الأوسط تحت الحماية المرينية، وعند وفاته قام القائم بدولته بتعين صبي من أبنائه وقام بكفالته، وكان يوسف بن أبي حمو موسى الثاني (795هـ-1393م/796هـ- 1394م) واليا على الجزائر من قبل أبي تاشفين، فلما بلغه الأمر سارع بالسير إلى تلمسان فدخلها، وقتل الصبي[4] وأحمد بن العز، ولما سمع سلطان المغرب أبو العباس بالأمر تجهز لِفتح المغرب الأوسط من جديد وبعث من

---

1 – هو محمد بن السلطان أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن تقبض عليه وعلى عمه أبي ثابت و وزيريهم يحي بن داود ببجاية، وسيقوا إلى السلطان أبي عنان فقتل أبا ثابت ووزيره واِستبقى محمدا و أودعه السجن، حتى إذا هلك وتأمر أمر المغرب أخيه أبي سالم امتن عليه وأطلقه من الاِعتقال ونظمه بمجلس ملكه في مراتب الأعياص وأعدّه لمزاحمة ابن عمه أبي حمو موسى الثاني. لِلمزيد من التفاصيل أُنظر: – اِبن خلدون، كتاب العبر، ج7، ص167، 168

2 – لسان الدين بن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، نشر و تعليق: أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص 91.

3 – لِلمزيد من التفاصيل أُنظر: – اِبن خلدون، كتاب العبر، ج7، ص244.كذلك: – عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى الزياني**، حياته و آثاره، دار بن مرابط للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ / 2011م، ص 93.

4 – هو أبو ثابت الأول بن أبي تاشفين الثاني تولى حكم الدولة الزيانية سنة (795/ 1393م).

تازى اِبنه أبا فارس إلى تلمسان فملكها، وتقدم صالح اِبن حمو وزير السلطان أبي العباس المريني إلى المغرب الأوسط ووصل إلى غاية حدود مدينة بجاية[1]، وإنقطعت دولة بني عبد الواد مرة أخرى[2].

لقد أصبحت تلمسان ومن خلالها المغرب الأوسط بعد هذه السنة تتأرجح بين أمراء من آل زيان بدعم من المرينيين تارة، أو من الحفصيين تارة أخرى، وإمتدت هذه الفترة إلى غاية (870هـ/1465م)، ومن أمراء بني زيان المؤيدين من قِبَلِ الحفصيين نجد ابن الحمرة محمدا بن أبي تاشفين (827هـ-1423م/833هـ-1427م) الذي اِستطاع حشد مؤيديه بجبال الونشريس، وبرشك، وتنس، ولكنه خلع الدعوة الحفصية بعد توطيده لحكمه، لكنّ الحفصيين ساندوا عليه أبا مالك عبد الواحد بن السلطان أبا حمو موسى الثاني، وذلك بعد الحصار الذي فرضه أبو فارس الحفصي (796هـ/1394م/837هـ-1434م) على تلمسان، ولكن اِبن الحمرة لم يستسلم لِلحفصيين بل حشد القبائل القاطنة بجبال تنس، وبرشك، وسهل شلف[3]، وزحف بهم على تلمسان ففتحها في ذي الحجة سنة (833هـ/1440م)، و تمكن من قتل عمه أبي مالك، ودفنه بالقصر القديم بعد 48 يوما من تملكه لِتلمسان.

فزحف السلطان الحفصي أبو فارس على تلمسان فأسره، ونصب مكانه عمه أبا العباس أحمد العاقل ابن السلطان أبي حمو موسى الثاني (834هـ-1430م/866هـ-1461م)، فخرج عليه المستعين بالله أبو زيان محمد بن أبي ثابت، لكنه لم يستطع دخول تلمسان فاِكتفى بتأسيس إمارة عاصمتها الجزائر وتظم مدينة تنس، وسهل متيجة، والمدية، وكان ذلك سنة (842هـ/1439م)، ولكن أهل الجزائر ثاروا عليه وتمكنوا من قتله سنة (843هـ/1440م)[4].

---

1 - اِبن خلدون، كتاب العبر...، ج7، 197.

2 - عبد الحميد حاجيات، "إحياء الدولة الزيانية"، **في كتاب الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى غاية بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية لِلكتاب، 1984، ص399 . وكذلك:- المطوي، المرجع السابق، ص 634.

3- واد شلف: يتكون من فرعين يبلغ طول أحدوهما 270 كلم. لِلمزيد من التفاصيل أُنظر: - أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، **كتاب البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان 1419 هـ / 1988 م، ص 114. كذلك:- مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**،، الشركة الوطنية لِلنشر و التوزيع، الجزائر، 1981 م، ص46.

4 - التنسي، المصدر السابق، ص 245. كذلك:- عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1384 هـ/ 1965م، ج2، ص 189. كذلك: - حاجيات، اِستمرار النفوذ المريني، ص 425.

وفي أواخر سنة (870هـ/1466م) زحف المتوكل على الله بن أبي زيان من مدينة تنس، وضم إليه بقية بلاد مغراوة، وإستطاع دخول مدينة تلمسان، وعزل أبا العباس محمد العاقل، وخلع طاعته لِلحفصيين ولكنهم إستطاعوا محاصرة تلمسان بقيادة السلطان أبي عمر عثمان، وتقرب منه الأمير الزياني المتوكل على الله، وزوج إبنته الأمير الحفصي أبا زكريا، وأعلنت أغلبية مدن المغرب الأوسط بيعتها لِلحفصيين[1].

إستمرت الفتن تجتاح المملكة الزيانية لمدة طويلة، ففي عهد أبي ثابت الثالث محمد (890 هـ-1485م/902هـ-1497م) بدأت المدن والقبائل تستقل عن السلطة المركزية بتلمسان، كمدينة الجزائر، والمدية، وتنس، ودلس، كما أن كثيرا من القبائل العربية خلعت طاعة السلطان الزياني، وأصبحت تنضمّ إلى أعدائه كلما هجموا على أراضيه، وبعد وفاته زادت الأمور سوءا وإشتدّ خطر النصارى، وإحتلت المدن الساحلية، أما سلطان الزيانيين محمد الخامس بن محمد الثابتي، فإنه رأى أن يفاوض الأسبان ويصالحهم، فوفد على ملك قشتالة سنة (914هـ/1509م)، وعقد معه الصلح والتزم بالتبعية و بدفع ضريبة سنوية.[2]

وفي سنة (920هـ/1514م) أصبح الأتراك العثمانيون يشكلون قوة عسكرية في الحوض الغربي لِلمتوسط بقيادة الإخوة بربا روس. وفي سنة (922هـ/1516م) توفي محمد الخامس، فخلفه أبو حمو الثالث، وإرتكزت سياسته على مسالمة الأسبان ومصالحتهم، هذا ما جعل سكان مدينة تلمسان يثورون عليه ويمكنوا عروج باربروس من المدينة فإستنجد أبو حمو الثالث بالأسبان، وحاصروا عروج بتلمسان، وهزموه وقتل سنة (924هـ/1518م).

وعندما توفي أبو حمو الثالث سنة (934هـ/1528م)، كان ظل الزيانيين قد تقلصّ وأصبح أمراؤهم يرغبون في مصالحة أعدائهم النصارى، ويرضون بالتبعية لهم ودفع الضريبة تفاديا لِشرهم. وفي عهد أبي محمد عبد الله بن محمد الثابتي قوي نفوذ الأتراك، فأُضطّر إلى إجراء إتفاق سري معهم تحت ضغط سكان مدينة تلمسان وعلمائها، وصادف ذلك إنشغال الأسبان بأوضاعهم الداخلية، فسلم من شرهم إلى أن توفي سنة (947هـ/ 1540م)[3].

---

1 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 36. وكذلك: – حاجيات، خطر النصارى، ص 455.

2 – الميلي، المرجع السابق، ج3، ص740.

3 – مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، وآخرون، دار المعرفة ، الرباط، 1989م، ج2، ص310.

وكان أبو محمد عبد الله قد ترك ولدين أبا عبد الله محمد وأبا زيان أحمد، فثار هذا الأخير على أخيه بتشجيع من الأتراك وعلماء تلمسان فخلعه، فاِستجار أبو عبد الله محمد بالإسبان، فأمده الملك كارلس الخامس بجيش وأرسله إلى تلمسان، لكن ذلك الجيش اِنهزم قرب عين تيموشنت سنة (950هـ/1543م)، فعمل الإسبان على حشد الجيوش للثأر لقتلاهم، فأغاروا على تلمسان، واِحتلوها وقتلوا معظم أهلها، وأعادوا أبا عبد الله محمد على عرش تلمسان، ثم جمع أبو زيان كثيرا من أنصاره وقدم بهم إلى تلمسان، ولكنّ أبا عبد الله محمد خرج عليه وهزمه، ولما عاد إلى تلمسان أغلق أهلها الأبواب دونه وطردوه، واِستقدموا أبا زيان وأعادوه على عرش تلمسان، وبقي حليفا لِلأتراك إلى غاية وفاته سنة (957هـ/ 155م) فخلفه أخوه الحسن.

وكانت الدولة الزيانية آنذاك عبارة عن منطقة صغيرة تشمل تلمسان والمدن المجاورة لها، وكانت السواحل الغربية تحت سلطة الإسبان، فكان ذلك يحرمها أهم مواردها التي كانت تأتيها من تجارة الموانئ، وأصبحت مطمعا لِلسلطان السعدي محمد بن محمد بن أحمد الشريف ملك مراكش، ففي سنة (957هـ/1550م) جهز جيشا بقيادة إبنه حران وأرسله لِفتح تلمسان ونزعها من أيدي الأتراك وذلك بطلب من سكان مدينة تلمسان فبسط نفوذه عليها سنة (958 هـ/1551م) [1]، ثم واصل السير نحو مدينة مستغانم بعد اِنسحاب الأتراك منها فدخلها، وعيّن عليها أحد الأمراء المغاربة ترك عليها 700 فارسا وبعض رماة البنادق، ثم قفل راجعا إلى مدينة فاس، لكن الأتراك أعادوا الكرة في عهد حاكم الجزائر صالح رايس، وطردوا جيشه، وجعلوا حدّا لإغارته، ودخلوا إلى مدينة تلمسان، بل وصلوا الفتح

1 – في العهد الذي كانت الأمور تسير على أحسن حال لِلمسحيين في غرب المغرب الإسلامي، وفي إحدى قرى إقليم درعة ظهر رجل يقول عن نفسه إنه من السلالة النبوية ويسمى محمدا بن أحمد الشريف، ويلقب بالشيخ محمد، اِكتسب شهرة كبيرة عند سكان منطقة درعة، وكان ذا علم كبير في علوم الطبيعة، وعلوم السحر، وأوفد ابنيه أحمد ومحمد برسم خدمة السلطان مولاي أحمد الوطاسي المريني، وهنا تبدأ مسيرة الشرفاء السعديين مع السلطان والحكم. أنظر :– دييكو دي طورريس (غادر المغرب سنة 985هـ/1577م)، **تاريخ الشرفاء**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، شركة النشر والتوزيع، المغرب، 1988م، ص14. كذلك: – محمد الصغير الإفراني (توفي ما بين: (1154هـ–1157هـ/ 1742م–1745م)، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق: عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1998م، ص28 ، 71.

نحو مدينة فاس ففر صاحبها محمد بن محمد الشريف السعدي إلى مراكش فدخلها الأتراك بقيادة حسن قورصو وأميرها المخلوع أبي حسون المريني[1] برفقة الأمير دبدو متزينين بحلي فاغرة كل واحد بطراز بلده.[2]

3 – إستجابة مدينة تلمسان لِشروط تأسيس المدن:

يمكن تحديد أهمية موضع مدينة تلمسان من خلال إسقاط الشروط التي وضعها العلماء المسلمون في مصادرهم ومؤلفاتهم حين تكلمهم عن شروط تأسيس المدن، وأحسن المواقع في اِختيار بنائها، وفي مجملها ستة شروط، وهي:

– سعة المياه المستعذبة:

ويقصد في ذلك جلب المياه الصالحة لِلشرب، وتيسيرها لِلرعية، أو تقوم المدينة على نهر جار، أو وفرة الينابيع من عيون عذبة يسوغها الشارب.

تشير المصادر الجغرافية التي تكلمت عن مدينة تلمسان في مجملها أنّ بالمدينة موارد مائية تؤمن الشرب لِلرعية والمواشي، ويقول في ذلك البكري: "....وكان الأول قد جلبوا إليها الماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة أميال..."[3]، ويقول عبد المنعم الحميري: "...ولها نهر كبير يسمى سطفسيف...، ولها نهر يأتيها من جبل المدينة المسمى الصخرتين، ونهر شرقي المدينة وعليه أرحاء كثيرة...."[4]، كما يذكر مارامول كربخال أنّ مدينة تلمسان بها عدة سقايات تجلب ماءها من عين واحدة مجلوبة من جنوب تلمسان على بعد ثلاثين فرسخا تحت الأرض، كما يشير أن سلاطين المدينة عملوا على عدم اِكتشاف أمر هذه السقايات خوفا من تحويلها إذا ما حوصرت المدينة[5].

---

1 – هو علي بن محمد بن محمد بن أبي زكريا الوطاسي، وكان بويع بفاس سنة (932هـ/1525م)، ثم فر إلى الجزائر في السّنَةِ نَفْسِها بعد أن خلعه ولد أخيه أحمد بن محمد أُنظر: – أحمد بن القاضي (مر بالجزائر سنة 994هـ/ 1586م)، **المنتقي المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، تحقيق: محمد مرزوق، مكتبة المعارف، الرباط، 1986م، ج1، ص290. وكذلك: – الإفراوي، المصدر السابق، ص71.

2 . أُنظر: – أبو قاسم الزياني (1147هـ– 1241هـ/ 1734م– 1833م)، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، تحقيق: رشيد الزاوية، الرباط، المغرب، 1992م، ص 35. كذلك: – دييكو دي طورييس، المصدر السابق، ص 175.

3 – البكري ، المصدر السابق، ص 76، 77.

4 – الحميري، المصدر السابق، ص 135.

5 – مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص299. كذلك: – حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص20.

– إمكان الميرة المستمدة:

حيث يجب أن تكون لِلمدينة أرباضا توفر لها الميرة، وأراضي زراعية تضمن لها الأمن الغذائي في حالة الحروب والحصار.

لمدينة تلمسان فحص طوله خمسة و عشرون ميلا (40كلم تقريبا)، يتوفر على إنتاج زراعي كبير وثروة حيوانية متنوعة، سكنت فيه قبائل بربرية من رعيل زناته تعتمد على تربية الأبقار أساسا، ويصف عبد المنعم الحميري فحص مدينة تلمسان بقوله "..وهي على سفح الجبل أكثره شجر اللوز...وهي كثيرة الخصب والرخاء كثيرة الخيرات والنعم، ولها قرى كثيرة عمائر متصلة، ومدن كثيرة ترجع إلى نظرها...ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة ولحومها شحمة[1]. وقد اِتفقت جميع المصادر التاريخية والجغرافية التي تكلمت عن مدينة تلمسان من الجانب الزراعي على توافرها على سهول واسعة تضمن لِلمدينة التزود بمختلف المحاصيل، وتحيط بالمدينة بساتين جميلة ومنتزهات يتوجه إليها أيام السلم، بها عيون جارية بمياه باردة، وتشمل كذلك على حدائق كبيرة من أشجار الزيتون تستخرج منها كمية كبيرة من الزيت، وكذلك أشجار الجوز وجميع أنواع الفواكه، وكروم كبيرة تحمل عنبا حلوا لذيذ الطعم جدا، يجفف في الصيف ويحفظ السنة كلها، كما توجد خارج المدينة كذلك عدة طاحونات لِلحبوب على ضفة نهر صفصف[2].

– اِعتدال المكان وجودة الهواء:

إذ أن المدن التي تبنى في منخفض الأرض يركد فيها الهواء ويتجدد ببطء، والعامل المساعد على تجديد الهواء هو الريح، ومن ثم فإن المدن المؤسسة على مكان معتدل أو مرتفع فإن هواءها صحي.

وقد توافر هذا الشرط بمدينة تلمسان حيث تقع على سفح جبل تمر عليها جميع التيارات الهوائية، ومن ثم يتجدد الهواء، ويتصف بالاِعتدال طوال أشهر السنة، وبالحرارة الموسمية في فصل الصيف.

– القرب من المراعي والاِحتطاب:

وذلك لتوفير الكلأ لِلمواشي، وتوفير الحطب لِلطهي والغداء، ومدينة تلمسان بها من الأشْجارِ ما يكفيها لِلتزود بالحطب، ولديها كذلك سهول واسعة تساعد على تربية المواشي.

---

1 – الحميري، المصدر السابق، ص 135.

2 – لِلمزيد من التفاصيل أُنظر: – مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص299. كذلك: – حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص20.

– تحصين منازلها من الأعداء والذعار:

ويقصد بذلك تأمين الرعية من كل طارق، أو غزو أجنبي. وقد عرفت مدينة تلمسان منذ الفترة الإسلامية إستحكمات عسكرية[1]، تمثلت في الأسوار المتينة التي تحيط بالمدينة تتخللها أبراج وأبواب، ودورها كان لمراقبة حركة الوافدين على المدينة وكانت تغلق ليلا وذلك على غرار جميع المدن الإسلامية، وقد ذكرت جميع المصادر التي تناولت مدينة تلمسان واتفقت في مجملها على أن المدينة كانت مسورة من جميع نواحيها، ويقول الحميري في ذلك: " ولها سور متقن الوثاقة..."[2]، ويذكر الإدريسي من علماء القرن السادس لِلهجرة الثاني عشر لِلميلاد أنّ مدينة تلمسان أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة[3]، ويبدو أن أمراء وسلاطين مدينة تلمسان اهتموا بتحصين المدينة منذ نشأتها إلى غاية الفترة العثمانية، حيث يصف مارمول كربخال أسوار المدينة بقوله: "...أسوار المدينة جميلة وشاهقة محصنة تحصينا جيدا ببروج، لها خمسة أبواب رئيسية، في كل واحد منها مركز للحراسة..."[4].

– أن يحيط بها السواد يعين أهلها:

ويقصد هنا القرى والقبائل والأرباض التي يجب أن تحيط بالمدينة، وتكون مددا عند الصريخ، وتموينها بالميرة.

ومدينة تلمسان منذ القديم كانت دار مملكة قبيلة زناته، وهي من أكبر القبائل البربرية بالمغرب الإسلامي، ويقول الحميري في ذلك: " وكانت تلمسان دار مملكة زناته في هذه العصور القريبة، وحوليها قبائل كثيرة من زناته و غيرهم من البربر..."[5]. ومع بداية القرن الخامس لِلهجرة الحادي عشر لِلميلاد انتشرت قبائل عربية بالمغرب الإسلامي من فرع بني هلال، ومن أهم فرع من هذه القبيلة نجد بني عامر الذين انتشروا في سهول مدينة تلمسان، وهم بدو يعيشون حياة الترحال، ويصفهم حسن الوزان بقوله: " أهم فرع من هذا الرهط هم بنو عامر المقيمون بتخوم مملكتي تلمسان ووهران يرحلون إلى صحراء تيكورارين ويستأجرهم ملك تلمسان، وهم ذوو شجاعة فائقة وثروة طائلة، عددهم نحو ستة آلاف من

---

1 – أنظر الفصل الخامس من الدراسة.

2 – الحميري، المصدر السابق، ص 135.

3 – لِلمزيد من التفاصيل أنظر: – الإدريسي، المصدر السابق، ص286.

4 – مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص299.

5 – الحميري، المصدر السابق، ص 135.

أحسن الفرسان، وأقواهم عتادا...وديار هبرة في السهل الممتد بين وهران ومستغانم، وهم فلاحون يؤدون الخراج لملك تلمسان، ولعل عددهم مائة فارس"[1] .

وقد جمعت مدينة تلمسان جميع الشروط التي وضعها علماء الإسلام في تخطيط المدن، ومن خلال وصف المقري يتسنى لنا معرفة أهمية هذه الشروط بقوله: "...وهي مدينة عريقة في التمدن، لذيذة الهواء كريمة المنبت، إقتعدت بسفح الجبل، ودُوَيْن رأسه بسيط أطول من الشرق إلى الغرب، عروسا فوق المنصة...ويطل منها على فحص "أفْيَحَ" معد لِلفلاحة...وبها لِلملك قصور زاهرات إشتملت على المصانع الفائقة، والصروح الشاهقة والبساتين الرائقة...وتنصب إليها من الأعلى أنهار من ماء غير آس، تتجاذبه أيدي المذانب والأسراب المكفورة خلالها، ثم ترسله بالمساجد والمدارس والسقايات بالقصور وعلية الدور والحمامات فيفعم الصهاريج، ويفهق[2] الحياض، ويسقى ريعه خارجها مغارس الشجر ومنابت الحب..."[3].

خاتمة

من خلال هذا البحث يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

– عرفت مدينة تلمسان منذ نشأتها كمدينة إسلامية في العصر الوسيط حَراكا سياسيا لم يتوقف إلى غاية العصر الحديث، والسبب في ذلك توسطها لِلمغربين الأوسط والأقصى، حيث تعتبر بوابة المغرب الأقصى فمن دخلها فقد تحكّم في المغرب الإسلامي كله، لذلك كانت مطمعا لجميع الدول والإمارات التي تأسست به.

– أهل الموقع الجغرافي مدينة تلمسان كي تكون حاضرة وقاعدة المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي في القرن الأول لِلهجرة، وهذا ما جعلها عاصمة لِولاية المغرب الأوسط منذ الفترة الإدريسية إلى غاية قيام الدولة الزيانية، حيث إتخذها أمراء بني عبد الواد عاصمة لِدولتهم لأكثر من ثلاثة قرون.

---

1 – حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص51.

2 – فهق الغدير بالماء يفهق فهقا: إمتلأ. أُنظر:– إبن منظور، المصدر السابق، ج7، ص135.

3 – أحمد بن محمد المقري (986هـ – 1578م / 1041هـ– 1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار الصادر، لبنان، 1408هـ/ 1988م، ج5، ص433.

– ومن خلال تعريفنا لِلشروط التي يجب توافرها في مواضع المدن، نستنج أن مدينة تلمسان قد اِستجابت لهذه الشروط وجمعت بين التل والصحراء والبحر، وهذا ما جعلها قاعدة لِلمغرب الأوسط وملتقى التجار الصناع والعلماء وطلبة العلم في العصر الوسيط.

– قائمة المصادر والمراجع:

– ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد (218 هـ – 833م / 272هـ-885م)، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تحقيق، عارف أحمد عبد الغني، دار كنانة للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، 1996م.

– ابن أبي زرع علي (توفي:726هـ/ 1326م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، 1420هـ/ 1999م.

– ابن الخطيب لسان الدين، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

– ابن خلدون عبد الرحمن، **المقدمة**، تحقيق: عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 2006م.

– الزياني أبو قاسم (1147هـ- 1241هـ/ 1734م- 1833م)، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، تحقيق: رشيد الزاوية، الرباط، المغرب، 1992م.

– ابن الشماع أبو العباس أحمد (ت: 833هـ /1429م)، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية لِلكتاب، 1984م.

– ابن القاضي أحمد (مر بالجزائر سنة 994هـ/ 1586م)، **المنتقي المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، تحقيق: محمد مرزوق، مكتبة المعارف، الرباط، 1986م.

– اِبن القاضي أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي (ت: 1065هـ/ 1654م)، **جدوة الاِقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار منصور، الرباط، 1973م.

– اِبن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، نشر عبد المنعم عامر، القاهرة، 1961م.

– اِبن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، تحقيق: سلوى الزاهد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ/ 2009م.

– الإفراني محمد الصغير (توفي ما بين: (1154هـ-1157هـ/ 1742م-1745م)، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق: عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1998م.

– التنسي محمد بن عبد الله ، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية لِلكتاب، الجزائر، 1985م.

– دييكو دي طورييس (غادر المغرب سنة 985هـ/1577م)، **تاريخ الشرفاء**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، شركة النشر والتوزيع، المغرب، 1988م.

– مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، وآخرون، دار المعرفة ، الرباط، 1989م.

– الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (364هـ- 974م/ 450هـ 1058م)، **كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك** ، دار النهضة العربية، لبنان، 1401هـ/ 1981م.

- مؤلف مجهول (ألف حوالي 712هـ/1312م)، **مفاخر البربر**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2005م.

- المقريزي تقي الدين بن علي (766 هـ - 845هـ / 1364 م- 1441م)، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تحقيق: محمود الجليلي ، دار المغرب الإسلامي،1423هـ / 2002 م.

- مؤلف مجهول، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، 1920 م،

- مؤلف مجهول، **زهرة البستان في تاريخ بني زيان**، السفر الثاني، مخطوط بمكتبة جامع مانشيستر، بريطانيا، ميكروفيل رقم: / 283 . Ms:79b

- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب ، **كتاب البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان 1419هـ/1988م.

- بديوي يوسف علي، **عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط**، دار الأصالة، الجزائر، 1431هـ / 2010م.

- بلحميسي مولاي ، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**،، الشركة الوطنية لِلنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

- الجيلالي،عبد الرحمن **تاريخ الجزائر العام**، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1384هـ/1965م.

- حاجيات عبد الحميد ، **أبو حمو موسى الزياني**، حياته و آثاره، دار بن مرابط للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ / 2011م.

- حاجيات عبد الحميد ، "إحياء الدولة الزيانية"، **في كتاب الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى غاية بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية لِلكتاب، 1984م.

- لقبال موسى، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5 هـ / 11م**، الشركة الوطنية لِلنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

- لقبال موسى، " تيار الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا ونتائجه "، **في كتاب الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى غاية بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- لقبال موسى، " تيار الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا ونتائجه "، **في كتاب الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى غاية بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- لعرج عبد العزيز ، **مدينة المنصورة المرينية بتلمسان**، دراسة في الفكر العمراني الإسلامي و تطبيقاته العلمية" عمرنا وعمارة وفنا"، ط2، شركة اِبن باديس لِلكتاب، الجزائر، 2011م.

- المطوي محمد لعروسي، **السلطة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1986م.

معركة حصن لبيط بالأندلس على عهد المرابطين
(قراءة في المسبّبات والنّتائج)

الدّكتور عبد العزيز شاكي
أستاذ محاضر قسم أ
abdelaziz.chaki@univ-msila.dz

معركة حصن لبيط بالأندلس على عهد المرابطين
(قراءة في المسببات والتركات)

مقدمة

أخذت دولة المرابطين اللمتونيين على عاتقها مهمة مقارعة القوى النصرانية في الأندلس، ودخلت معهم في سجال مُستدام منذ قيامها إلى غاية تهاوي سلطانها ، غير أن الناظر إلى أحوال الأندلس أيام المرابطين يدرك مدى أهمية جدار الصّد الذي شكله المرابطون أمام الزحف النصراني ضمن ما يُعرف بحركة الإسترداد المسيحي[1] التي طالت كثيرا من الجغرافية الأندلسية الإسلامية وأهلكت الحرث والنسل وتفننت في إذلال أمراء طوائف الأندلس الذين تكالبوا على بعضهم وإستقوى بعضهم بالنصارى على البعض الآخر ، وقد تبادل المرابطون ونصارى الأندلس النصر والهزيمة في سلسلة حروبهم الطويلة التي من بينها معركة حصن لبيط فما هي مسببات عبور يوسف إلى الأندلس لمقاتلة النصارى ؟ وما مجريات هذا السجال وتركاته ؟

1- موجبات عبور يوسف بن تاشفين إلى الأندلس:

بعد إنتصاره على نصارى الأندلس في وقعة الزلاقة سنة (479هـ/ 1086م) عاد يوسف إبن تاشفين[2] إلى المغرب[3]، فإغتنم ملوك الطوائف الفرصة وعادوا إلى سالف عهدهم حيث إفترقت كلمتهم وتنازعوا رغم أن يوسف بن تاشفين جمعهم بعد الزلاقة وحثهم على الإئتلاف والإتفاق[4]، وعاود ألفونسو

1- حرب الإسترداد هي الحرب التي أعلنها المسيحيون على المسلمين في الأندلس لإسترجاعها من يد المسلمين وبدأت هذه الحرب مع ضعف المسلمين بالأندلس. رينهرت دوزي : **المسلمون في الأندلس**، ترجمة : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة لِلكتاب، القاهرة، 1994، ج3، ص125؛ PHILPPE CONRAD : **histoire de la roconquista** , 2 édition , presses universitaires de france , paris , 1999 .

2 - أنظر ترجمة يوسف بن تاشفين: - إبن أبي زرع ،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور لِلطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص136. وكذلك: - مجهول، **الحلل الموشية**، ص24. وكذلك:- الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993، ج34، ص75.

3- وكان سبب ذلك حسب صاحب الحلل الموشية هو ورود نبأ وفاة الإبن أبو بكر سير يث إستعجل يوسف العودة إلى بلاد المغرب. مجهول، الحلل الموشية، ص 66.

4- عن تفاصيل هذا الإجتماع راجع الأمير عبد الله بن بلكين الزيري ،(كان حياً سنة 483هـ/ 1090م) : **مذكرات الأمير عبد الله – المسماة كتاب التبيان –**، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د . ت، ص 106.

السادس التوجه إلى حصن الليبط.[1] الموالي لِابن عباد وذلك نكاية في المسلمين وثأراً من هزيمته ، وقد شحن هذا الحصن بالخيل والرجال والرماة وأمر ألفونسو السادس جنوده أن يتخذوا هذا الحصن قلعة ومركزا يغيرون منه على أطراف بلاد الأندلس فيقتلون ويأسرون.

صار هذا الوضع يؤرق المسلمين فأرسلوا في طلب النجدة من أمير المرابطين يوسف بن تاشفين [2] فتهيأ لِلعبور إلى الأندلس ،الذي من موجباته ما أورده صاحب الحلل الموشية بقوله إنّ أهل بلنسية ومرسية ولورقة وبسطة شكوا إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين ما حل بأهل بلسنية من شأن الكنبيطور[3] حيث لازم حصارها سبعَ سنين حتى دخلها وشكوا إليه ما حل بأهل مرسية ولورقة وبسطة من شأن الليبط [4] كما أن المعتمد بن عباد قد أقلقته تحركات العدو بالأندلس فتحرك من إشبيلية في خاصته وجاز البحر إلى يوسف بن تاشفين فلقيه في المعمورة [5].

يصف لنا صاحب الحلل الموشية تفاصيل هذا اللقاء بقوله: " فقابله بالسلام والترحيب بوجه طلق، وصدر رحب، وإكرام جم، وقال له : ما السبب الذي دعاك لِلجواز إلينا وهلا كتبت بحاجتك، فقال له جئتك اِحتسابا وجهادا واِنتصارا لِلدِّين، وقد أجرى الله الخير على يديك وحظك مما جئت به الحظ الأوفر، وقد اِشتد ضرر النصارى المستولين على حصن لبيط وعظم أذاه بالمسلمين، لتوسطه في بلادهم ولا جهاد أعظم منه أجرا ولا أثقل في الميزان وزناً، فتلقى أمير المؤمنين مقصده بالقبول ووعده بالحركة والجواز ".[6]

1- هو حصن حصين على رأس جبل شاهق، بينه وبين لورقة نصف يوم، يملكه النصارى وكانت سراياهم تغير شرقا وغربا، حيث كان موقعه يتوسط بلاد المسلمين. مجهول: الحلل الموشية، ص 67 ؛ يمكن أو يأوي 13 ألف جندي ولا تزال آثاره ماثلة إلى اليوم. رينهرت دوزي ، المرجع السابق ،ج3 ، ص ص 137- 138 .

2- مجهول، الحلل الموشية، ص67 ؛ اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 152. و كذلك:- السلاوي، **الِاستقصا لِأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق، جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1994م، ج2، ص46 .

3- من قادة جيوش النصارى في الأندلس. مجهول: الحلل الموشية، ص 67 ؛ ويعرف كذلك بِاسم الكمبيادور. يوسف اشباخ : **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة : محمد عبد الله عنان، ط 2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1996م، ج1، ص 93 .

4- مجهول: الحلل الموشية ، ص 67.

5- على حلق وادي سبو. مجهول : الحلل الموشية، ص 68؛ عند ملقى وادي سبو. اِبن ابي زرع: المصدر السابق، ص 152؛ عند حلق وادي سبو وهي المعروفة اليوم بالمهدية من أحواز سلا. السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47.

6- مجهول: الحلل الموشية، ص 68.

ويبدو أن أمير المرابطين لم يكن ليتأخرَ عن نصرة إخوانه فقد لبى النداء ووعد المعتمد بن عبّاد بالجواز إليه إلى الأندلس[1] ورجع المعتمد بن عباد إلى [2] إشبيلية ليستعدَّ لذلك حيث " تقدم إلى أهل مملكته بالإستعداد وأكثر أعمال السهام والمطارد وعمل العرادات [3] وغير ذلك من الآلات".[4]

عزم يوسف بن تاشفين الجواز إلى الأندلس (وكان هذا هو الجواز الثاني ليوسف بن تاشفين) في ربيع الأول سنة 481 هـ الموافق لـ جوان 1088م[5]، حيث توجه يوسف بن تاشفين بجيوشه نحو الجزيرة الخضراء فإلتقى المعتمد بن عباد [6].

ثم نزل يوسف وأقام بها وبعدها كتب إلى أمراء الأندلس يدعوهم إلى الجهاد[7] وطلب منهم الإلتقاء عند حصن لبيط[8] فإجتاز يوسف على مالقة وإستنفر صاحبها المستنصر بالله تميم بن بلقين بن باديس ثم[9] تلاحق به أخوه المظفر عبد الله إبن بلقين صاحب غرناطة[10] والمعتصم بن صمادح من المرية وتوافي رؤساء الأندلس من شقورة وبسطة وجيان وكل مكان.[11]

1- إبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 152؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 68 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47، إبن بلكين : المصدر السابق، ص 108، أما إبن الخطيب فيذكر أن يوسف بن تاشفين جاز إلى الأندلس من دون ذكر سبب ذلك. إبن الخطيب : **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق : ليفي بروفنسال، ط 2، دار المكشوف، بيروت، 1956م، ص 246 ؛ إبن الابار: **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج2 ، ص 86 .

2- مجهول: الحلل الموشية، ص 68؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 152 .

3- العرادات جمع مفرده عرادة وهي شبيهة بالمنجنيق لكنها صغيرة. إبن منظور: المصدر السابق، ص 2827 .

4- مجهول: الحلل الموشية، ص 68.

5- مجهول: الحلل الموشية، ص 66 ؛ إبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 152 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 49 .

6- ذكر صاحب الروض القرطاس أنّ المعتمد بن عباد كان في إنتظار جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وكان قد تلقاه عند وصوله بألف أداة تحمي الميرة والضيافة. إبن أبي زرع : المصدر السابق، ص 152 ؛ أما صاحب الحلل الموشية فقال بأنه إستقبله بما يقدر عليه من الكرامات . مجهول: الحلل الموشية ، ص 68.

7- إبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 152 ؛ مجهول: الحلل لموشية، ص 68 ؛ إبن بلكين: المصدر السابق، ص 108. ومما ورد في مذكرات إبن بلكين في ذات الصفحة قوله:" وأتتنا كتب الأمير يأمرنا عنده بالجواز بالإستعداد لِلقتال وما شاكل ذلك ففعلنا وبادرنا رغبة في الجهاد ومحبة فيه، وإيثارا له ، وخرجنا إليه ".

8 - إبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 152 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 68 ؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 95.

9- مجهول: الحلل الموشية ، ص 68 ؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 95.

10- إبن بلكين: المصدر السابق، ص 108 . مجهول: الحلل الموشية ، ص 69. يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 95.

11- مجهول: الحلل الموشية، ص 68. ونقل لنا صاحب الحلل الموشية في ذات الصفحة قوله إن النجارين والبنائين والحدادين جاؤوا من مرسية نحو حصن الليبط وهذا ربما لإستخدامهم عند الحاجة.

أ – مجريات معركة حصن لييط وتداعياتها:

توجهت القوى الإسلامية إلى حصن لييط وكان ممن وصل مع يوسف بن تاشفين قوات كل من ابن عبد العزيز صاحب مرسية والمعتمد بن عباد[1]وقد كانت قوات النصارى بداخل هذا الحصن اِثني عشر ألف راجل بالإضافة إلى ألف فارس حسب تقديرات صاحب الحلل الموشية [2]، وهو ما يتفق مع رواية يوسف أشباخ ورينهرت دوزي[3]، وبدأت الحروب وكثر الوارد وتمادى القتال على الحصن ليلا ونهارا مدة شهر وكل أمير من أمراء الأندلس يقاتل في يوم بخيله ورجله مداولة بينهم [4] .

بينما ينقل لنا اِبن أبي زرع رواية فيها قليل من التغيير حيث يقول :" وشرعوا في قتاله (أي الحصن) والتضييق عليه وشنَّ يوسف الغارات على بلاد الروم في كل يوم فدام الحصار على اللييط أربعة أشهر لا يفتر عنها القتال ليلا ولا نهارا إلى أن دخل فصل الشتاء" [5]

يتفق السلاوي مع رواية اِبن أبي زرع التي تقول بمكوث الحصار 04 أشهر[6]، لكن يبدو أن ما ورد في رواية صاحب الحلل الموشية هو خطأ مطبعي لأن محقق الكتاب يشير إلى أنه عثر على كلمة أشهر في نسخة أخرى بدل شهر[7] لذلك قد يكون الناسخ هو من أخطأ –والله أعلم– وعلى أية حال فإن قوات المسلمين ورغم كثرتها واِتحادها فإنها لم توفق في الاِستيلاء على الحصن.[8] رغم الوسائل الحربية المتنوعة التي اِستعملها المسلمون في حروبهم مع النصارى من سهام ومطارد وآلات [9]. وما زاد في تراجع عزيمة المسلمين هو تلك الحيلة التي لجأ إليها النصارى الذين كانوا بداخل الحصن حيث كانوا ينيرونه ليلا

1- اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 152؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47؛ اِبن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 86 .

2- مجهول: الحلل الموشية، ص 69.

3- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 95 ؛ دوزي: المسلمون في الأندلس،ج3، ص 139.

4- مجهول : الحلل الموشية، ص 69.

5- اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153.

6- السلاوي: المصدر السابق،ج2، ص 47.

7- مجهول: الحلل الموشية، ص 69.

8- اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص69 ؛ السلاوي: المصدر السابق،ج2، ص 47 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1،ص 96 ؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص 140.

9- مجهول: الحلل الموشية، ص 68 ؛ اِبن بلكين: المصدر السابق، ص 109 . ويخبرنا اِبن بلقين في مذكراته أن اِبن صمادح لجأ إلى أسلوب جديد حيث صنع فيلا ليقتحم به أسوار الحصن لكن النصارى أحرقوه وبذلك باءت كل المحاولات بالفشل لاِقتحام الحصن.

ويبثون أخبارا بين المسلمين مفادها قرب مجيء الفونسو السادس وقواته لإنقاذ النصارى من الحصن.[1] كما أن الحصار الذي ضُرب على الحصن فشل [2] لما يئس المسلمون من اِقتحام الحصن اِجتمع المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين وظهر لهما من حصانة ومنعة حصن الليط ما جعلهم يفقدون الأمل في اِقتحامه[3]،

في هذا الوقت بالذات نشب خلاف بين أمراء الأندلس[4] حيث نقل لنا ذلك اِبن أبي زرع بقوله : " ووقع بين اِبن عبد العزيز أمير مرسية وبين اِبن عباد أمير إشبيلية نزاع وشنآن، فشكا المعتمد إلى أمير المسلمين يوسف بن عبد العزيز فدعا يوسف قائده سير بن أبي بكر وأمره بالقبض على ابن عبد العزيز"[5]. أما صاحب الحلل الموشية فينقل لنا هذا الصراع بين أمير إشبيلية وهو المعتمد بن عباد وبين اِبن رشيق ولكن يزيد عليه أن المعتمد في شكواه إلى أمير المرابطين اِتهم صاحب مرسية اِبن رشيق كان يصانع الفونسو السادس[6] فاِستفتى يوسف بن تاشفين الفقهاء في أمرهما وكانت الفتوى تقضي على اِبن رشيق بالقبض وتسليمه لِلمعتمد بن عباد[7]، فقبضت عليه قوات يوسف بن تاشفين وسلمته لِلمعتمد وأوصاه بأن يكبله بالحديد ولا يقتله.[8]

ينقل لنا اِبن بلقين أمير غرناطة في مذكراته أن أمير المرابطين يوسف بن تاشفين كان يميل إلى اِبن عباد لحاجته إليه أكثر فقد نقل قول اِبن تاشفين " ما تنبغي لنا مفاسدة اِبن عباد من أجل اِبن رشيق لاِحتياجنا إليه فيما نحن بسبيله ونحن لم نأمن أمر الرومي[9] والأوكد علينا في هذا الوقت مداراة اِبن عباد

1- اِبن بلكين : المصدر السابق، ص 108.

2- اِبن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 86، هامش (1) ؛ دوزي: المسلمون في الأندلس،ج3، ص139 ؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 96.

3- مجهول : الحلل الموشية، ص 69.

4- اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 69 ؛ السلاوي: المصدر السابق،ج2، ص 47 ؛ اِبن بلقين: المصدر السابق، ص 109 ؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص 140 ؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 96.

5 – اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153.

6- مجهول : الحلل الموشية، ص 69، يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 96.

7- مجهول : الحلل الموشية، ص 70

8- اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص 70 ؛ اِبن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

9- يقصد به الفونسو السادس.

حتى ترينا الأمور وجوهها "[1]، وبذلك تعسّف يوسف (في نظر اِبن بلقين) وخاطب اِبن رشيق بقوله : "ما كان يجب لك أن تقدم بدعوتي لِلقيام على رئيسك فتوقع بيني وبينه الشحناء وقال في نفسه (يوسف) لم يفعل ذلك اِبن رشيق إيثارا لي ولا محبة لجهتي أكثر من إضرام النار على صاحبه وإشغاله بي عن نفسه "[2].

غير أنّه من المرَجّح –في رأينا– هو أن يوسف خاف من تواطؤ اِبن رشيق مع الفونسو السادس وما يزيد تأكيد قولنا هو اِستفتاء الفقهاء في أمره، وإلاّ ما كان بحاجة إلى أخذ رأي الفقهاء في أمره، وعلى أية حال فقد فر جيش مرسية بعد سماعه هذا الخبر وقطعوا الميرة عن المحلة واِنصرفوا عن حصار الحصن [3]، فاِضطربت الأحوال ووقع الغلاء واِرتفعت الأسعار، وأصبح وضع بقية المسلمين المحاصرين لِلحصن في خطر جراء قدوم الشتاء[4] وسماع الفونسو السادس ما وقع لِلمسلمين من خلاف وتنازع،[5] وقد وصف لنا اِبن بلقين تلك الحالة بقوله : " وشاخت المحلة وطال مكثها ومل الناس، إلى أن ورد الخبر بقدوم الفونسو إليها، فساءت الظنون من أجل ذلك، ورأى أمير المسلمين أن الرجوع عنها والاِنصراف أولى ".[6]

وقد اِستصرخ أهل الحصن سلطانهم فأخذ يحشد قواه ويتوجه بها إلى الحصن المذكور، فرأى يوسف بن تاشفين أن يتوسع عن الحصن قليلا ويتأهب لمقاتلة الفونسو السادس[7]، حيث مكث يوسف بقواته في برشانة (مدينة أندلسية) يتأهب لِلقاء الفونسو السادس، لكن يوسف سرعان ما تأكد من أن الفونسو

1- اِبن بلكين : المصدر السابق، ص 111.

2- المصدر السابق، ص 111- 112. ويبدو أن يوسف بن تاشفين كان متأكدا من تواطؤ اِبن رشيق مع الفونسو السادس فقد نقل لنا اِبن بلقين في الصفحة 112 قوله :" ولا سيما أن معونته لِلروم (يقصد اِبن رشيق) بلبيط لم تخف على أحد، يعتقد أن ببقائه يثبت في مرسية ".

3- مجهول: الحلل الموشية، ص 70 ؛ اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47.

4- اِبن أبي زرع : المصدر السابق، ص 153 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 70 .

5- سعدون نصرالله : دولة المرابطين في المغرب والأندلس – عهد يوسف بن تاشفين –، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985، ص 108.

6- اِبن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

7- مجهول: الحلل الموشية، ص 70؛ اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153؛ اِبن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

السادس همه الوحيد هو تخليص الحصن وإنقاذ من فيه من النصارى، لِذلك قرر إخلاء الطريق وتجنب محاربة الفونسو في حرب لا طائل منها ولا جدوى.[1]

ينقل لنا صاحب الحلل الموشية أن ما زاد في تناقص عزيمة المسلمين وقرارهم تراجعهم عن الحصن هو أن الجيوش المنسحبة من المسلمين جراء اِعتقال اِبن رشيق قد آوت إلى شعاب الجبال وعملت على قطع المؤن عن الجيش المرابطي ، حيث سرعان ما حل به الضيق [2]. ضف إلى ذلك أن بعض الولاة قد ضاقوا ذرعا بغطرسة المعتمد بن عباد[3]، وبذلك صارت الطريق مفتوحة لجيوش الفونسو السادس فوصل إلى حصن لييط حيث وجد قومه في حالة يرثى لها[4]حيث لم يتبق منهم سوى مائة من الرجال، بَيْد أنه لما حاصره المسلمون كان فيه 12 ألف مقاتل بصرف النظر عن النساء والوِلْدان[5]. وهذا دليل على ما لحق بهم من أضرار جسيمة وأهوال عظيمة .

رأى الفونسو السادس أنه لا فائدة من الاِحتفاظ بالحصن لِأن ذلك يتطلب قوات كبيرة تستنزف جيشه فقرر تحطيم الحصن حيث أخلاه ممن كان فيه ثم دمره وأحرقه[6]، بعدها قرّر أمير المرابطين الرجوع بقواته إلى بلاد المغرب[7] وترك أربعة آلاف مرابطين بقيادة داود بن عائشة لِلمحافظة على منطقة مرسية [8] وبعث بعسكر آخر بقيادة محمد بن تاشفين إلى بنلسية.[9]

1- مجهول: الحلل الموشية، ص 70 ؛ اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛اِبن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

2- مجهول: الحلل الموشية، ص 70؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 95 ؛ سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص 108.

3- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 95.

4- وصف حالتهم صاحب الحلل بقوله : " وجد قوما جياعا لا يقدرون على إمساك الحصن". مجهول: الحلل الموشية، ص 70؛ أما اِبن أبي زرع فوصفهم بأنهم منفلتون من مخالب الموت. اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153. ووصفهم السلاوي بالمنفلتين من مخالب المنية. السلاوي: المصدر السابق، ج2 ، ص 47. وعلى أية حال اِتفقت المصادر على كارثية أحوال هذا الحصن من النصارى الذين كانوا بداخله.

5- اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 48.

6- مجهول: الحلل الموشية ، ص 70 ؛ لكن اِبن أبي زرع لم يشر إلى تدمير الحصن بل اِكتفى بالقول إن الفونسو السادس أخلاه ممن كان فيه من النصارى. اِبن أبي زرع : المصدر السابق، ص 153.

7- مجهول: الحلل الموشية، ص 70 ؛ اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153؛ السلاوي: المصدر السابق:، ج2، ص 47 ؛ أما اِبن بلقين في مذكراته فيذكر أن أمير المرابطين رجع بعد حصار حصن لييط دون تحديد الوجهة. اِبن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

8- سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص 109.

9- مجهول: الحلل الموشية، ص 70 .

إنّ هذا الحصار الذي آل إلى الفشل في نهايته تصوّره البعض على أنه هزيمة لِلمرابطين فقد ذكر اِبن بلقين في مذكراته أن المحلة شاخت وطال مكثها ومل الناس وساءت الظنون لِذلك رأى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أن الرجوع أولى لِفشل هذا الحصار[1]، كما أن من دلائل اِنهزام المرابطين هو ذلك الصراع الذي نشب بين ملوك الأندلس [2] خاصة بين المعتمد بن عباد واِبن رشيق وتحاكمهما إلى يوسف بن تاشفين الذي قرر سجن هذا الأخير[3]، كما أن قرار المعتمد ويوسف بن تاشفين بقرار رفع الحصار عن الحصن لم يكن لِيُعجب أمراء الأندلس، حيث رأوا فيه نوعا من الغدر بهم [4] كما أن الرعية الأندلسية سخطت على أمرائها جراء إثقال كاهلها بطلب المزيد من المؤن منها لإرسالها إلى القوات المسلمة المرابطة عند الحصن حيث علق على ذلك اِبن بلكين بقوله : " وطالت تلك المحلة الملعونة وأبان الخبيث من الطيب وكُشفت العورات ".[5]

بَيْد أن الناظر إلى طول الحصار وضخامة الخسائر النصرانية في الحصن يجزم بأن هذا الحصار حقق أهدافه ولو جزئيا، فقد وصفت المتون النصية لِلمادة الخبرية المصدرية أن ما بقي في الحصن سوى 100 من بين 12 ألف[6]، أما يوسف أشباخ فذكر بأن الناجين هم فقط 100 فارس وألف رجل من أصل 13 ألف كانوا بداخل الحصن [7] وهي خسائر فادحة جدا، وعلى أية حال فإن القراءات المختلفة والمتراوحة بين الإِنهزام والإِنتصار كلها أكدت تدمير الحصن في الأخير وإحراقه [8] رغم أن المعتمد بن عباد اِستولى عليه فيما بعد ولكن بعد أن صار أطلالا.[9]

1- اِبن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

2اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 69؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47 ؛ اِبن بلكين: المصدر السابق، ص 109 ؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص 140؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 96 .

3- اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 70؛ اِبن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

4 - يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 96.

5- اِبن بلكين: المصدر السابق، ص 110.

6- اِبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 48.

7- يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 96 . رغم أن يوسف أشباخ يعتبر ذلك نصرا لِلمسيحيين بقوله في الصفحة ذاتِها " ثم عاد إلى طليطلة (الفونسو السادس) مثقلا بالغنائم وقد ظفر بإحباط خطط أعدائه (المسلمين)".

8-مجهول : الحلل الموشية، ص 70 ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 96 ؛ اِبن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 247.

9- سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص 109.

لكن ما تأكد منه يوسف بن تاشفين بعد هذا الجواز الثاني لِلأندلس هو اِستحالة اِجتماع أمراء الأندلس على كلمة سواء لِذلك سيقرر فيما يأتي من الأيام ضم بلاد الأندلس إلى سلطان المرابطين وإنهاء ما آل إليه الأمر من خلاف وفرقة أذكت في نفوس النصارى التطاول على مسلمي الأندلس .

– قائمة المصادر والمراجع:

– اِبن الابار: **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

– اِبن أبي زرع ،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور لِلطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

– ابن بلكين عبد الله الزيري ،(كان حياً سنة 483هـ/ 1090م) : **مذكرات الأمير عبد الله – المسماة كتاب التبيان –**، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د . ت.

– اِبن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاِحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق : ليفي بروفنسال، ط 2، دار المكشوف، بيروت، 1956م.

– الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م.

– السلاوي، **الاِستقصا لأِخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق، جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1994م.

– اشباخ يوسف، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة : محمد عبد الله عنان، ط 2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1996م.

– رينهرت دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ترجمة : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة لِلكتاب، القاهرة، 1994م.

–PHILPPE CONRAD : **histoire de la roconquista** , 2 édition , presses universitaires de france , paris , 1999 .

مكانة الفلاحة في المجتمع الزياني(07 – 10هـ/ 13 – 16م)

الدّكتور لخضر العربي

أستاذ محاضر (ب)

المركز الجامعي: نور البشير البيّض.

مكانة الفلاحة في المجتمع الزياني (7-10هـ/13-16م)

مقدمة

تعتبر الفلاحة من أهم الحرف التي عرفها الإنسان، ومن أقدمها، وذلك لِأنها تسد حاجة طبيعية لديه فهي أهم المنابع الرئيسة التي يتم عن طريقها تدبير القوت وتأمينه، كما أنه عن طريق الفلاحة يتم لِلإنسان توفير الكثير من المواد اللاّزمة في صناعات أخرى تعتمد في موادها الخامة على الفلاحة ومحاصيلها.

ولا شك أن هذا النشاط قد بدا دوره جليا في التطور الإجتماعي والإقتصادي لِلبشرية، خاصة بعد بداية ظهور التجمعات البشرية الأولى وإستقرار الإنسان وإشتغاله بخدمة الأرض، لكن في كثير من الأحيان كان هذا النشاط يتأثر بعدة عوامل طبيعية وبشرية قد تنعكس على المنتوج الفلاحي بالسلب والإيجاب.

وقد كشفت الحضارات الإنسانية الأولى عن إهتمام الإنسان بالفلاحة وإنتاج وتدبير الأقوات وتربية الحيوانات؛ وفيما بعد نشطت الحضارة العربية الإسلامية ونشطت معها الفلاحة، خاصة بعد ترجمة كتب التراث القديم الخاصة بالفلاحة، حتى إن أصحاب هذه الحضارة تميزوا بمساعيهم وتفوقهم وتدابيرهم العجيبة، وأساليبهم في الزراعة، وحفر الترع، ونظام الري، وغيرها[1].

ومن خلال هذه الورقات نسعى إلى إبراز مكانة الفلاحة في المجتمع الإسلامي عامة، وفي المجتمع الزياني بالمغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والعاشر الهجريين الموافق لِلثالث عشر والسادس عشر الميلاديين إنطلاقا من المصادر المتوافرة بين أيدينا.

1 – مكانة الفلاحة في المجتمع الإسلامي:

لِلعمل قيمة عظيمة في حياة الفرد والمجتمع، وله أثر كبير في التّقدم والإزدهار، إذ هو الطريقة الوحيدة إلى إستغلال الثروات الطبيعية وإستخدامها في تلبية حاجات الإنسان، فبالعمل تفلح الأرض وتستخرج من باطنها المعادن، وبه تشّيد المدن، وتمد الحصون والقصور والقلاع، وبالعمل يهيئ القوت والثّوب،والسكن، وبالعمل يتّقي الإنسان عيلة الفقر والخمول والكسل[2]. والعمل كذلك هو العنصر المحدد

---

1 – عبد المتعال محمد الجبري، **الحضارة والتمدن الإسلامي بأقلام فلاسفة النصارى**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1993، ص 38-40.

2 – عز الدين الخطيب التميمي، **العمل في الإسلام**، شركة الشهاب،الجزائر،1987،ص8،7.

لِوجود الإنسان، وتحقيق ذاته وشخصيته، وهو مصدر الكرامة الشخصية والاستقرار الإجتماعي، كما أن لِلعمل الأهميةَ نَفْسَها في قيام الحضارة الإنسانية والمحافظة عليها وتقدمها[1].

والفلاحة من جنس العمل، وهي القيام على حرث الأرض وإزدراعها، وإصلاحها، وعلاج نباتها، وتعهّده بالسّقي والتّنمية إلى أن يبلغ غايته، وغراسة الأشجار فيها، وتركيب ما يصلح منها لِلتّركيب وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها[2]،ثمّ حصادها لِاستخراج الحبّ منها بالدّرس[3]. وهي متقدّمة عن الصّناعة والتّجارة[4]، لأنها محصّلة لِلقوت المكمّل لحياة الإنسان إذ لا يمكن وجوده إلاّ به[5].

وتضمنت العديد من آيات القرآن الكريم توجيه النّظر إلى ضرورة العمل ولا سيما العمل بالفلاحة وإستغلال الأرض[6].قال تعالى:﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾،[7]وقال سبحانه:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ**

---

1 – موفق طيب شريف:"الحق في العمل ومكانة الحرف والمهن في الإسلام، دراسة أصولية مقاصدية فقهية"، **مجلة الناصرية**، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية(جامعة معسكر)، مكتبة الرشاد لِلطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، العدد: 04 جوان 2013، ص 15.

2 – إبن خلدون، **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1979، ص723؛ وينظر: سليمان فياض،إبن العوام عالم الزراعة، منشورات ANEP، الجزائر، ط1 2006، ص18.

3– إبن خلدون، المصدر السابق، والصفحة ذاتها.

4 – نفسه، ص 683.

5 – نفسه، ص 723؛ على الرغم من أن إبن خلدون قد أجزل في تعريف ماهية الفلاحة، إلا أنه لم يتطرق إلى ذكر أساليبها، وطرق وفنون الري فيها، وجرّ المياه وتخزينها، مما كان معروفا في زمانه، خاصة وأنه تنقل في البلاد، وتقلد المناصب ونال القربة لدى سلاطينها. لمزيد من المعلومات، أُنظر أيضا: عبد القادر عابد، علي عنبدة، وآخرين، **أساليب الإنتاج الصناعي والزراعي في الحضارة العربية الإسلامية**، الجمعية الأردنية لِتاريخ العلوم، عمان–الأردن، الطبعة الأولى، 2001، ص279.

6 – كانت نظرة العرب لِلزراعة قبل الإسلام وفي الحجاز بخاصة تختلف من أعراب البادية إلى المتحضرين، فالعرب المتحضرون في مكة وفي الطائف وفي المدينة كانوا يعملون بالزراعة ولا يأنفون منها، أما أهل البادية فكانوا يحتقرون الزراعة ويسخرون من المزارعين، ولا شك أن هناك ظروفا دعتهم لِذلك، ولما جاء الإسلام أخذ يشجع على العمل بالزراعة. عبد العزيز بن إبراهيم العمري، **الحِرفُ والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم**، دار إشبيليا لِلنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية–الرياض، الطبعة الثالثة، 2000، ص85.

7– سورة التوبة، الآية: 109.

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وأشارت جملة من الآيات الأخرى إلى حرث الأرض والتصرف فيما تنبته من الزروع والأشجار والثمار، وإذ يقول المولى عز وجل:﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْه شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُون يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[2]، وقال جل في علاه: :﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]، وقال عزّ من قائل: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَاعَمِلَتْه أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[4].

وفضلا عن هذه التوجيهات الربانية إلى العمل والإشتغال بالفلاحة، والحث على التفكر في النباتات، وحرث الأرض وزراعتها، نجد أن هذه النصوص تتضمن معاني أخرى تتمثل في نبذ البطالة والخمول، والعطلة.

كما تضمنت آيات الكتاب العزيز الكثير من مفردات علم النبات والزراعة ووسائلها، "فمثلا أورد حقيقة على جانب كبير من الأهمية العلمية حينما قرر القرآن في سورة الحجر الآية الثانية والعشرين في قوله تعالى:﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾، وهذا ما إكتشفه علماء النبات بعد ذلك بقرون طويلة عندما قالوا إن الرياح وسيلة من وسائل التلقيح في النباتات"[5].

---

1 – سورة الجمعة، الآية:10.

2 – سورة النحل، الآية: 10،11.

3 – سورة الرعد، الآية: 3،4.

4 – سورة يس، الآية: 33،34.

5 – محمد عبد الوهاب فايد، التربية في كتاب الله، مكتبة الإعتصام، 1972، ص31. وينظر: – بركات محمد مراد:"مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة والري وحرث الأرض ومكافحة الآفات"، **مجلة الوعي الإسلامي**، قطاع الثقافة والشؤون الإسلامية (وزارة الأوقاف الكويتية)، الكويت، العدد: 556،أكتوبر– نوفمبر 2011، ص1.– عبد الحليم عويس: " الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة"، **مجلة البحوث الإسلامية**، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية–الرياض، العدد: 21، 1408هـ، ص168–170.

ونجد جملة من الأحاديث النّبوية تحث على الإشتغال بالزراعة وفلاحة الأرض، فعن أنس إبن مالك رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة"، وفي الحديث إشارة إلى أن الغرس والزرع وإتخاذ الصنائع مباح وغير قادح في الزهد، وفيه أيضا الحث لِلمسلم على عمارة الأرض لِنفسه ولمن يأتي بعده، وفيه أيضا أن الزراعة والغرس من أفضل المكاسب[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من كانت له أرض فليزرعها أو لِيمنحْها أخاه فإن أبى فليمْسِكْ أرضه"[2]،كما روى أنس إبن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لو قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن إستطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعلْ"[3].ويقول صلى الله عليه وسلم:"سبع يجري أجرهن لِلعبد وهو في قبره من علّم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته"[4].

والأحاديث من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كثيرة، كثرة المواضيع التي طرقتها كفضل الغرس والزرع، وإحياء الأرض الميتة، ...، وغيرها، لكنها تصب في معنى واحد هو أن العمل بالزراعة عبادة إلى جانب أنها كسب شريف.

لِذا فالإنسان في الإسلام مطالب بالإنتشار في الأرض والإبتغاء من فضل الله، لِعمارة الأرض وسدّ حاجات الناس بعمل الفلاحة، وقد تفطن الفقهاء لهذا الأمر فجعلوا الفلاحة من الواجبات الكفائية على الجماعة، لأن الناس لا بد لهم من الطعام[5].

1- الشنقيطي محمد حبيب الله، **زاد المسافر فيما إتفق عليه البخاري ومسلم**، مصر،1969، ج2، ص 333. وينظر: - الحبيب الجنحاني، **التحولات الإقتصادية والإجتماعية في مجتمع صدر الإسلام**، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1985، ص82.

2 - البخاري، صحيح البخاري، باب المزارعة، رقم: 2216؛ مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم المسمى:المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله**، دار طيبة لِلنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2006، كتاب البيوع: باب كراء الأرض، رقم:88، ص721. وينظر:

- الدارمي، سنن الدارمي، ج:2، ص: 270.

3- أحمد بن حنيل، **كتاب المسند**، المكتب الإسلامي، بيروت، 1398هـ، ج:3، ص 191.

4 أخرجه أبو نعيم حلية الأولياء (2/ 344)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (3602).

5 - إبن تيمية ، **الحسبة في الإسلام**، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1994، ص 19-22.

وعلى هذه التعاليم الربانية نهج المسلمون الأوائل فخلفوا لنا آثارا كانت النبراس الأول في بناء حضارة العالم، من ذلك ما روي من أن يزيد بن مسيلمة كان يغرس في أرضه، فقال له عمر **رضي الله عنه:** " أصبت اِستغن عن الناس يكون أصون لِدينك وأكرم لك عليهم"؛ وروي عن عمر بن عبد العزيز **رضي الله عنه** أنه كتب إلى عماله يقول: "زارعوا على الأرض بنصفها بثلثها بربعها إلى عشرها ولا تدعوا الأرض خرابا"[1].

وتوسع عمر **رضي الله عنه** في توزيع الأراضي لِيقوم الناس بإحيائها وزراعتها واِستثمارها، فأعطى سعدا بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود والزبير بن العوام وعليا بن أبي طالب وأسامة بن زيد **رضي الله عنهم** وآخرين، وكذلك فعل من بعده من الخلفاء عثمان وعلي **رضي الله عنهم**[2].

وفي العصر الأموي ولما اِستتب الأمر لِبني أميه أُمر الولاة بمسح الأرض الفلاحية لجباية الخراج والزكاة، وقاموا بشق الترع وإصلاح المجاري وتشجيع الفلاحين على إحياء الأرض البور، وقد اِزدادت في زمن الأمويين زراعة أنواع الحبوب والقطن وقصب السكر، كما اِزداد غرس الأشجار المثمرة كالكرمة والزيتون والنخيل، وفي العصر الأموي أيضا بدأ إنشاء الحدائق والبساتين، والسدود، والترع والجسور، وأنشأت القنوات واِستصلحت الأراضي البور[3].

وفي العصر العباسي، ولاِزدهار ورخاء الحياة ظهرت الزراعة البستانية لِتزيين القصور، ولم يكن في عصر العباسيين أهم من مهنة الفلاحة، حتى أصبح أهل هذا العصر أول العارفين بالزراعة وأحسن العمال، وأصبحت الزراعة التي أخذوها من أساليب بابل والشام ومصر علمًا حقيقيًّا لِلعرب أخذوا نظرياتها من الكتب ثم وسعوها بتجاربهم وكانوا يطبقونها بمهارة، ولا تستنكف أعلى الطبقات عن العمل بأيديهم في زراعة الأرض، وكان غيرهم يحقرها ويعدها عملًا مهنيًّا[4].

واِهتم فلاحو هذا العصر بحرث وإعداد الأرض والعناية بالزروع ثم الحصاد والتخزين ومعالجة الآفات والأمراض، ثم تصنيع المزروعات، وبرعوا في تخير الأرض ثم اِستنباط المياه لأنها أساس العمل الزراعي[5].

---

1 – أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار نهر النيل، مصر، 1983، ص 58.

2 – بركات محمد مراد، المقال السابق، ص2.

3– بركات محمد مراد، المقال السابق، والصفحة ذاتها.

4 – عبد المتعال محمد الجبري،المرجع السابق، ص38.

5 – بركات محمد مراد، المقال السابق، والصفحة ذاتها.

ولا شك في أن هذا الوضع قد عمّ البلاد الإسلامية خاصة بعد اِتساع رقعتها بعد حركة الفتوحات الإسلامية في المشرق والمغرب، وهو الأمر الذي ساعد على تنقل الأشخاص، والعلماء وبالتالي تبادل الخبرات العلمية والثقافية.

ومنذ الفتح الإسلامي لِبلاد المغرب كانت حواضره مراكز اِستقرار وإقامة بالنسبة لِلسلطة المركزية الممثلة في الولاة أو العمال أو الأمراء أو السلاطين، وكانت على اِختلاف أدوارها وأهميتها مراكز تجارية، وأيضا مراكز إشعاع ثقافي. وبرز دورها أكثر فأكثر بعد قيام الدول المستقلة بهذه المنطقة، حيث بدأت تدير شؤونها وتمارس وظائفها عن طريق مؤهلاتها دون اللُّجوء إلى مركز الخلافة، لِذا فكل التطورات السياسية، والعسكرية، والاِجتماعية، والثقافية، والاِقتصادية اللاحقة كانت تتفاعل وتتشكل في الحواضر كالقيروان، والمهدية، وبجاية، وتلمسان، وفاس، ومكناسة[1].

لِذا عرفت بلاد المغرب في الفترة الممتدة بين القرن الخامس والسادس الهجريين(9- 10م)، وعلى الوجه الأغلب، اِعتماد سكانها سواء أصحاب البوادي والحواضر اِعتمادا كبيرا على الزراعة[2].

تلك إذن المكانة التي تبوأتها الفلاحة، حيث دلت تعاليم الإسلام الناس إلى نشاط حيوي وضروري في حياتهم، وهو الزراعة، وحثت عليه من خلال النصوص الكثيرة الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، "التي تذكر بحرث الأرض وزراعتها، وذلك لما في حرث الأرض وزراعتها من الخير المكنون والرزق المقسوم،

---

1 - يوسف نكادي، **الزراعة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري**، مطبعة الجسور، وجدة-المغرب، 2007م، ص55.

2 - عز الدين عمر موسى، **النشاط الاِقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 2003، ص 129. يوسف نكادي، المرجع السابق، والصفحة ذاتها. تشير بعض الدراسات المتخصصة في التاريخ القديم لِبلاد المغرب، إلى أن المنطقة(بلاد المغرب) قد عرفت ممارسة النشاط الزراعي، وتربية الماشية منذ العصر الحديث الذي يبدأ من الألف الخامسة ويستمر حتى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد. قعر المثرد السعيد، **الزراعة في بلاد المغرب القديم(ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار،كلية العلوم الإنسانية والاِجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، 2007-2008، ص50.وينظر: رشيد الناضوري، **المغرب الكبير**، الدار القومية لِلطباعة والنشر، القاهرة، 1966، ج 1، ص 154.و كذلك: محمد الصغير غانم، **مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب**،دارالهدى،عين مليلة، 2003،ص 111. وكذلك: خوسي مارية مياس بييكروسا، **علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالأندلس**، تعريب: عبد اللطيف الخطيب، مطبعة المخزن، تطوان-المغرب الأقصى، 1957، ص:10.

وقد جعل الله الأرض منشأ الخلق وأصل وجودهم، وهكذا عدد الله ما في الأرض من نعيم، وما فيها من رزق وبركة، وما فيها من قوام الحياة، وأمر سبحانه بحرثها وفلاحتها والضرب فيها؛ طلبا لِلرزق"[1].

2 – مكانة الفلاحة في المجتمع الزياني:

تشير المصادر التي بين أيدينا إلى فضل الفلاحة على الفرد والمجتمع، والمجال الذي يعيش فيه (الوسط)، وإنعكاسات ممارسة هذا النشاط على هذا المجال، فيذكر اِبن الحاج العبدري أنّ الآكد مما على المكلف: "من الصنائع والحرف الزراعة التي بها قوام الحياة وقوت النفوس ..، فالزراعة من أعظم الأسباب وأكثرها أجرا، إذ أن خيرها متعد لِلزراع ولإخوانه المسلمين وغيرهم، والطير والبهائم والحشرات، لِذلك ينتفع بزراعته...، فما في الصنائع أبرك منها، ولا أنجح إذا كانت على وجهها الشرعي، وهي من أكبر الكنوز المخبأة في الأرض. لكنها تحتاج إلى معرفة بالفقه وحسن محاولة في الصناعة مع النصح التام والإخلاص فيها، فحينئذ تحصل البركات وتأتي الخيرات"[2].

وأشار آخر إلى أن الفلاحة: " هي العمران، ومنها العيش كله، والصلاح جله، وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال، وبها تملك المدائن والرجال، وببطالتها تفسد الأحوال، ..."[3]، وقال آخر إن أفضل المعاش في التجارة وأفضلها في الزرع والغرس والماشية.[4]

وبلغت الفلاحة من المكانة والفضل حتى اِعتبر بعض الفقهاء اِتخاذ زروع الناس طرقا ومجالس، وإقامة السماع وإنشاد الشعر فيها من المنكرات المحرمة التي يجب تغييرها، حيث كان: " بعض المتفرجين، ...، لا يغضون أبصارهم عن المحارم ولا يتفكرون في ذلك، بل يرتكبون المحرم جهارا فيمشون في زروع الناس

---

1 – ينظر: دعوى أن الإسلام أغفل بعض الأعمال الحياتية ومنها الزراعة، ضمن كتاب: محمد الدسوقي، الفكر الإستشراقي تاريخه وتقويمه، دار الوفاء، المنصورة، 1995؛ وينظر: دعوى الشبهة كاملة في موقع: ***http://bayanelislam.net***

2– المدخل إلى تحسين النيات، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ت، مج: 2، ج:4، ص:3. وينظر: – الطغنري أبو عبد الله محمد بن مالك الغرناطي، **زهرة البستان ونزهة الأذهان**، تحقيق: محمد مولود خلف المشهداني، الدار الدولية لِلاستثمارات الثقافية، مصر الجديدة–مصر، 2005، ص42.

3 – اِبن عبدون التجيبي محمد بن أحمد، **رسالة في الحسبة**، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي لِلآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص3.

4 – اِبن مفلح المقدسي الحنبلي،**الآداب الشرعية والمنح المرعية**، شركة القدس لِلتجارة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007، ج:3، ص254.

قصدا، ويتخذونها طريقا ومجالس، وربما عملوا فيها السماع وإنشاد الشعر الرقيق المشتمل على التغزلات التي تميل قلوب الرجال فكيف بالنساء"[1].

ولِكل هذه المعاني والقيم التي تضمنتها هذه النصوص، اِعتنى أهل المغرب الأوسط في المدن والقرى والبوادي بالفلاحة حتى غُدَّتِ النشاطَ الغالبَ على أهلها، وأصبح هذا النشاط هو العمود الفقري لِاقتصاد الدولة الزيانية؛[2]حيث يذكر يحي بن خلدون في سياق وصفه لمدينة تلمسان: "ويعمر(ها) من البشر ناس أخيار أولوا حياء ووقار، ووفاء بالعهد وعفاف ودين، واِقتصاد في المعاش واللباس والسكنى، على هدي السلف الصالح –رضي الله عنهم– غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف، ..."[3].

ولا يفوتنا ونحن نعالج حرفة الفلاحة كنشاط اِمتهنته شريحة واسعة من المجتمع الزياني، كيف اِعتبر الفلاح الزياني العمل بالفلاحة؟ أو كيف تصور الاِشتغال بالفلاحة؟.

منذ الوهلة الأولى يبدو أن المصادر الإخبارية العادية والمتوافرة لدينا، غير قادرة على تقديم إجابات كافية عن هذا السؤال، لِذا حاولنا الحفر في مصادر أدبية أخرى لا تقل أهمية عن الأولى رغم اِختلاف الحقل المعرفي، لكنها توفر معلومات خصبة عما نحن بصدد الإجابة عنه، إنها مؤلفات الأمثال الشعبية.

تشكل الأمثال الشعبية جزءًا كبيرًا من تراثنا الثقافي الشفهي التي تعكس الحالة الاِجتماعية والاِقتصادية لِلمجتمع، وقد تناقلت الأجيال هذا التراث عبر العصور من جيل إلى جيل حتى وصلتنا في ثوبها الحالي، وهي لا شك وليدة ملاحظات متواصلة، وتجارب عديدة،[4]وفكر فلاّح العصر الزياني وقارن بين الحرف والصنائع وفاضل فيما بينها صائغا بذلك أمثالا عامية تكشف بوضوح الحالات الاِجتماعية لِلفلاحين والمزارعين.

---

1 اِبن الحاج، المصدر السابق،مج: 1، ج:1، ص271.

2 مبخوت بودواية: "الحياة الاِقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني"، **مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية**، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة أبوبكر بلقائد (تلمسان– الجزائر)، العدد التجريبي، ديسمبر2008، ص: 53. وينظر:– عبد الكريم حساين: "الحياة الاِقتصادية والاِجتماعية في المغرب الأوسط بين القرنين (7–9هـ/13–15م)، **دورية كان التاريخية**، العدد:17، سبتمبر 2012، ص93.

3 – يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق : عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980، ج1، ص92.

4– أنجز بعض الباحثين دراسات هامة اِنطلاقا من الأمثال الشعبية منهم على سبيل المثال: موسى علي حسن، **الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية**، دار الفكر، سورية، ط1،ص 1997.

من ذلك جملة أمثال عبرت عن ضرورة العمل بصفة عامة منها مثلا: "غبار العمل خير من زعفران العطلة"، "من جلس بلا شغل، يطلب في رأس قُولُ عظمْ"، "كل أخذ من صنعته ينفق"، "صنعة ولدك، ولو كان حشاشْ"[1]، أمّا فيما يعلق بمكانة الفلاحة في المجتمع من خلال الأمثال الشعبية نذكر منها بعض ما يعكس ذلك من خلال الجدول التالي[2]:

المثـل	مضـربه
"أدي الفرض وأنقب الأرض"	حرص الفلاح الشديد على خدمة أرضه، لِأن خدمة الأرض تأتي مباشرة بعد العبادة. الآية: "فإذا قضيت الصلاة... "
"الفلاحة متعة، والصناعة منعة والتجارة فجارة"	الفلاح وهو يعمل في حقله يستمتع بذلك، والصناعة تمنعه الفقر، والفلاحة أفضل من التجارة لِأن هذه الأخيرة يصحبها الغش والحَلِفُ والكذب، وذلك هو المقصود بالتجارة فجارة.
" الفلاحة تعبٌ وراحة"	الفلاح عندما يشتغل ويزرع أرضه سيتعب، لكن سيحس بالراحة عند جني المحصول.
" الأرض تعطيها تعطيك"	كلما ضاعف الفلاح جهده في خدمة الأرض والعناية بالزراعات كان المحصول وافِرًا.
"اللي ما غناتو السكة، ما تغنيه الركة"	يقال لمن تراوده نفسه في ترك عمل الأرض إلى مزاولة حرفة أخرى، والسكة من أدوات الحرث والركة من آلات النسيج.

تلك هي إذا طائفة من الأمثلة العامية التي ساهمَتْ في بلورة الموقف الشعبي الإيجابي إزاء النشاط الزراعي، حتى أُعتبرت الفلاحة – ورغم كل التعب الحاصل فيها– مقدسةً عند الفلاح وعامة الناس، حتى أصبحت لا تجيز الحج إلى بيت الله الحرام إلا بمال مكتسب من حراثة الأرض، أو مال متأتّ من ميراث، لِذلك قيل: " ما يكون الحج حلال إلاّ بحرثة وإلاّ بورثة".

---

1 الزّجالي أبويحي (ت694م)، **أمثال العوام في الأندلس**، تحقيق: محمد بن شريفة منشورات الدولة المكلفة بالشؤون والثقافة والتعليم الأصلي،دون تاريخ،القسم الثاني، أمثال رقم:1719/ ص393، رقم:1433/ ص331، رقم:1109/ ص259، رقم:1582/ ص359.

2 – حول الأمثال الواردة في الجدول ينظر: مختار المومني: "الفلاحة في أمثالنا العامية"، **مجلة الإتحاف**، العدد: 144،143، 2004، ص 67–73. م وينظر: – حمد حمداوي: "المواسم الزراعية والأمثال الشعبية لدى الفلاحين التلمسانيين"، **مجلة الحداثة**، العدد:143–144، 2012، ص 243–259 . و كذلك: – سعيد بنحمادة: "الفلاحة والفلاحون في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية"،**دورية كان التاريخية**،العدد:22، ديسمبر 2013، ص ص:116–122.

كما أن الفلاحة من أغنى المكاسب، لِأن "بالغراسات والزراعة تكثر بمشيئة الله الأقوات"[1]، وعن طريقها يصل ممتهنها: " بحول الله إلى معاشه، ويستعين بها على قوته وقوت عياله وأطفاله، ...، وإستعان بذلك على منافع دنياه ومصالح أخراه"[2].

ومن المنافع الحاصلة لِلفلاح من خلال هذا النشاط في الدنيا كفاية أهله عَيْلَةَ الفقرِ بتوفير الغذاء لهم، وبناء الثروة سعيا لحياة أفضل، أما في الآخرة فينال الأجر والثواب لِأنه ييسر على إخوانه تحصيل الغذاء الضروري لحياتهم، فضلا عن تأدية فرض زكاة ما ينتج لِلمستحقين منهم، ولِذلك "أُشتق إِسمه من الفَلاَح وهو البقاء"[3].

وكذلك من بين ما يقع دليلا على إِهتمام أهل المغرب الأوسط بالفلاحة من خلال ممارستهم اليومية لها، ما إِنتشر بينهم من خطاب يومي يتضمن تقويما فلاحيا عاميا، وهو في حقيقة الأمر "لا يقل واقعية عما درج عليه علماء الفلاحة في مصنفاتهم؛ إذ إِستمد التقويم الفلاحي الشعبي أهميته من الإِحتكاك المباشر لِتلك الفئة الإِجتماعية بالحقول، وما تميز به بعضهم من حس تجريبي"[4].

لِذا نجد في مصادرنا التاريخية شذرات مهمة عن هذا التقويم الفلاحي الشعبي، الذي كان وليد تفتق قريحة الفلاح الذي إِستطاع أن "يستنبط تقويما فلاحيا شمسيا سمّاه بالسنة العجمية وشهورها تتوافق مع فصول السنة الأربعة"5، ومن خلال ما توافر لدينا من إشارات في هذا المعنى ما يوضحه الجدول التالي:

الإشارة/المثل	المعنى	المصدر أو المرجع
-" إذا ريت التين أبشر بالطين"	- إشارة إلى قرب فصل الخريف.	- الزّجالي أبويحي، **المصدر السابق**، المثل: 17، ص: 07.
-"إذا تحب نادرك يكبر أحرث في شتنبر"	- أو شهر سبتمبر هو بداية فصل الخريف، واذا نزل فيه المطر يحرث الفلاح أرضه.	- مختار المومني، **المقال السابق**، ص: 69.

1 - إِبن العوام (من أهل القرن 7هـ)، **كتاب الفلاحة**، دراسة وتعليق: غارسيا سانشيز وإستفان فرناندیز ميخو، مدريد، 1988، ج1، ص 1- 5.

2 - نفسه، ص1.

3- إِبن الخطيب لِسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مطبعة الشركة المصرية لِلطباعة والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1973، مجلد 1، ص137.

4 - سعيد بنحمادة، المقال السابق، ص 117.

5 - محمد حمداوي، المقال السابق، ص67.

–" متى هو البرد؟ قال: إذا نزل الشتا"	– إذا بدأ تساقط المطر حل البرد.	– الزّجالي أبويحي، **المصدر السابق**، المثل:1479، ص:341.
–"في مارص نقّي زرعك وحارص".	– يعتني الفلاح بالزرع، ويقلع الأعشاب الطفيلية.	– مختار المومني، **المقال السابق**، ص: 68.
–"مَطَر فَبْرِيل، خير من فَيْضِ النيل".	–كناية على أن الزرع إذا ارتوى في هذا الشهر كان الحصاد وفيرا.	– الزّجالي أبويحي، **المصدر السابق**، المثل:1532، ص:349.
–"في ميُّو أحصد زرعك لو يكون فليو".	–لأن هذا الشهر تنضج فيه الحبوب.	– مختار المومني، **المقال السابق**، ص: 69.

ولا يفوتنا في هذا الموضع أن ننوه بإحدى العادات التي اِنتشرت في كافة بلاد المغرب الإسلامي، وهي من العادات اللصيقة جدا بالأرض والزراعة، وبخاصة زراعة القمح، وتمثل دليلا واضحا على مكانة الفلاحة في المجتمع، إنها عادة "يناير" وهي مناسبة فلاحية يحتفل بها – إلى اليوم – في شهر يناير(جانفي) من رأس كل سنة، تيمنا بمجيء سنة فلاحية مليئة بالخصب والغلال والرخاء[1].

وقد كتب أحد المستشرقين الفرنسيين في مقال نشره في المجلة الإفريقية تحت عنوان:"انايرياتسنوس"بمعنى: "يناير عند بني سنوس"، اِستهله بخمس صفحات كتبت بالحرف العربي على اللهجة البربرية المحلية لبني سنوس، وهي تروي اِحتفالات يناير، وخلاصتها كما ثبتها الكاتب في جمل عربية كتبها بنص المقال الفرنسي، ولأِهمية هذا النص نورده كما يلي:"يوم نفقة اللحم...، يوم نفقة الكرموس ...، راس العام، إنهم يجمعون في أمسه ورق الشجر الأخضر على أنواعها، حتى الريحان، والبرواق ...، والخروب، والسانوج، والكروش، والدرياس، والعرعار ...، وينشرونه على سطوح المنازل حتى تأتي السنة خضراء، ...، في ندرومة يأكلون في اليوم الثاني رؤوس الغنم ويقولون: من يأكل في يناير راس يبقى راس، أي يبقى إنسانا عاليا ...، في تلمسان يعدون شربة لحريرة بالكروية وهم يقولون: شهد يا الكروية ما تموت شي يهودية، ...، وتعد النساء الشرشم أي القمح المطبوخ وهن يتغنين بالبيتين: كُلْ الشرشم لا تتحشم – ربي عالم ما دسينا شي"[2].

1 - René Basset"Les Influences Puniques Chez Les Berbères", In : **Revue Africaine** N°: 62, 1921, p. 347.

2 - Ed. Destaing,"L'Ennayer Chez Les Beni Snius"In: **Revue Africaine**: N°:49, 1905, p. 51-56.

وقد كان لِأهل المغرب الأوسط أسوة حسنة في عدد كثير من العلماء الذين اِحترفوا الفلاحة إلى جانب نشر العلم وتعليمه على العهد الزّياني، فبنو مرزوق كانوا فلاّحين بأرض العبّاد إلى جانب إشتغالهم بالعلم[1]،وكان عبد السّلام التّونسي يعمل بأرضه، ويأكل الشعير من حرث يده بنفس الموضع السابق[2].

كما دعا بعض علماء ونسّاك المغرب الأوسط إلى ضرورة العمل والاِشتغال بالفلاحة من ذلك أن أبا العباس أحمد الغماري كان "لا يحمل الناس على الجلوس وترك التكسب والأخذ في طريق الزهد بل كان ينبه على فضل التكسب ويحض على عمل الفلاحة، ويقول كان كثير من السلف الصالح يحترفون بالتجارة ويتعلقون بالأسباب المعينة لهم على التفرغ لِعبادة الله"، وكان يحث الناس كثيرا على عمل الفلاحة من زراعة وغراسة، ويقول: "أهل المغرب أقوى وأحرص على عمل الفلاحة من أهل تلمسان، فإذا اِعتذر له الحاضرون يقول لهم: لو علمتم ما في ذلك من الفضل والثواب ما وسعكم هذا العذر"[3].

ولا شك أن إصرار هذا العالم على ضرورة عمل الفلاحة نابع من تبصره بالخدمات الاِجتماعية والاِقتصادية التي يوفرها الفلاح لإخوانه في الوسط الذي يعيش فيه أو خارجه، كذلك يتجلى لنا تأثر هذا الرجل بِاهتمام أهل المغرب الأقصى بالفلاحة، وضآلته لَدى أهل المغرب الأوسط، من خلال أنه كان مطلعا على واقع الفلاحة وأحوالها وطرقها خاصة أثناء إقامته ببلاد غمارة واِحتكاكه بفلاحيها ورؤيته لِأساليبهم في إقامتها.

إذا تلك هي جملة من النصوص التي تبين مدى المكانة التي حظيت بها الفلاحة عند عامة شرائح المجتمع الزياني، لكن السؤال المطروح هل أولت السلطة الزيانية لِلفلاحة الاِهتمام نَفْسَهُ؟.

---

1 – بنو مرزوق: استقرّ جدّهم الأوّل بتلمسان في أواخر القرن الخامس الهجري (11م)، ونشأ أولاده بها، فعرفوا بالصّلاح والوجاهة بالدّين وكان منهم أبو العبّاس أحمد بن مرزوق(681-741 هـ/1282-1340 م) والد ابن مرزوق الخطيب مؤلّف "المسند"، كان فلاّحا بالعبّاد بفدّانة كما كان يشارك بعض أصحابه من أهل زيدور في فلح وغرس الأرض. اِبن خلدون يحي،المصدر والجزء السابقان، ص114. ا وينظر:

– اِبن مرزوق الخطيب المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص223,222,147؛ وأنظر أيضا: بن داود نصر الدّين، **علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان (ق7–10هـ)**، مذكرة ماجستير، بكليّة العلوم الإنسانية والحضارة، قسم التّاريخ، جامعة وهران، 2002-2003.

2 اِبن قنفد،أنس الفقير،المصدر السابق، ص108. وينظر:

– اِبن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: بوباية عبد القادر، الجزائر، 2010م، ص222.

3– اِبن صعد التلمساني، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**،تحقيق: يحي بوعزيز، ص:211. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1983م، ج:2، ص28 ،29.

نستشف من خلال بعض الدراسات والمراجع الإزدهار الحضاري الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط بما في ذلك العاصمة مركز السلطة تلمسان، وهو الأمر الذي ساهم – منذ بداية قيام الدولة وإلى قبيل سقوطها– في ترسيخ الصنائع و إستحكامها، وقد ضاعف الملوك الزيانون الجهود لِتوفير مختلف شروط النمو[1]،فأول الملوك يغمراسن بن زيان اِهتم بالبناء والعمران؛ أهم ما اِشتهر به من المآثر إقامة الصومعتين بالجامعين الأعظمين[2] بتلمسان[3]،وعرض عليه أن يكتب اِسمه على الصومعتين، فرفض ذلك وأجاب بلغة البربر:"يسنت ربي" ولا شك أن ما أجاب به يغمرا سن على الذي طلب منه كتابة اِسمه على الصومعتين، إنما يدل على بعد هذا السلطان عن التفاخر الدنيوي، وورعه وتقواه[4].

ومن ناحية أخرى حرص يغمراسن بن زيان على حسن مراعاة الزرّاع في الأراضي الواقعة تحت سلطته، فوفر لهم الأمن، وخفف عنهم الجبايات، فأحبوه وتعلقوا به[5].

كما اِهتم بقية السلاطين الزيانيين، الذين جاؤواْ بعد يغمراسن بِاتخاذهم البساتين والحدائق داخل قصور الملك، وهو ما عبر عنْهُ يحي بن خلدون:"فيها لِلملك قصور زاهرات اِشتملت على المصانع الفائقة، والصروح الشاهقة، والبساتين الرائقة، مما زخرفت عروشه، ونمقت غروسه ونوسبت أطواله وعروضه"[6]، إلى أن قال:"...، وتحف بخارجها الخمائل الألفاف، والأدواح الأشبة، والحدائق الغلب، بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، من الفواكه والرمان والتين والزيتون إلى المتنزهات الرائعة"[7].كما أشار عبد الرحمن بن خلدون

1- عبد الحميد حاجيات: "تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط"، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد:10، 1997، ص 186.

2 – الجامعان الأعظمان هما: الجامع الأعظم بأغادير، والجامع الأعظم بتاكرارت، مئذنة الأول علوها أربعون متراً، ومئذنة الثاني أربعة وثلاثون متراً. عبد الحميد حاجبات، وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني لِلدراسات والبحث، الجزائر طبعة خاصة، 2007، ص191. وينظر: – صالح بن قربة، **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**، المؤسسة الوطنية لِلكتاب، الجزائر، 1986 ص85.

– اِبن خلدون يحي، المصدر السابق، ج1، ص207.

3 – تاريخ بني زيان، المصدر السابق، ص125.

4 – عبيد بوداود: "قراءة في أوقاف و مدارس وزوايا تلمسان الزيانية"، مجلة الموافق، منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطنبولي(معسكر) الرشاد لِلطباعة والنشر، سيدي بلعباس، العدد: 03، ديسمبر 2008، ص42.

5 – حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، العصر الحديث لِلنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 1992، مج: 2، ج: 3، ص:140.

6 – المصدر السابق، ج1، ص86.

7– نفسه.

إلى أن قصور تلمسان كانت في منتهى الحسن ساهم في بنائها الحذاق من أهل صناعة البناء، وإستجادواْ فيها، بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتواْ بمثله[1].

ولا شك أنّ خطّ مثل هذه البساتين، والخمائل، والأدواح، والحدائق، بكل ما تحويه من أصناف الفواكه والأشجار المثمرة، مع المناسبة في أطوالها وعروضها، وإعتبار عنصر التنميق والتزيين في الغراسة، لدليل واضح على تطور الفلاحة في العهد الزياني من خلال الإهتمام بالطرق العلمية في الغراسة، بالإضافة إلى وجود بعض من اليد العاملة المتخصصة في هندسة البساتين والحدائق وغيرها، وهو الأمر الذي يقودنا إلى الإعتقاد بوجود نوع من الثقافة الفلاحية العلمية لَدى الفلاح الزياني بصفة عامة.

ولمكانة هذا النشاط بالنسبة لِلزيانيين، فقد تضمنت وصايا أبي حمو موسى الزياني لِإبنه أبي تاشفين أمثلة في غاية الروعة، إستمدها في الحقيقة أعمال الفلاحين على عهده، لِكي يتأسى بها وصيه من بعد، ومن تلك الأمثلة نذكر: "وإعلم يا بني أن المملكة مثلها مثل البستان، فينبغي أن يسوسها الملك في غالب الأحوال، كما يسوس صاحب البستان بستانه، فمن ذلك أنه ينتخب أهل الشكيمة من جنده، وذوي الشوكة من أعيانه فيجعلهم في أقاصي البلاد وأطراف مملكته ليحفظ بهم الرعية كما يفعل صاحب البستان فإنه يخرج الشجر ذوات الشوك وما فضل من العيدان فيحيط بها على الشجر المثمرة والزرايع الطيبة ليقيها من أهل الفساد والدواب الموذية، وكذلك على الملك أن يطهر رعيته من أهل الفساد والدعارة ويخرجهم من بينهم، ...، فإنه إذا فعل ذلك صلحت أحوال الرعية وإنتعشوا وكثر خيرهم، كما يفعل صاحب البستان فإنه ينقي بستانه من الحشيش الذي لا فايدة فيه ويخرج ما فيها من الشوك والنبات الخبيث، فينتعش زرعها، وينمو شجرها، ويطيب ثمرها، ..."[2].

ولا شك فإن هذا الإهتمام الذي نالته الفلاحة من قِبَلِ كل فئات المجتمع والسلطة إنما هو نابع من حجم وقيمة الخدمات المختلفة التي توفرها لهم، فبالنسبة لِلمجتمع فهي تقدم كل أنواع الغذاء الضروري لحياة أفراده، وتوفير فرص العمل، وبناء الثروة، لِذلك "إن ترك الزرع ضاق بالحاجة الضرع" وبالنسبة لِلسلطة فهي توفر المال لِلقصر وخزينة الدولة من طريق الضرائب المفروضة على الفلاحين. ولِلإشارة فإن

---

1 – لِلأسف فإن هذه القصور قد دمرها السلطان أبو العباس المستنصر بالله المريني (776–786هـ). العبر، المصدر السابق، مجلد:7، ص297. وينظر: – إبن الأحمر، روضة النسرين، المصدر السابق، ص45.

2 – أبو حمو موسى الثاني، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مطبعة الدولة التونسية، 1279هـ، ص112،113.

هذا القدر من الخدمات لا يمكن أن يوفره هذا النشاط لو لا توافر جملة من الظروف والإمكانيات التي ساهمت بدون شك في تطويره[1].

– المصادر والمراجع:

– إبن تيمية، **الحسبة في الإسلام**، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1994م.

– ابن الحجاج مسلم، **صحيح مسلم المسمى:المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله**، دار طيبة لِلنشر والتوزيع، الرياض–المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2006، كتاب البيوع: باب كراء الأرض، رقم:88.

– لِسان الدين ابن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الإغتراب**، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

– إبن خلدون عبد الرحمن، **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1979، ص723؛ وينظر: سليمان فياض،إبن العوام عالم الزراعة، منشورات ANEP، الجزائر، ط1 2006م.

– ابن خلدون يحي، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية.

– إبن عبدون التجيبي محمد بن أحمد، **رسالة في الحسبة**، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي لِلآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

– إبن العوام (من أهل القرن 7هـ)، **كتاب الفلاحة**، دراسة وتعليق: غارسيا سانشيز وإستفان فرناندیز ميخو، مدريد، 1988م.

– إبن مفلح المقدسي الحنبلي،**الآداب الشرعية والمنح المرعية**، شركة القدس لِلتجارة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007م.

– أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار نهر النيل، مصر، 1983م.

– أبو حمو موسى الثاني، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مطبعة الدولة التونسية، 1279هـ.

– أحمد بن حنيل، **كتاب المسند**، المكتب الإسلامي، بيروت، 1398هـ.

– الرّجالي أبويحي (ت694م)، **أمثال العوام في الأندلس**، تحقيق: محمد بن شريفة منشورات الدولة المكلفة بالشؤون والثقافة والتعليم الأصلي، دون تاريخ، القسم الثاني.

– الطغنري أبو عبد الله محمد بن مالك الغرناطي، **زهرة البستان ونزهة الأذهان**، تحقيق: محمد مولود خلف المشهداني، الدار الدولية لِلاستثمارات الثقافية، مصر الجديدة–مصر، 2005م.

– بركات محمد مراد:"مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة والري وحرث الأرض ومكافحة الآفات"، **مجلة الوعي الإسلامي**، قطاع الثقافة والشؤون الإسلامية (وزارة الأوقاف الكويتية)، الكويت، العدد: 556،أكتوبر– نوفمبر 2011م.

– بنحمادة سعيد: "الفلاحة والفلاحون في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية"،**دورية كان التاريخية**،العدد:22، ديسمبر 2013م.

– بن قربة صالح، **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**، المؤسسة الوطنية لِلكتاب، الجزائر، 1986م.

– بوداود عبيد،"قراءة في أوقاف ومدارس وزوايا تلمسان الزيانية"، مجلة الموافق، منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطنبولي(معسكر) الرشاد لِلطباعة والنشر، سيدي بلعباس، العدد: 03، ديسمبر 2008م.

---

1 – لِسان الدين بن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الإغتراب**، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص366.

- بودواية مبخوت، "الحياة الإقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني"، **مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية**، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة أبوبكر بلقائد (تلمسان- الجزائر)، العدد التجريبي، ديسمبر2008م.

- الجنحاني الحبيب، **التحولات الإقتصادية والإجتماعية في مجتمع صدر الإسلام**، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1985م.

- حاجيات عبد الحميد، "تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط"، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد:10، 1997م. - عبد الحميد حاجبات، وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر طبعة خاصة، 2007م.

- حساين عبد الكريم، "الحياة الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط بين القرنين (7-9هـ/13-15م)، **دورية كان التاريخية**، العدد:17، سبتمبر 2012م.

- حمداوي أحمد: "المواسم الزراعية والأمثال الشعبية لدى الفلاحين التلمسانيين"، **مجلة الحداثة**، العدد:143-144، 2012م.

- خوسي مارية مياس بييكروسا، **علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالأندلس**، تعريب: عبد اللطيف الخطيب، مطبعة المخزن، تطوان-المغرب الأقصى.

- الدسوقي محمد، **الفكر الإستشراقي تاريخه وتقويمه**، دار الوفاء، المنصورة، 1995؛ وينظر: دعوى الشبهة كاملة في موقع: ***http://bayanelislam.net***

- الشنقيطي محمد حبيب الله، **زاد المسافر فيما إتفق عليه البخاري ومسلم**، مصر،1969م.

- قعر المثرد السعيد، **الزراعة في بلاد المغرب القديم(ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، 2007-2008م.

- عبد القادر عابد، علي عنبدة، وآخرين، **أساليب الإنتاج الصناعي والزراعي في الحضارة العربية الإسلامية**، الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم، عمان-الأردن، الطبعة الأولى، 2001م.

- عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 2003م.

- عويس عبد الحليم: " الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة"، **مجلة البحوث الإسلامية**، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية-الرياض، العدد: 21، 1408هـ.

- غانم محمد الصغير، **مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب**،دارالهدى،عين مليلة، 2003م.

- لعمري عبد العزيز بن إبراهيم، **الحِرفُ والصناعات في الحجاز في عصر الرسول-صلى الله عليه وسلم-**، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية-الرياض، الطبعة الثالثة، 2000م.

- مؤنس حسين، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1992م.

- مختار المومني: "الفلاحة في أمثالنا العامية"، **مجلة الإتحاف**، العدد: 144،143، 2004م.

- محمد عبد الوهاب فايد، التربية في كتاب الله، مكتبة الإعتصام، 1972م.

- موسى علي حسن، **الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية**، دار الفكر، سورية، ط1، 1997م.

- الناضوري رشيد ، **المغرب الكبير**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966م،

- نكادي يوسف، **الزراعة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري**، مطبعة الجسور، وجدة-المغرب، 2007م.

زاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة وطرازها المعماريّ

الدّكتور بوزرينة سعيد

أستاذ محاضر (أ)

/المركز الجامعيّ: نور البشير/البيّض

زاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة وطرازها المعماري.

يعود انتشار الزوايا في المغرب الإسلامي إلى القرن السادس للهجرة، والملاحظ أنها أصبحت أكثر انتشارا في العهد العثماني الذي دام أكثر من ثلاثة قرون، حيث لبست الجزائر حلة معمارية جديدة تتمثل في الزوايا، والتي كانت تحظى باهتمام الحكام وكبار التجار والطبقة الغنية فخصصوا أموالا طائلة لإنشائها، وأيضا راجع إلى طبيعة الحكم العثماني حيث أنّ سياستة كانت تشجع ظهور الزوايا ما لكم تكن ضد سياستها.

من بين هذه الزوايا التي مازالت القائمة، نجد زاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة.

1 – موقع الزاوية:

تقع الزاوية بمدينة مليانة قرب مسجد سيدي أحمد بن يوسف المسمى بنفس إسم الزاوية، تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 130كلم.

حسب الأساطير، فإن موقع الزاوية لم يكن من اختيار سكان مليانة، لكن من اختيار بغلة سيدي أحمد بن يوسف، التي أقبلت في يوم من سنة 981هـ/1524-1525م، إلى مدينة مليانة، وهي تحمل جثة صاحبها، فوقفت ببطحاء القمامة العمومية على هامش المدينة وبركت، فهرع إليها المليانيون، واقبروا الجثة، والبغلة بجانبها، بعد أن ماتت وكذا خادمة الولي، وهذا عملا بوصيته[1].

2– أحمد بن يوسف:

تعرف هذه الزاوية بسيدي أحمد بن يوسف، هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسفولد بقلعة بني راشد بجبال بني شوقران جنوب شرق مدينة معسكر، لم يحدد تاريخ ولادته فقيل في سنة (836هـ/1436م،و840هـ/1440م و844هـ/1442م)، كما أنّه ينتمي إلى عائلة بني مرين الزناتية والتي جاءت من مراكش وأقامت بجوار قبائل هوارة التي كانت تتمتع بشهرة كبيرة غرب المغرب الأوسط[2].

كان رجلا عالما ومتفقها في الدين، وسياسيا، تخرج من المدرسة الفكرية بتلمسان من أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وهي مدرسة محمد السنوسي وتأثر بأفكار كبار الصوفية المشاركة

1- Dermenghen,(E.), **Le Culte des sains dans l'islam magrébin**, Gallimard, Paris, 1954, p.226.

2 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج1، ص 474.

الأقدمين في مواقفه وتصرّفاته ومنهم مالك بن دينار أبو يحي الشامي وإبراهيم بن الأدهم أبو إسحاق[1]، وذو النون المصري، فحملته أفكارهم إلى الانخراط في الطريقة الشاذلية، وقد أخذ بيده لذلك أستاذه زروق البرنوصي الذي أنشده إلى الطريقة الشاذلية، ثمّ ذاع صيته، فاجتمع حوله الكثير من الأتباع من الجزائر والمغرب الأقصى، فاعتبره الزيانيون ومن معه خطرا على حكمهم، فأصبحوا يطاردونه في كل مكان وحاولوا عدة مرات قتله، وكان أحمد بن يوسف على اتصال دائم مع العثمانيين خاصة عروج، واتفقا معا ضد الزيانيين بتلمسان، وظلت هذه العلاقة قائمة طيلة العهد العثماني، وهذه بدون شك من بين الأسباب التي دفعتهم إلى بناء زاويته وضريحه وتزيينه[2].

استقر سيدي أحمد بن يوسف بمليانة، وتأثر كثيرا بسقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م، واحتلال الإسبان لوهران، توفي سنة 931هـ/1524م.

- بعض أقوال سيدي أحمد بن يوسف:

بخصوص مدينة البليدة: سماوك البليدة وانا نسميك الوريدة.

أعبد الله بنية فعل الخير بلا ما تستنا تقضي منه صلاحك

اللي يعبده وهو خايف من النار، ولا باش يغنم بالحور حالو كلوصيف ولا الخماس[3].

3 – مؤسس الزاوية:

هو محمد بن عثمان الكردي باي وهران من أشهر بايات منطقة الغرب، (حكم سنة 1192-1213هـ/1774–1797م)، كان أسمر اللّون، ولذا سموه محمد الأكحل قدم إلى الجزائر وشارك مع صالح باي قسنطينة في رد عدوان الأسبان وذلك في سنة (1184هـ/ 1766م)، وكان معروفا بالكفاءة والصدق والإخلاص للدولة العثمانية بالجزائر، هو الذي أنشأ المطامير العامة في الجهات المختلفة من عمالته لخزن القمح ليكون دخيرة في سنوات الجدب والقحط، وجلب الماء في القنوات إلى مدينة وهرانوبمعسكر عاصمته، باشر سلسلة من الأشغال ساهمت في تزيين المدينة وتوفير مناصب الشغل

---

1 - محمد حاج صادق، **مليانة ووليّها سيدي أحمد بن يوسف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1964، ص 83.

2 - Bordin (M.), « Notes et question sur Sidi Ahmed Benyousef », IN. **Revue Africaine**, 1925, Alger, p.176-181.

3 - جمال سويدي، الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم (القديم إلى 1830م)، منشورات التل، الجزائر، 2007م، ص 72.

للأهالي[1]، بدأ بتوسيع جامع السوق، ثمّ أعاد بناء الجامع العتيق قبل الإنطلاق في تشييد الجامع الكبير الذي أحاطه بمدرسة، وحمام، ومبان مختلفة جعلت وقفا لتبقى في خدمة المسجد، وطلبته، حصّن أسوار معسكر، وشيّد حصونا أخرى زودها بمدافع وبتلمسان التي كانت خاضعة لسلطته، رمّم مدارسها وفتح تحقيقا استرجع على إثره المباني الحبوس التي سلبت وبنى قصرا بمستغانم، عرف بمناصرته للأدباء والعلماء ورجال الدين، جمع المخطوطات القديمة وأعاد نسخها وتوزيعها على المكتبات والمدارس، كان يجازي الشعراء ويكافئ الأدباء، إلى جانب ذلك كان مسيرا بارعا ورجل حرب وجريء لا يتردد في قمع أي تمرد، أنظمت كل القبائل إلى مخزنه. وفي سنة (1784هـ/1193م) ثار عليه أهالي عين ماضي مقر الزاوية التيجانية وبعد حصار طويل كاد أن يفقده زمام أموره، توصل إلى الدخول المدينة التي أخضعها، عرف بشجاعته وتشدده، وكذلك بجوده وكرمه وحنكته في الخروج من الوضعيات الصعبة وكانت له صلات ودية مع الداي الذي أهدى له ريشة ثمينة من الذهب يضعها في عمامته، حرّر وهران من الاستعمار الإسباني في (27 فيفري سنة 1206هـ/1792م) في عهد الداي حسن باشا، ثمّ واصل الباي مهمته على أكمل وجه، بعد أن حوّل عاصمته إلى وهران، محاربة المجاعة والطاعون الذي ضرب المنطقة، فعمّر المدينة بحرفيين جاءوا من مليانة، المدية وتلمسان، ووفر لهم التسهيلات المالية إلى جانب الأشغال التي انطلق بها لبعث النشاط الاجتماعي والاقتصادي بوهران، فشيّد مسجد سيدي الهواري ومسجد آخر يسمى مسجد محمد الكبير إلى جانب المسجد الكبير الذي يسمى بمسجد الباشا بأمر من داي الجزائر حسن باشا[2].

وفي سنة (1213هـ/1797م) بعد زيارته للجزائر توفي محمد الكبير وهو في طريق العودة، يقول البعض بأنّه تعرض للتسمّم بأمر من الداي الذي حسده على شهرته وقوته.

4 – تاريخ التأسيس:

حسب الكتابة التذكارية المنشورة في رسالة دكتوراه مصطفى شريف[3]، والتي عثر عليها بمبنى الزاوية، والمتضمنة تاريخ بناء الزاوية والضريح، والتي نصها كالآتي:

---

1 – جمال سويدي، المرجع السابق، ص 96.

2– نفسه، ص 97.

3– Cherif (M.), **Les dynamique actuelle sur Sidi ahmed Ben youcef à Miliana**, doctorat 3ème sicle, Paris, 1976, p15.

زاوية الشيخ المجاهد في سبيل الله السيد القطب الجليل سيدي أحمد بن يوسف (1192هـ/1774م)، فإنّه يظهر لنا جليا أنّ المبنى الزاوية برجع إلى العهد العثماني، وتذكر بعض المصادر التاريخية أنّ محمد الكبير باي وهران هو الذي قام ببناء زاوية سيدي أحمد بن يوسف[1].

كما وقف على الزاوية جنان بدار تقع قرب دار الباي الملاصقة لمسجد سيدي أحمد بن يوسف وأيضا وقف دار تقع قرب ضريح سيدي احمد بن يوسف[2].

5 – مخطط الزاوية:

يرى الأستاذ جورج مارسيه أنّ العمارة في الجزائر خلال العهد العثماني كانت عبارة عن مزيج بين الطراز المحلي التقليدي المغربي والطراز الوافد الذي جلب من تركيا، حيث أنّ الزوايا تتميز بالتخطيط المحلي الذي كان شائعا من قبل، يضاف إليها تخطيط الزوايا العثمانية والتي يتجلى في بعض العناصر المكونة للزاوية كقاعة الصلاة (المسجد) وقاعة الضريح والتي تتميز بالقبة الكبيرة، وعنصر المئذنة في شكلها المضلع (ثماني الأضلاع) وهو الطراز التي تبنته تركيا[3].

وتأخذ الزوايا في الجزائر أشكالا مختلفة ترتبط بالموقع الجغرافي والمناخ والعادات والتقاليد الدينية والمعمارية لهذه المناطق، وقد يتبادر إلى الأذهان أنّ الزاوية هي مجرد مسجد يتصل به ضريح الولي الصالح، بالإضافة إلى مدرسة لتدريس القرآن الكريم وعلوم الدين، لكن الباحث في هذا المجال يجد أنّ أشكال الزوايا تختلف حتى أنّ البعض منها يكون على شكل قرى كالزاوية التيجانية بقمار وتماسين.

مخطط الزوايا في الجزائر الموجودة في المناطق الشمالية والقريبة من السلطة العثمانية، كزاوية سيدي أحمد بن يوسف، وذلك لاعتبارات التالية: (مخطط01).

توجد بصمة عثمانية مباشرة للمنظومة المعمارية من خلال رغبة الحكام العثمانيين الذي سيحمل اسمهم بمثابة شهادة تشيد بذكراهم على مدى تعاقب الأيام واختلاف العهود وترك البصمات التي تدل عليهم في سجل الخالدين ونظائرهم في العالمين، ويتبين أيضا أن أصحاب الكفاءات الهندسية من الذين أثابهم الله حظا موفورا من المواهب الفنية والذوق الجميل، وجدوا في عمارة الزاوية المناخ الذي يتنفس في

---

1 – أحمد بن هطال التلمساني، **رحلة محمد " باي الغرب الجزائري " إلى الجنوب الصحراوي**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم الناجر ، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص 28.

2 – ودان بوغفالة، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية وملیانة في العهد العثماني**، الجزائر، 2009، ص 195.

3 –Marçais (G.), **L'art en Algérie**, **imprimerie Algérienne**, Alger, 1906, p132.

وجود تطلعاتهم الجمالية وطموحاتهم الابداعية، فراحوا يضعون أنفسهم بتصرف الراغبين في بناءها، ولم يدخروا جهدا في أن تأتي الزاوية من بين أيديهم، آية للناظرين من حيث روعة تصميمها وكمال زينتها وتمام بهائها ومحاسنها، بإيعاز من الحكام والأعيان.

5 –1– المسجد:

أ – المقاسات:

طول: 30.5م العرض: 17.9م.

ب – الوصف:

قبل الولوج إلى بيت الصلاة علينا المرور على صحن مكشوف، يأخذ شكل شبه مربع يبلغ طوله 7.43م وعرضه 6.78م، حسب الأهالي كانت في وسط الصحن نافورة ماء، كما يتكون بيت الصلاة من خمسة أساكيب موازية لجدار القبلة، تشكلها أربع بوائك تتكون من سبعة عقود، علما أنّ العقود المستعملة في هذا المسجد من النوع المتجاوز، مرتبطة بعوارض خشبية، الدعامة اتخذت حجما ضخما، يتوسط المحراب جدار القبلة، تكتنفه من الجانبين عمودان.

5 –2 – الضريح:

أ– المقاسات:

طول الضلع:7.20م

ب– الوصف:

قاعة الضريح تفتح مباشرة على الرواق الجنوبي للصحن، تتكون هذه الواجهة من مدخل ذي عقد نصف دائري يبلغ ارتفاعه 20.19م وعرضه 1.20م يرتكز على دعامتين وكل التركيبة مزينة بزخارف جصية، وعلى جانبيه، توجد نافذتين، بهما قضبان حديدية.

يأخذ شكل القاعة الشكل المربع، وهي مغطاة بقبة ضخمة ثمانية الأضلاع ترتكز على ثمانية أعمدة حلزونية، موزعة باثنين، إثنين في كل ركن من أركان المربع، ليحمل كل منهما عقدا متجاوزا منكسرا، أمّا عامة جدران تتخللها مرة نوافذ ومرة أخرى مشكوات لإنارة قاعة الضريح وتجديد الهواء، تعلوها خمس فتحات صغيرة لها دور الإنارة والتهوية وفي وسط القاعة ضريح الشيخ أحمد المليانى نفسه المغطى بثابوت عليه أعلام وأقمشة متنوعة.

أمّا المحراب فيتوسط الجدار الجنوبي، وعلى جانبيه، توجد مشكاوتان، القاعة تكسوها مجموعة من البلاطات الخزفية تحوي ألوانا وأشكالا متعددة.

5-3- الصحن:

يأخذ الصحن الشكل المربع ضلعه يبلغ 10.5م، يتكون من أربع أروقة، بها عقود نصف دائرية وهي ترتكز على 16 عمودا منها أعمدة أسطوانية وحلزونية، ويتوسط الصحن نافورة ماء، وعلى جانبية هذه النافورة شجرتين ضخمتين، واحدة للجوز، والثانية للتين.

5-4- الغرف:

هذه الغرف مستطيلة الشكل صغيرة، مساحتها 4 متر مربع، بسيطة، خالية من أي زخرفة، يقيم بها السكان، غرفة لتعليم القرآن وتحفيظه للتلاميذ، كما توجد أربعة غرف لاستفاضة الزائرين الآتين من المناطق البعيدة.

5-5- المقبرة:

كما تظهر شواهد القبور بوضوح بزاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة، فهي موجودة بالرواق الشمالي والرواق الغربي، فيخص حوالي عشرون جثة، قام الجيش الاستعماري بهدم كل القبور يوم اقتحامه واحتلاله المدينة، وهذه القبور المهدمة كانت من حفدة وأقرباء الشيخ سيدي أحمد بن يوسف، وهذا حسب أقوال الأهالي والقيمين على الزاوية.

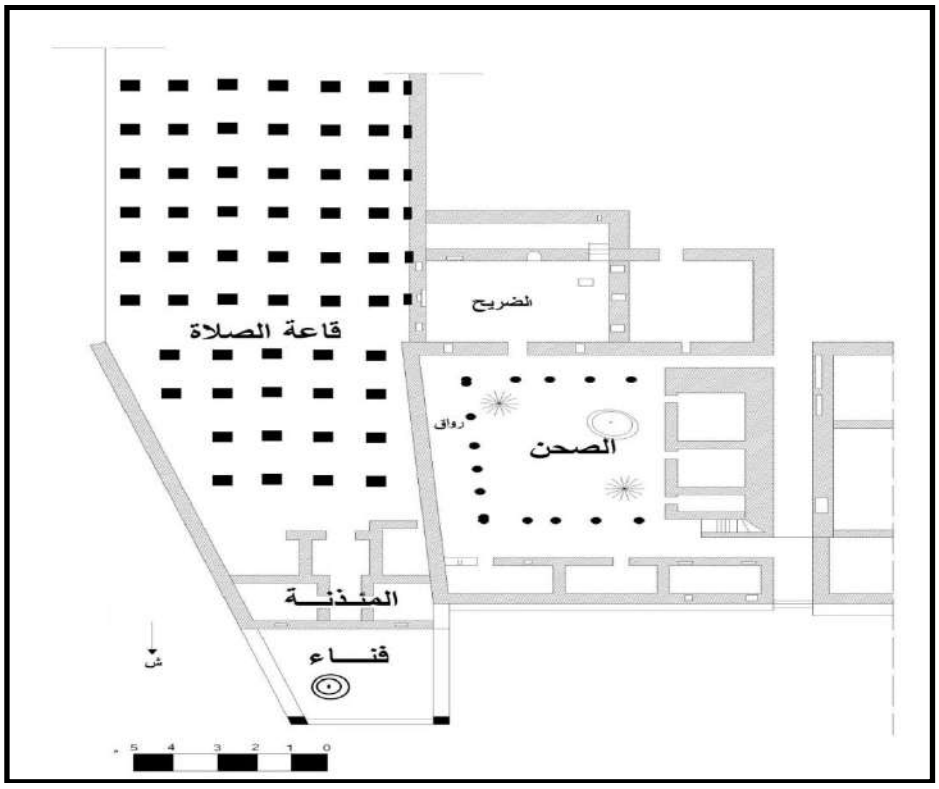

مخطط01/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف

عن: مكتبة البلدية – بتصرف

6- الوحدات والعناصر المعمارية:

لقد تعددت وظائف العناصر المعمارية في فن العمارة بصفة عامة والإسلامية على وجه الخصوص، حيث لم يقتصر دور هذه العناصر على الجانب الدعمي لتقوية المبنى وتدعيم مختلف أجزائه وعناصره، كما لم يقتصر استعمالها أيضا كوسائل دعم وعناصر تقوية وتمتين لمختلف وحدات الزاوية، وإنّما تجاوز دوره ذلك الإجراء التقليدي الذي أنشئت أساسا لأجله، إلى دور آخر يكتسي أهمية بالغة في الفن المعماري، ألا وهو الجانب الجمالي، ذلك أنّ الفنان المسلم كغيره من الفنانين، لم يكن ليعتني بالجانب المعماري على حساب الجانب الجمالي في مختلف أعماله الفنية، وإنّما كان يولي أهمية كبيرة إلى جمالية الشيء، من دون نسيان عامل آخر يتمثل في تكييف مختلف العناصر المعمارية وفق منظور شرعي وبيئي[1].

6-1- المداخل:

المدخل هو الفتحة أو الباب الذي يدخل منه إلى المسجد ونحوه، وقد لعب دورا هاما في تكوين واجهات العمائر الأثرية الإسلامية، حيث كوّن فيها عنصرا معماريا زخرفيا بالغ الأهمية غالبا ما ارتفعت أطره وعقوده وحناياه حتى بلغت علو جدران الواجهة أو جاورتها[2].

وفي المصطلح المعماري فإن الباب (الخارجي أو الداخلي، الرئيسي أو الفرعي)، هو الفتحة القائمة في سور المدينة أو الحصن، وفي واجهة المنازل أو القصر، أو المساجد، أو الزوايا.

ويتكون المدخل من الباب الخشبي والإطار الرخامي أو الحجري:

أما المدخل الرئيسي لزاوية سيدي أحمد بن يوسف تتخللها باب ضخمة غليضة مصنوعة من الخشب المتين، و مدخل آخر يؤدي إلى بيت الصلاة، ومدخل يؤدي إلى بيت الوضوء أو المغسل. ومدخل آخر يؤدي مباشرة إلى قاعة الصلاة والضريح. (صورة 01،02 ، 03)، (شكل01).

أ- المدخل الرئيسي:

- المقاسات: طول:1.10م إرتفاع : 2.20 م

جاء هذا المدخل بسيط، اتخذ إطاره الحجري هيئة العقد نصف دائري، فهو خال من أي زخرفة.

---

1 - عبد الحق معزوز، **العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف**، الجزائر، 2007، ص101.

2 - عاصم محمد رزق، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، مكتبة مدبولي، 2000، ص 267.

ب– مدخل إلى قاعة الصلاة:

– المقاسات: طول:1.03م إرتفاع : 1.98 م

وهو مدخل ذو عقد متجاوز، فهو خال من الزخرفة.

جـ– المدخل الثاني: (صورة **26**)

– المقاسات: طول: 1.09م عرض: 0.91م.

وهو مدخل ذو عقد نصف دائري يرتكز على دعامتين، وكل التركيبة مزينة بزخرفة جصية، وعلى جانبيه ، توجد نافذتين، بهما قضبان حديديان.

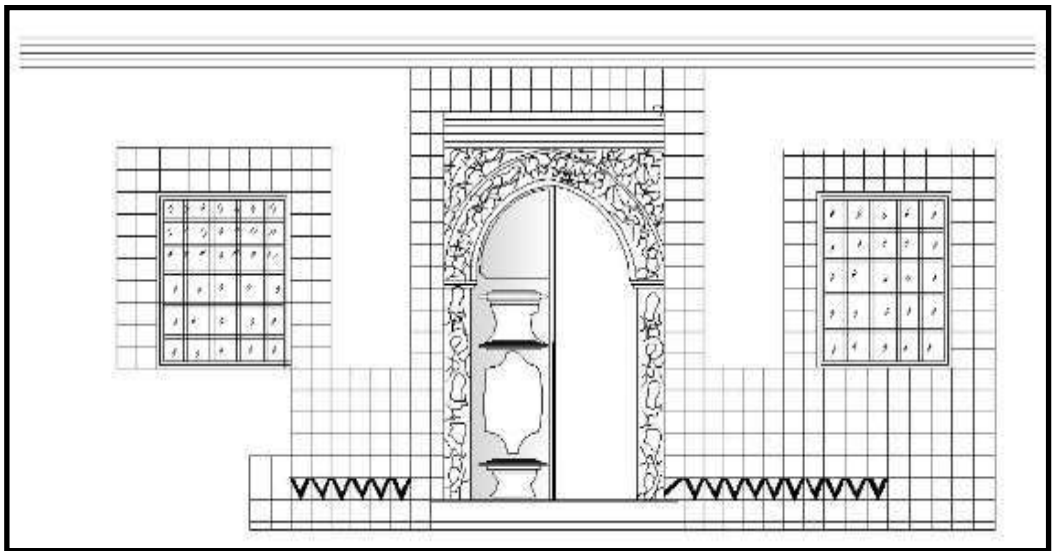

شكل 01/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – مدخل قاعة الضريح.

صورة01/سيدي أحمد بن يوسف

المدخل الرئيس

صورة 02/سيدي أحمد بن يوسف

مدخل قاعة الصلاة

صورة 03/سيدي أحمد بن يوسف– مدخل قاعة الضريح

6-2- الأروقة:

هذه الأروقة عبارة عن مساحة عرضها 2.50م، غير مسقفة، تحيط بالصحن من الجهات الأربعة، وهي تفصل بين الصحن والضريح وبعض الغرف، وهي تشكل ممرات للسالكين من خلالها ذهابا وإيابا، أو نحو الصحن.

6-3- الصحن:

يعرف صحن الدار على أنه وسطها ومركزها ويطلق عليه أحيانا باحة أو ساحة ويسمى محليا بوسط الدار أو الحوش، وهو أهم فضاء في المنزل ولم يقتصر تصميمه على الدور السكنية فقط، وانما اتخذ " كنواة للخان والفندق والقيسارية والوكالة والمارستان والقصر والدار والزوايا"[1].

نجد الصحن المكشوف في زاوية سيدي أحمد بن يوسف بأروقته الأربع، وهو مربع الشكل به نافورة ماء، وشجرتين ضخمتين على الجانبين، واحدة للجوز، والأخرى للتين، كما به شواهد قبور. (صورة 04).

صورة 04 / زاوية سيدي أحمد بن يوسف – الصحن

6-4- المحراب:

المحراب كلمة أطلقها المؤرخون المسلمون كما جاء في " المصباح المنير " ، حيث يقال محراب المصلى، مأخوذ من المحاربة، لأن المصلي يحارب الشيطان ويحارب نفسه بإحضار قلبه.

---

1 – جمعة أحمد قاجة، **موسوعة فن العمارة الإسلامية**، ط1، لبنان، 2000، ص327.

ويعرف في اصطلاح اليوم بالقبلة، وهي الحنية المجوفة التي تكون في حائط المسجد لجهة القبلة المخصصة للإمام أثناء الصلاة[1].

– المقاسات:

إرتفاع كلي: 2.30 م عرض: 1 .25 م

التجويفة: عرض: 0.96م عمق: 0.96م

يوجد المحراب في الجدار الجنوبي للضريح، وهو عبارة عن تجويفة نصف دائرية تكسوها طبقة من المربعات الخزفية بمختلف الأشكال والألوان، ويعلو المحراب بقسمه العلوي، نصف قبيبة مزينة بمغازل وأخاديد منحنية تأخذ شكل نصف قوقعة، أمّا إطار المحراب فيتكون من عقد حذوي منكسر، يرتكز على عمودين. (صورة 05)، (شكل 02).

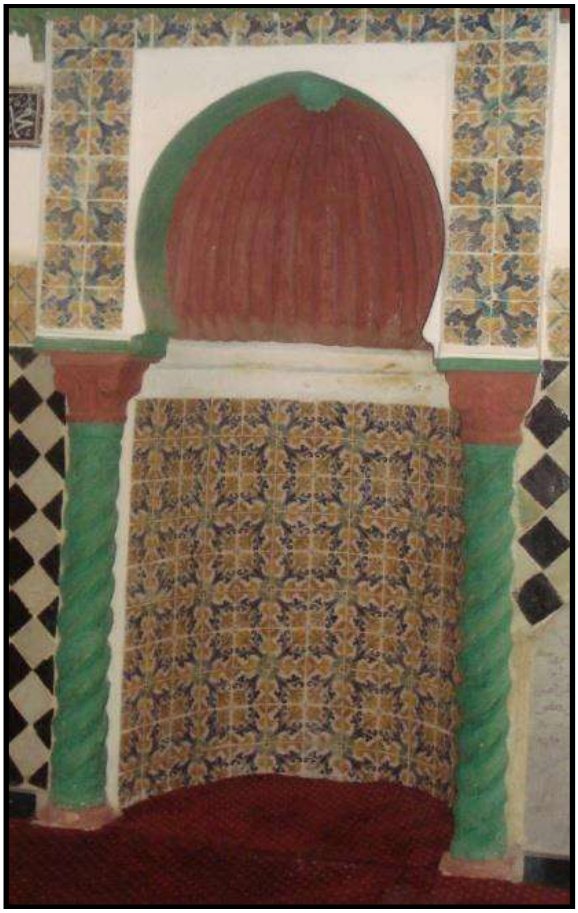

صورة 05/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف –المحراب–

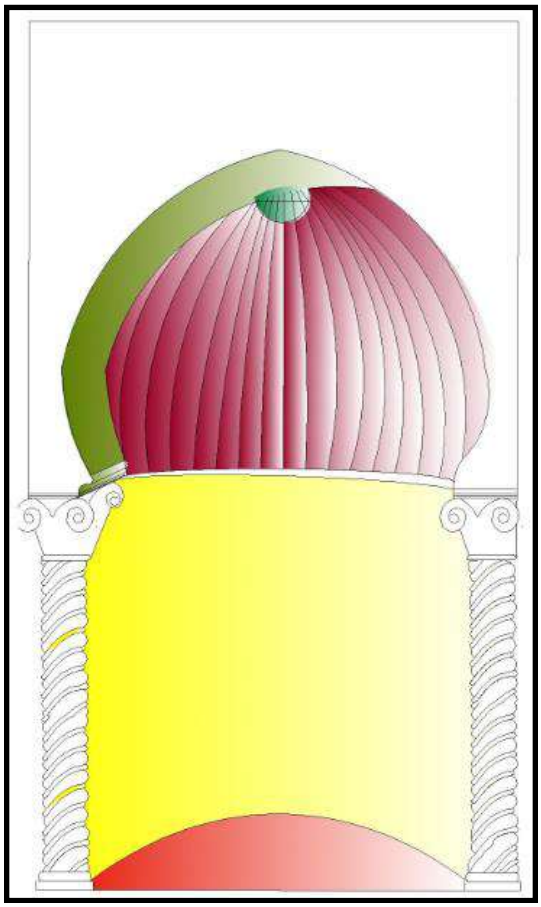

شكل 02/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – المحراب–

1- طه ولي، **المساجد في الإسلام**، ط1 دار العلم للملايين، بيروت، 1988، ص220.

6-5- المئذنة:

هي البناء المرتفع الذي يرتقي إليه المؤذن ليعلن عن أوقات الصلوات الخمس عند المسلمين ويدعوهم إلى أدائها، مستعملا عبارات معينة بشكل ما اصطلح على تسميته بـ " الأذان ".

وقد جمعت المآذن بين طرازين، المحلي والوافد، والمعروف أنّ طراز المآذن المحلية هو طراز المآذن المربعة والذي تعد مئذنة جامعالقيروان بشكلها المربع وطوابقها الثلاثة المسلوبة إلى الأعلى النموذج الأصيل له[1] .

أمّا الطراز الوافد من تركيا، فقد شمل بعض الزوايا في مختلف مناطق الجزائر وخاصة مدنها الكبرى، تتمثل في المآذن المثمنة، مظهره العام الخارجي، يتكون من طابقين، طابق سفلي مضلع ينتهي بذروة على شكل طنف، غير أنّ بعض المآذن الأخرى ربما تكونت من برجين سفليين ذي شكل مثمن يتوجها جوسق،أو ذات القاعدة المربعة والبدن والجوسق المثمنين.(صورة6، و شكل 3).

- المقاسات:

ارتفاع كلي: 19.12م

ارتفاع الجوسق:1.37م

كما تحتل مئذنة مسجد زاوية سيدي أحمد بن يوسف الركن الشمالي الغربي، حيث تأخذ الشكل المربع، تستند على قاعدة مربعة، وعلى بدن وجوسق، حيث ينتهي البدن بشرافة هرمية الرأس فوق كل زاوية بين الضلعين ممّا نتج عنه ثمان شرفات.

1 - أحمد فكري، مسجد القيروان، القاهرة، 1936، ص112.

صورة 06/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – المئذنة المربعة–

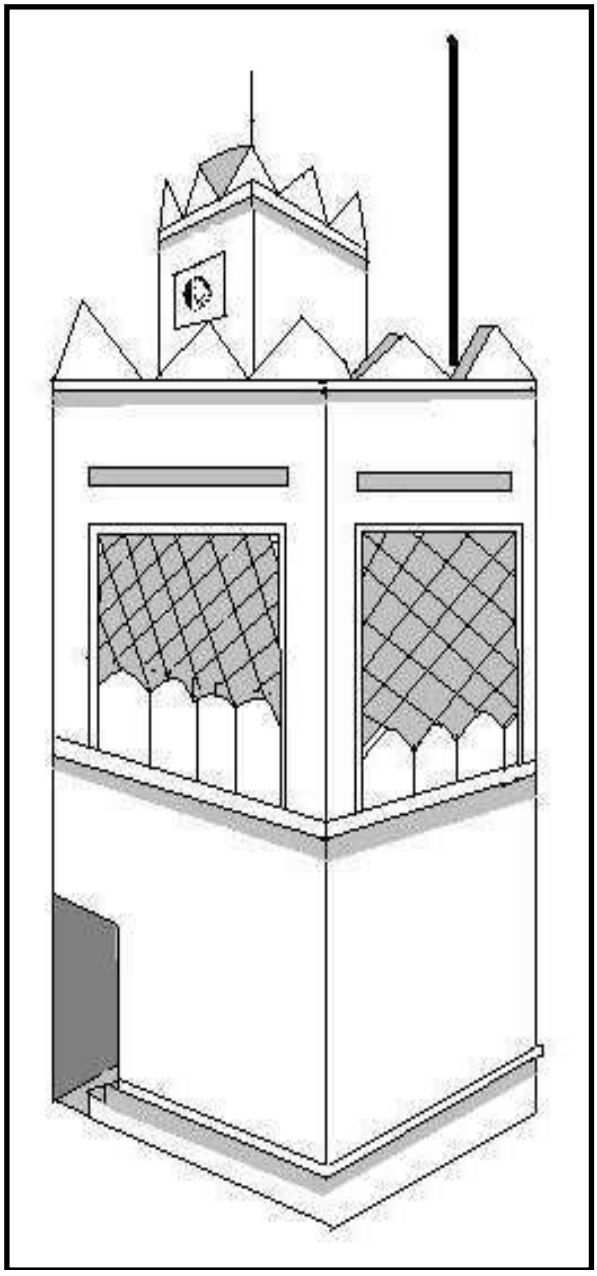

شكل 03/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – المئذنة المربعة–

6-6- وسائل الدعم:

لم يكن للمسلمين في بادئ الأمر وسائل دعم (دعامات، أعمدة) تميزهم عن غيرهم مثلما كان الحال لدى الإغريق والرومان، بل كانوا ينقلون الأعمدة من المعابد والكنائس الخربة إلى مساجدهم[1].

والأعمدة الأولى التي استعملها المسلمون في مساجدهم خاصة كانت عبارة عن جذوع النخيل وذلك في مسجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالمدينة المنورة ، وتحت خلافة عمر بن خطاب غيرت جذوع النخيل بأعمدة من الأجر المجفف في الشمس والمعروفة باسم "اللبن" ولكن تحت حكم عثمان بن عفان –

1 – كمال الدين سامح ، **العمارة الإسلامية في مصر**،1987، ص79.

رضي الله عنه – استعملت الأعمدة الحجرية.وبالنسبة للأعمدة الرّخامية ، فإن أقدم هي تلك الموجودة في المسجد الأموي بالكوفة.

فكل عنصر من العمود والدعامة مهمتهما حمل الثقل وتوزيعه بشكل عمودي، وهما يؤذيان دورا مهما من حيث المبدأ المعماري والتجزئة الداخلية للمبنى، وتختلف العمائر عن بعضها البعض تبعا لشكل وطابع وسائل الدعم، وكذا العناصر المدعومة[1].

الدعامات: (صورة 07).

–المقاسات: الإرتفاع: 2.05م طول الضلع: 0.80م

نجدها موزعة بعددها المعتبر في قاعة الصلاة متقاطعة تحمل عقود من الجهات الأربعة.

صورة 07/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – دعامات المسجد

أ– القواعد:

القاعدة تحمل العمود وتوطّده بالأرضية، أي أنّ الضغط كله يقع عليها، وهي تتألف من عدة أجزاء منها المستديرة، المربعة، والمثمنة، يختلف سمكها وارتفاعها لتوزيع الثقل، وهي متراصة الأشكال فوق بعضها البعض.

ب – الأعمدة: صورة (08 ،12،11،10،09)، (شكل04).

1- Bourouiba(R.), O.p.cit, p.78.

– المقاسات:

* النموذج الأول:

القاعدة: ارتفاع: 03 سم قطر: 0.25 م.

البدن: ارتفاع: 1.54 م قطر: 27 م التاج: ارتفاع: 0.36م. القطر: 0.32م

***النموذج الثاني:** واجهة الرواق الذي يفتح إلى باب الضريح.

القاعدة: ارتفاع: 2.6 سم قطر: 80.5 سم.

البدن: ارتفاع: 1.50 م قطر: 62 سم

التاج: ارتفاع: 60 سم

المقاسات:

***النموذج الثالث:** واجهة الرواق الغربي

القاعدة: ارتفاع: 2.5 سم قطر: 81.5 سم.

البدن: ارتفاع: 1.53 م قطر: 0.61 م

التاج: ارتفاع: 0.62 م

المقاسات:

***النموذج الرابع:** واجهة الرواق الشرقي

القاعدة: ارتفاع: 2.3 سم قطر: 81.8 سم.

البدن: ارتفاع: 1.57 م قطر: 52 سم

التاج: ارتفاع: 61.5 سم

نجد أنواع من الأعمدة موزعة بزاوية سيدي أحمد بن يوسف بين حلزونية ذات قاعدة أسطوانية الموجودة بداخل قاعة الضريح، وأعمدة مركبة مقسمة إلى قسمين، القسم الأول ثماني الأضلاع، والقسم العلوي حلزوني، كما توجد أيضا أعمدة ملساء وهي موجودة بأروقة الصحن وهي كلها مصنوعة من الرّخام.

صورة 08/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – انموذج من القواعد

صورة 09/ زاوية سيدي احمد بن يوسف – نموذج من القواعد

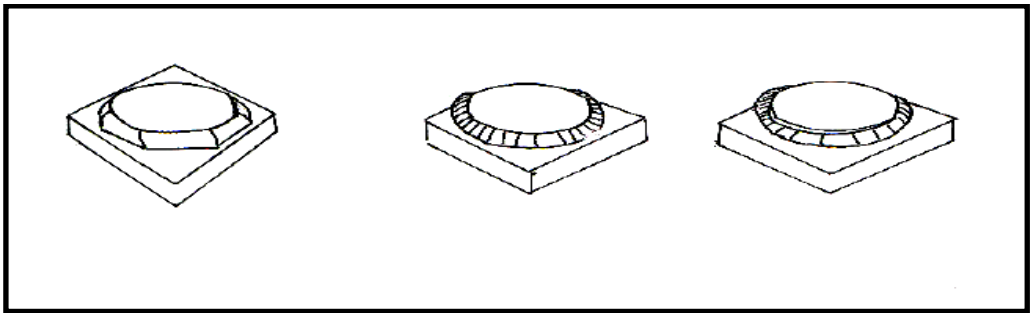

شكل04/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – ثلاثة نماذج من قواعد الأعمدة .

صورة10/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – بدن العمود

صورة11/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – أبدان العمود

صورة 12 / زاوية سيدي أحمد بن يوسف – ورقة التين تتدلى من تحت القرون

6-7- العقود:

العقد في العمارة يعتبر عنصرا معماريا وزخرفيا، إستعان به المعماري في الرّفع والتقليل من ثقل السقف المسطح أو المقبب، ويوفر للمبنى القوة والارتكاز، وكسر الرّتابة التي تتسبب فيها عادة الجدران ومختلف الواجهات المسطحة التي تترك في نفس المشاهد الملل والسقم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فلهذه العقود وظائف أخرى في غاية الأهمية حيث تسمح بمرور الهواء إلى الداخل، كما تسمح أيضا بفضل فتحاتها تجديد الهواء الداخلي.

***النموذج الأول:**

– المقاسات:

فتحة العقد: الإرتفاع: 1.42م عرض: 2.15م باطن العقد: 0.41م

توجد في الأركان التي تقوم عليها القبة في قاعة الضريح، وهو من النوع النصف دائري.

*** النموذج الثاني:**

– المقاسات:

فتحة العقد: الإرتفاع: 1.25م عرض: 1.80م باطن العقد: 0.41م

يوجد في صحن الزاوية، المكون لأروقة، وهو من النوع العقود المنكسرة.

*** النموذج الثالث:** (صورة 13).

– المقاسات:

طول:0.90م العرض: 0.58م

إستعمل هذا النموذج من العقد في قاعة الضريح، وهو من النوع العقد المفلطح.(صورة 14).

صورة13/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – عقد منكسر

صورة14/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – العقد المفلطح.

6-8- وسائل التسقيف:

أ- القباب:

القبة هي البناء الدائري المقعر من الداخل المقبب من الخارج، تقام مباشرة فوق مسطح أو ترتفع على رقبة مضلعة أو دائرية، أو على حنايا ركنية أو مثلّثات كروية أو مقرنصات لتسهيل الانتقال من المربع إلى المثمن ثّم إلى الدائرة، وقد تكون القبة كبيرة أو صغيرة أو بيضاوية أو نصف دائرية، أو بصلية أو مخروطية أو مضلّعة[1] .

استعمل هذا العنصر المعماري كوسيلة للتسقيف في العهد العثماني، ونجده بمساجد عديدة وهي على نوعين منها المضلعة وهي النّوع السائد وكذا البيضوية.

والقبة في زاوية سيدي أحمد بن يوسف نجدها تغطي سقف قاعة الضريح، إذ أن شكلها من الخارج يختلف عن شكلها من الداخل، القبة من الداخل بها ثمانية أضلاع، خالية من أي زخرفة، لها ثلاث فتحات للتهوية وإنارة قاعة الضريح، يحيط بالقبة من الأسفل إفريز من الخطوط المستقيمة، البارزة والمتدرجة.

و الملاحظ في هذه القبة، أن تحويل المربع إلى المثمن، لم يكن من صنع الحنايا الركنية أو المثلثات الكروية، التي عرفت بها العمارة العثمانية بالجزائر، وإنّما تم بوضع عقودا ترتكز على عمودين حلزونين، في كل ركن من أركان القاعة المربعة، أما من الخارج فتبدو لنا القبة بارزة ببدن مضلع، تتخلل أضلاعه عقودا صماء تفتح بها فتحات بالتناوب، سقفه هرمي الشكل، مغطى بقرميد أخضر اللّون.

إن طريقة تسقيف هذه القبة تشبه إلى حد كبير طريقة تسقيف زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وضريح سيدي بومدين، وكذا سيدي الحلوي بتلمسان، يقول النقيب كوفالت أن مثل هذه القباب كانت من اختراع أندلسي، ثمّ انتقلت إلى شمال إفريقيا لتنتشر في كثير من عمائرها بالأخص في المناطق التي تكثر فيها الأمطار، إذن فإنّ تسقيف قبة زاوية سيدي أحمد بن يوسف ما هي إلاّ نتيجة فرضتها الظروف الطبيعية بالمنطقة. (صورة 15).(شكل 05).

---

1 - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 222.

صورة15/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – طريقة الانتقال

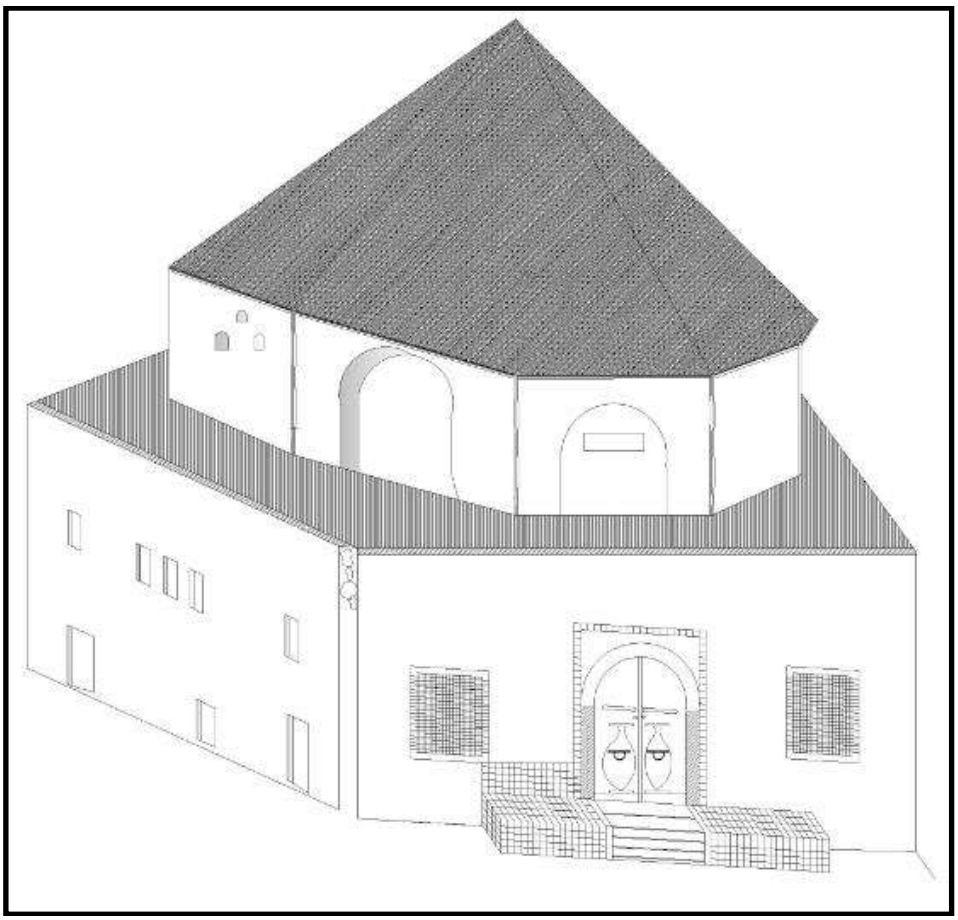

شكل05/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – قبة الضريح

ب – التسقيف المستوي:

عرف هذا النوع من التسقيف خاصة بمادة الخشب في العصور القديمة كالعصر الإغريقي والرّوماني والمسيحي المبكر في ايطاليا وفي الأقطار الشرقية، كما استعمل في العصر الإسلامي المبكر،إذ نجده يغطي أروقة المسجد الأموي بدمشق وغيره من المساجد الأموية[1].

وهذا النّوع من التسقيف نجده في بيت الصلاة، والغرف.

6-9- النوافذ والكوات:

أ- النافذة:

تطلق كلمة نافذة على الفتحة التي تخترق الجدار لأغراض ثلاثة وهي (التهوية، والإضاءة والرؤية). واقتصر العرف على بعض الفتحات المستطيلة والصغيرة، ففي المسكن الإسلامس كانت النوافذ تطل على الصحن الداخلي، والنوافذ الضيقة توضع على الجدران الخارجية، وذلك لأغراض مناخية ودينية، واجتماعية، حيث لا يجوز أن يتعرض داخل الدار لأنظار الفضوليين أو المارة[2].

تظهر النوافذ على شكل عقدين نصف دائريين، يفصلهما عمود بسيط، نجده في الجدار الخاجي لبيت الصلاة، ولدينا نوع آخر من النوافذ البسيطة المربعة والمستطيلة، فهي موجودة على الغرف المطلة على الصحن. (صورة16).

صورة16/ زاوية سيدي أحمد بن يوسف – نافذة

1 – كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص150.

2 – محمد الطيب عقاب، **قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني**، دار الحكمة، الجزائر 2007، ص150.

خاتمة

إنّ دراسة زاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة خلال العهد العثماني جعلنا نستنتج النقاط التالية:

– الزاوية هي مجموعة من البنايات ذات طابع ديني بحت، مفتوحة الأبواب للفقراء والمساكين وعابري السبيل والمسافرين، بها مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام وتشمل على بيوت للصلاة وضريح صاحب الطريقة أو مجموعة الأضرحة تضم رفات أفراد عائلته، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم المختلفة، وأخرى لسكن الطلبة وطهي الطعام، وتخزين المواد الغذائية، والعلف للحيوانات.

– دمج المعماري الجزائري بين الأساليب والتقاليد المغربية الذي يعرف بالطراز المحلي وبين الأساليب المعمارية التي جلبها العثمانيون والذي يسمّى بالطراز الوافد، حيث نجد تعايشا بين الطرازين جنبا إلى جنب، كتخطيط من الطراز الوافد في قاعة الضريح، والطراز التقليدي المحلي المغربي يظهر في عنصر المئذنة المربعة.

– اعتماد المعماري في هذه الزاوية على وسيلة أخرى غير الحنايا الركنية والمثلثات الكروية لتحويل المربع إلى مثمن، وهي وضع عمودين في كل ركن من الأركان الأربعة لمربع القاعة يحملان عقودا تؤدي دور التحويل إلى شكل المثمن.

– استخدام البلاطات الخزفية على نطاق واسع في المحاريب وتكسية الجدران.

– وجود الصحن في هذه الزاوية، وهي من التقاليد المتجذّرة في العمارة الجزائرية والمغرب الإسلامي عامة.

– وإلى جانب التقاليد المعمارية الواردة، استمرت التقاليد المغربية المحلية التقليدية خلال العهد العثماني، نتاج عدة عوامل تضافرت معا في الإبقاء على ذلك الطراز، وقد انبثقت بعض هذه العوامل من خلال ما يمكن أن يطلق عليه اسم فلسفة الحكم العثماني، فقد ساهمت سياسة العثمانيين وهي الخاصة بإبقاء الأوضاع على ماهية عليه، في محافظة المجتمع الجزائري على طابعه العربي الإسلامي وسماته الرئيسية، وتقاليده وأعرافه ومعتقداته المختلفة، وهذا يعني أنّ العثمانيين لم يفرضوا ذوقا أو طرازا معماريا خاصا بهم، على اعتبار أنّ المغلوب يقتدي دائما بالغالب، والنّاس على دين ملوكهم كما يقال، ومن تم احتفظت العمارة الجزائرية المغربية الإسلامية منها هذه الزاوية بطابعها المحلي الموروث، ويظهر ذلك في:

– وجود الصحون والأفنية، مع استخدام المحاريب النصف دائرية .

– شكل المئذنة المربعة، العقود على اختلاف أنواعها النصف الدائرية والمنكسرة والحدوية والمفصصة، والعقد الجزائري الذي يأخذ هيئة مقبض القفة الذي يعد ابتكارا جزائريا خلال العهد العثماني.

– المصادر والمراجع:

– التلمساني أحمد بن هطال ، **رحلة محمد " باي الغرب الجزائري " إلى الجنوب الصحراوي**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم الناجر، عالم الكتب، القاهرة، 1969م.

– بوغفالة ودان، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية وملیانة في العهد العثماني**، الجزائر، 2009م.

– حاج صادق محمد ، **ملیانة ووليّها سيدي أحمد بن يوسف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1964م.

– سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

– سامح كمال الدين، **العمارة الإسلامية في مصر**،1987م.

– سويدي جمال، الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم (القديم إلى 1830م)، منشورات التل، الجزائر، 2007م.

– فكري أحمد، مسجد القيروان، القاهرة، 1936م.

– قاجة جمعة أحمد، **موسوعة فن العمارة الإسلامية**، ط1، لبنان، 2000م.

– عاصم محمد رزق، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، مكتبة مدبولي، 2000م.

– معزوز عبد الحق، **العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف**، الجزائر، 2007، ص101.

– ولي طه، **المساجد في الإسلام**، ط1 دار العلم للملايين، بيروت، 1988م.

– Bordin (M.), « Notes et question sur Sidi Ahmed Benyousef », IN. **Revue Africaine**, 1925, Alger

– Cherif (M.), **Les dynamique actuelle sur Sidi ahmed Ben youcef à Miliana**, doctorat 3ème sicle, Paris, 1976.

– Dermenghen,(E.), **Le Culte des sains dans l'islam magrébin**, Gallimard, Paris, 1954.

–Marçais (G.), **L'art en Algérie**, **imprimerie Algérienne**, Alger, 1906.

أزياء فرقة النّصارى في جيش السّلطان

يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282 م).

الدّكتور سرحان حليم

جامعة محمد بوضياف/المسيلة

halim.serhen@univ-msila.dz

أزياء فرقة النّصارى في جيش السّلطان
يغمراسن بن زيان (633–681هـ/1235–1282 م).

مقدمة

من الدراسات الطريفة والشائقة والنادرة التي لفتت اِنتباهي في مجالي التاريخ و الآثار موضوع أزياء فرقة النصارى في جيش السلطان يغمراسن بن زيان، لما لها من دور في الكشف عن مدى الرقي الحضاري والاِنفتاح الاِجتماعي والاِقتصادي الذي كان سائدا في بلاط تلمسان في فترة كانت فيها منطقة الغرب الإسلامي قاطبة على فوهة بركان ، فضلا عنْ أن المؤرخين في ذلك العصر أغفلوا الحديث في مصنفاتهم عن هذا الأمر–الأزياء العسكرية– بجهل منهم أو بتركيز اِهتمامهم على تسجيل الوقائع السياسية والدسائس والفتن والقلاقل في قصور الأمراء دون سواها من أحداث مما صعب علي الخوض في هذا المضمار وفت في عضدي، وكل ما كتب في هذا الصدد لا يعدو أن يكون شذرات ضئيلة لا تكاد تفيد الدارس في شيء إلا الاِستنباط لا غير.إذن ما هي الظروف والملابسات التي جعلت يغمراسن يقدم على طلب العون من الملوك الإسبان ملتمسا إمداده بفرق من الجنود المسيحيين ، وبخاصة الرماة منهم.؟ و ما هي أزياؤهم وملبوساتهم العسكرية التي تدثروا بها طيلة اِستخدامهم في جيش هذا السلطان، فهل كانت تلمسانية محضة أم أنها كانت غير ذلك.؟ كل هذا سنحاول الإجابة عنه وتسليط الأضواء الكاشفة حوله، لَعلنا بذلك نسهم ولو بالنزر اليسير في إزاحة الستار عنه وتبيان ما اِكتنفه من غموض لِقلة النصوص الموثقة وشحّها فيما يلي:

يذكر يحي بن خلدون الذي تولى منصب كاتب إنشاء الملك أبي حمو بتلمسان، وأصبح من المقربين إليه منذ سنة(769هـ/1367م)، في كتابه بغية الرواد: " أن السلطان يغمراسن بن زيان ابن ثابت بن محمد، تولى مقاليد الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية بعد أخيه أبي عزة، وهو أول من خلط زي البداوة بأبهة الملك بداية من سنة(633هـ–1235م) [1]." وأنه اِتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالح،

1– يحي بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، الطباعة الشعبية لِلجيش، الجزائر،2007م، ص204. أنظر: – محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1988م، ج1، ص533. وانظر:

واِستلحق العساكر الروم"[1]، حينما أرسل وفدا إلى برشلونة سنة(648هـ/1250م) برئاسة أبي عمران موسى و تاجر يدعى رامون ذي بانيرس (Ramon Debanyres)، ولما وصلت البعثة إلى بلاط الملك خايمي الملقب بالفاتح، عرضت عليه بعض الأمور، ومنها طلب المساعدة بفرقة من الفرسان القطلانيين لِلْعمل في جيش بني عبد الواد، وتبعا لهذا الأمر أرسلت إليه فرقة عسكرية من الفرسان القطلانيين والجنود الأراغونيين بقيادة أحد الرهبان يدعى الأب فيلارجو(père de vilargut)، ولما اِنتهت مهمته على رأس هذه الفرقة، أسندت قيادتها فيما بعد إلى غيوم غالسيران ذي كارتلا(Guillem Galceran de cartela)، ويظهر حسب النصوص التاريخية أن عدد المجندين يومئذ بلغ ألفي فارس(2000)[2]. وقد اِنضم بعض الفرسان ورماة الرجل المحدقين لِلْقوس الإفرنجية[3] الخاصة بأهل الأندلس من القشتاليين إلى جيشه بعد معركة تامزددكت قرب وجدة إثر اِنهزام السلطان السعيد أبو الحسن علي بن إدريس الموحدي،[4] الذي قتل من قِبَلِ فارس بني عبد الواد، يوسف بن خزرون الملقب بالشيطان، وقد أثخن هذا الأخير في جيش السلطان المهزوم حتى تغلب عليه، وأمكن منه ثم نهب محلته وما كان بها من" الأخبية

- Abou Zakarya Yahia Ibn Khaldoun : **Histoire des Beni Abd El Wad rois de Tlemcen**, traduit en Français et annoté par Alfred Bel ,ENAG éditions, Alger,2011.p,146-157.

1 – عبد الرحمان بن خلدون: **تاريخ اِبن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ج7، ص106.

2 - Mas-Latri :**Relations et commerce de L'Afrique septentrionale ou Maghreb avec Les nations chrétiennes au moyen âge** ,Librairie de Firmin-Didot et C.imprimeurs de L'institut, Paris,1886.p,144.

3- **قوس الرجل:** قوس يطلق بإحدى رجلي الرامي أو بالِاثنتين معا، والقوس القدمي أو الإفرنجي(قوس الرجل) قوس أنبوبي يطلق بالرجل مع اليد.لِلتوسع أُنظر: عبد الجبار محمود السامرائي: " تقنية السلاح عند العرب" **مجلة المورد**، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، الدار الوطنية لِلنشر والتوزيع والإعلان ، بغداد، العراق، 1985، ص 10.

4 – علي بن هذيل الأندلسي: **تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس**، تحقيق عارف أحمد عبد الغني ومحمود خلف البادي، دار كنان لِلطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا،2010.ص، 277. أُنظر:محمد المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2000. ص، 100.

الحسنة والغازات الرفيعة والذخيرة التي كانت في فسطاطه" ، ومن جملتها مصحف عثمان.[1] وكان أهل المغرب يعتنون بقوس الرجل ويفضلونها على قوس اليد الشيء الذي جعل يغمراسن يجند أولئك الرماة ويحتفي بهم، واِستمر وجود رماة الرجل الإسبان والأندلسيين في جيوش بني عبد الواد الزيانيين حتى حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني حسبما يستنتج من كتابي واسطة السلوك، و زهر البستان، وأغلب الظن أن هؤلاء القشتاليين كانو ينتمون إلى الفرقتين اللتين اِستقدمهما المستنصر الموحدي وبقيتا في يد سلاطين الدولة المؤمنية حتى اِضمحلالها، فواحدة منها كانت تعسكر في مدينة مكناس تحت إمرة قائد قشتالي يدعى غونزالو (Gonzalo) والأخرى كانت في مراكش تحت قيادة بطرس (Pierre) شقيق ألفونش الثاني ملك البرتغال.[2] ويخبرنا عبد الرحمان بن خلدون أنّ يغمراسن" كان معتدا بهم مباهيا بهم وقد ناولهم حبل عنايته فاِعتزوا به واِستفحل أمرهم".[3] ومن جملة الفتن والقلاقل الداخلية التي وقعت في عهد هذا السلطان المؤامرة الشنعاء التي دبرها هؤلاء الروم لِقلب نظام الحكم عندما اِستعرض يغمراسن

---

1 – أحمد أبو العباس الناصري: **كتاب الاِستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق ولداي المؤلف، جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية،1954،ص،225. أُنظر: محمود مقديش: **المصدر السابق**: ص، 533.

2 – أبو حمو موسى الثاني: **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، تحقيق وتعليق محمود بوترعة، دار الشيماء لِلنشر والتوزيع، ودار النعمان لِلطباعة والنشر، الجزائر، 2012. ص، 154.أُنظر: – مؤلف مجهول: **زهر البستان في دولة بني زيان، (السفر الثاني)**، محفوظ في: The John Rylands University Library of Manchester Micro Film of Rylands Arabic، ومسجل تحت رقم : Ms 283 (79) : ورقة، 101.، وأُنظر: مؤلف مجهول: **زهر البستان في دولة بني زيان، (السفر الثاني)**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة لِلنشر والتوزيع، الجزائر، 2011. ص، 139. وأُنظر: مؤلف مجهول: **السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان**، عناية وتقديم محمد بن أحمد باغلي، ط2، الأصالة لِلنشر والتوزيع، الجزائر،2012.، ص، 133.، وانظر:

– Charles Emmanuel dufourcq : « Les relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du XIII siècle ». **Revue D' Histoire et de civilisation du Maghreb**, n°5, faculté des lettres ,Alger,1968.p41. – Charles Emmanuel dufourcq: « Les Espagnols et Le Royaume de Tlemcen aux treizième et quatorzième siècles», **in boletin de la real academia de buenas letras de Barcelona**, tome, 20 – 21. ,Barcelona, Espagne. 1948.pp.3-20.

3 – عبد الرحمان بن خلدون: **المصدر السابق**، ص، 106.

الحشود العسكرية في يوم التمييز بالمنية خارج باب القرمدين بِاعتداء قائدهم عليه غير أنه نجا منها وقتل أخوه محمد بدلا عنه خلالها.[1]وقد ذهب بعض المؤرخين المعاصرين وعلى رأسهم خالد بلعربي إلى القول إن محاولة اِغتيال يغمراسن من قِبَلِ جنود الروم كانت مكيدة دبرها محمد بن زيان الذي أوعز إلى قائد الروم بقتله وبما أن العملية فشلت أجهزوا على محمد هذا تفاديا لِلْوقيعة بهم بعد ذلك.[2] ويضيف عبد الرحمان بن خلدون كنتيجة حتمية لِتلك المؤامرة الدنيئة وما لاقاه مدبروها من جزاء:" فأحيط بهم من كل جانب وتناولتهم أيدي الهلاك بكل مهلك قصفا بالرماح وهبرا بالسيوف وشدخا بالعصي والحجارة حتى اِستلحموا وكان يوما مشهودا."[3]

وكان ذلك خلال سنة(652هـ/1253م) ولم يستخدم بعدها جنود الروم بتلمسان حذرا من غائلتهم على حد قول هذا الأخير.[4] إلا أن بعض النصوص اللاتينية تنفي ذلك وتشير إلى أن يغمراسن اِستقدم مرة أخرى خمسمائة(500) فارس من الروم في حربه ضد بني مرين الذين تمكنوا هم أيضا من إبادتهم عن بكرة أبيهم ولم يتركوا منهم أحدا، كما أن محمدا بن يوسف الغالب بالله سلطان غرناطة لِتلك الفترة صالح يغمراسن وبعث إليه أموالا جليلة وهدية عظيمة على أن يشغل سلطان بني مرين بالإغارة على بلاده حتى يمنعه الجواز إلى الأندلس حسب نص إبن أبي زرع.[5] ومهما يكن من شيء فقد حذر الملك الزياني اِبنه وولي عهده أبا عثمان من مواجهة بني مرين وأوصاه عوضا عن ملاقاتهم بأن يقوم بتوسيع رقعة ملكه نحو الأقاليم الشرقية وتحصينها حتى تكون في منعة ويكون ذلك خيرا له ولِطموحاته

---

1 – محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995.ص، 77.

2 – خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية، (633-681هـ/1235-1282م)، الألمعية لِلنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.ص، 142.

3 – عبد الرحمان بن خلدون:**المصدر السابق**،ص، 113. أُنظر: مؤلف مجهول: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور لِلطباعة والوراقة، الرباط، المملكة المغربية، 1972.ص، 80.

4 – نفسه.

5 – علي بن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1999، ص، 438. أُنظر: رضوان البارودي: **دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية لِلْكتاب، مصر،2007، ص، 18.

السياسية حينما تصير مقاليد الحكم إليه.[1] الأمر الذي دفع بأبي زكرياء الحفصي إلى تشجيع شيوخ قبيلتي توجين ومغراوة لِيكونا أندادا لِيغمراسن ومنافسين له في المنطقة و منعه وكبحه عن بسط نفوذه وإيقافه عند حده وقت اللزوم.[2] وهناك ملاحظة مهمة مُفادها أن الملوك القطلانيين هم الذين كانوا يتولون بأنفسهم تأجير الجنود الروم"المرتزقة" لِسلاطين تلمسان منذ منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي (7هـ/13م) وقبض الأموال الجزيلة مقابل ذلك، وقد أصبح لهم –جنود الروم– تأثير كبير حتى إن بعضهم اِنصهر في المجتمع الزياني وكان لهم دور خطير في مختلف الفتن والحروب والتحالفات الرسمية مع الأمراء والحجاب والوزراء وكثيرا ماكانت مؤامرات البلاط ضد السلاطين والحجاب تتم بواسطة هؤلاء المجندين القطلانيين وبتنفيذ من القائد الرومي مثل ماحدث لِيغمراسن كما ذكرناه، والذي كان يأتمر في الغالب بأوامر ملك أراغون خايمي بن بيطرة أو بأوامر الكنيسة التي سمحت بدورها أيضا لهذا القائد وفرقته المتكونة من الفرسان ورماة الرجل والمشاة بالعمل عند مستخدمهم ولِصالحه شريطة أن يتم ذلك تحت لِواء وعلم مسيحي يحمل شارة مملكتي أراغون أو قشتالة.[3] ويجمع كل من كتب حول موضوع اِنضمام الجنود الروم إلى جيش بني عبد الواد في عصر يغمراسن، أن هذا الأخير كانت له فرقة أخرى اِنخرطت في حشوده خلال سنة (679هـ/1280م) بقيادة جوم بيريز(Jaumme perez) الأراغوني، وقد قام البابا نقولا الرابع بنفسه بمباركة المجندين الجدد وحثهم على أداء مناسكهم وصلواتهم وفقا لِلدين المسيحي القويم ورغبهم بالتمسك بمعتقداتهم وتقاليدهم والحفاظ عليها ما اِستطاعوا إلى ذلك سبيلا وما بقوا في خدمة السلطان الزياني، وأوصاهم ثم حرضهم بعد ذلك على عدم اِعتناق الدين الإسلامي والنفور منه.[4]

---

1 – إسماعيل بن الأحمر: **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور،ط3، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية،2003،ص،60.

2 – عمر سعيدان: علاقة إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر، دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل،منشورات سعيدان، سوسة، الجمهورية التونسية،2002م. ص، 50–51 .أُنظر: روبار برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص، 474.

3 – لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، 1347هـ.ص،35.

4 – عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني** ، موفم لِلنشر والتوزيع، الجزائر، 2002،ج1 ، ص، 261.

ويظهر بعد هذا أن هؤلاء الجنود كانوا يتمتعون بالإقامة في حي يعرف بربض النصارى بأحواز تلمسان، كما أذن لهم يغمراسن بممارسة طقوسهم الدينية وإدارة شؤون حياتهم بحرية تامة، فضلا عن إعفائهم من دفع الضرائب والرسوم الجمركية، ورخص لهم الخضوع المباشر لِسلطة قوادهم القضائية حسبما ذهب إليه عبد العزيز فيلالي.[1]

ومن الأسباب التي دفعت بيغمراسن لِاتخاذ جنود الروم في جيشه، مثلما يفهم من النصوص الموثقة أنه كان يريد المباهاة والمفخارة بهم في الحروب من جهة ومضاهاة سمو وبذخ الدولة الموحدية السباقة إلى تجنيد المرتزقة في جيشها في بلاد المغرب من جهة أخرى، زيادة أنه أراد الِاحتياط من منافسيه داخل القبيل العبد الوادي ثم إبعاد المهالك ودرء الأخطار التي حاقت به عن اليمين والشمال متمثلة في أطماع الحفصيين بتونس و المرينيين بفاس المتربصين به الدوائر، جراء اِنفراط عقد الدولة الموحدية وتمزق أوصالها إذ ذاك، وأصبح رغم أنفه بين حجري الرحى مالم يأخذ بالأسباب اللازمة لِدفع كل شر مستطير وشيك عن مملكته، علاوة على أن " السلطان يتأكد في حقه ضرب المصاف لِيكون ردءا لِلْمقاتلة أمامه، ذلك أن الروم من قوم متعودين لِلثبات في الزحف."[2] وأن الحروب كانت على نوعين سواء بالزحف صفوفا مثل قتال العجم " الروم " جميعهم على تعاقب أجيالهم، أو بالكر والفر مثل قتال العرب والبربر من أهل المغرب مسايرة لِقول عبد الرحمان بن خلدون.[3]

الأمر الذي جعل أولئك الجنود يتميزون عن غيرهم من الحشود العسكرية في الجيش الزياني بلبس الدروع والجواشن والقرقلات والبيض والمغافر الإفرنجية المناسبة لِلزحف بالصفوف أو الكراديس، والأكيد أنها تلك الآلات والملبوسات الحربية اللازمة لمثل ذلك القتال، وسنقتصر في هذه الدراسة على ذكر بعض أزياء الجنود الروم التي كانت سائدة في الغرب الإسلامي وقتذاك وتوصيفها فيما يلي:

أولا: زي الرأس. Coiffures et casques

لقد كان لِزي الرأس أهمية بالغة لِدوره في الوقاية من ضربات السيوف والسهام والرماح، فضلا على أن الصناع أولوه عناية خاصة بحيث اِتخذ أشكالا متنوعة ومنها:

---

1 – عبد العزيز فيلالي: **المرجع السابق**، ص، 261.

2 – عبد الرحمان بن خلدون: **المقدمة**، تحقيق خالد العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004. ص، 258.

3 – أحمد بن علي القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**،شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988.ص،151.

– البيضة:cervelière

هي آلة من حديد توضع على الرأس لِوقاية الضرب ونحوه وليس فيه مايرسل على القفا والآذان، وربما كان ذلك من الزرد، ويطلق عليها الإنجليز(halmet).[1] وعند اِبن منظور تعني الخوذة وكأنه شبهها ببيضة الحديد.[2] وهي أيضا الخوذة من الحديد والفولاذ، كما يطلق عليها أيضا اِسم الطشتانيات ومفردها طاشتان، تجعل لها بطانة من القماش أو القطن أو الإسفنج الضيق الأبخاش أي المسامات حتى يمنع الضرب القوي إذا نزل على الخوذة، وينبغي أن يكون أرزاز القنبع غليظا لكي لا تنزل البيضة على أنف لابسها، و تأخذ البيضة شكلا مستديرا بِاستدارة الرأس، ومقدمتها تسمى القونس، تنتهي في أعلاها بجوسق مدبب من المعدن لِتنبوا السيوف عنها إذا باغتتها.[3] وكان رماة الرجل – رماة القوس الإفرنجية– عادة ما يضعون على رؤوسهم غطاء يدعى في الفرنسية(coiffe avec ventail)، ويرى بعض مؤرخي الأزياء بأن هذا الغطاء ماهو في واقع الأمر إلا زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، وحينما يحمى وطيس المعركة يضع الفارس على رأسه بيضة مخروطية تربط بالدرع بواسطة شرائط جلدية و تدعى(Heaume).[4] وقد كانت البيضة شائعة الاِستعمال في جيش مملكة أراغون الذي ينسب إليه الجنود الروم موضوع هذه الدراسة و نذكر منها أربعة أنواع، وهي:

– البيضة العادية:(cervelière simple) مخصصة لِلْجنود البسطاء .

– البيضة بواقية الأنف:(cervelière avec nasal)

– البيضة القمعية بواقية أنف أوبدونها:(casque conique avec ou sans nasal)

---

1 – أبو الفضل بن منظور:**لِسان العرب**، ج2، ط4، دار صادر، بيروت، لبنان، 2005، 192.

2 صالح موسى درادكة: **بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار شيرين لِلنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1988.ص، 199.أُنظر: أحمد مختار العبادي: **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر،2000، ص، 45.

3 – أُنظر: أحمد مختار العبادي: **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر،2000، ص، 45.

4 – اِبن سيدة: **المخصص**، تحقيق عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005،ص، 100.

– البيضة الفرنجية:(casque phyrgien) تلبس من قِبَلِ الجنود الموسرين فحسب[1].

– المغفر:barbute et camail

يتفق كل من الفيروز أبادي والقلقشندي[2] على أن المغفر ويسمى "المضمضم" أيضا ما هو في واقع الأمر إلا آلة كالبيضة لكنّ فيها أطرافا مسدولة على قفا اللابس و أذنيه كما هو حلق يتقنع بها المتسلح وربما جعل وقاية لِأنفه من الحديد المبطط. و هذه الآلة تطورت عن البيضة البسيطة سالفة الذكر، بحيث أضيف لها حلقات من زرد لِوقاية الرقبة والعنق والكتف أيضا.[3] وخلال فترة موضوع الدراسة أضيفت إلى الملبوسات العسكرية الرومية واقية الكتف (spallière)، وهي صفيحتان من الحديد تطرقان بشكل نصف دائري لِتغطية الترقوة وتثبتان بسيور جلدية تمران تحت الإبط يتم ربطهما بإحكام.

ثانيا: زي البدن.Harnais de corps

اِهتم الجنود الروم في جيش السلطان يغمراسن بتغطية أبدانهم بجملة من الألبسة الواقية ومنها:

– الدرع: Haubert et cotte de maille

لبوس الحديد وثوب لِلْحرب تذكر وتؤنث والجمع أدرع و أدراع ودروع وهو الشائع، وهي جبة من الزرد المنسوج يلبسها المقاتل.[4] ويقال لها السرد أيضا، وتعتبر الدرع حياة ثانية لِصاحبها لِأنها جلد حديدي فوق جلده يقيه طعنات الرماح وضربات السيوف، وقد علم الله النبي داود عليه السلام صناعة الدروع فهو أول من اِتخذها وكانت قبل ذلك صفائح، يقول الله تعالى في القرآن " وعلمناه صنعة لبوس لكم" الأنبياء الآية80 و" وألنا له الحديد أنِ اِعمل سابغات "سبأ الآية11،" والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون"النحل الآية81". وتصنع الدرع من أسلاك معدنية يتم تقطيعها إلى حلقات

---

1 -Laure Barthet :**Guide des costumes combattants méridionaux (Toulouse**,**Catalane** ,**Aragon**) ,le comité Muret,Toulouse,France,2011,p ,28-29.

2 – القلقشندي: المصدر السابق.ص،152.

3 - Robert Brun : « Notes sur le commerce des armes à Avignon au XIV Siècle » , **In Bibliothèque de l'école des chartes**, tome 109, livraison2, France, 1951 ,pp-217,218.

4– اِبن منظور: المصدر السابق،ج5، ص،245. أنظر: القلقشندي:المصدر السابق،ج2، ص، 152.

صغيرة بحيث يدخل كل حلقة في حلقة أخرى ويتم تثبيت طرفي الزرفين عن طريق الطرق على الفتحات أو يتم تثبيت الطرفين بمسامير في الثقب الذي سبق إعداده في طرفي قطعة السلك.كما كان يتم اللحام بواسطة تسخين الجزأين المراد تثبيتهما، وعند الوصول لِدرجة حرارة معينة يتم الجمع بينهما ويطرق مكان وصولهما لِيتم اللحام آخر الأمر. وقد تكون الدرع مسبلة أو قصيرة مختصرة، ويتم نسج الزرد بحيث يترك فتحة أمامية بطول الدرع، ثم توضع أزرار معدنية وتقابلها في الناحية اليسرى عراوى وأبازيم.[1] ويقول الشاعر في شأنها:

وسابغة من جياد الدروع تسمع لِلسيف فيها صليلا

وهناك الدرع الموضونة أو المضاعفة، التي تضم حلقتين إلى بعضهما، وجاء في شأنها قول الشاعر:

تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

واِشتهر عن الجنود القشتاليين والقطلانيين وبخاصة منهم رماة الرجل، خلال هذه المرحلة، لبس الدروع التي كانت تغطي أبدانهم من أعلى الرأس إلى أخمص القدم، كما أحسن أحد الشعراء الأندلسيين صنعا حينما تغزل بأحد الجنود الروم لما لبس درعا حيث قال في هذا المقام:

وأغيد من ظباء الروم عاط بسالفتيه من دمعي فريد

قسا قلبا وشن عليه درعا فظاهره وباطنه حديد

ومن عيوبها – الدرع– أنها مثقلة لِلراجل متعبة لِلْفارس، غير أنها حصن حصين لِلابسها، وتذكر بعض النصوص التاريخية أن الفرسان كانوا يتبعون عيوب الدروع لِينفذوا طعناتهم من خلالها إلى أجسام خصومهم، وقد لبس جنود الروم فوق الدرع واقية الحرارة (surcot)، وهي لباس طويل يصل إلى الركبة، يحمي لابسه من الحرارة ويمنع الصدأ عن الدرع.

– الجوشن:haubergeon et brigandine

وردت هذه الكلمة في مختار الصحاح بمعنى درع، وعند الفيروز أبادي بالصدر، و أنها في عرف بعض مؤرخي الأزياء تعد صدرية بلا ظهر وهي مؤلفة من ألواح صغار من الحديد مستطيلة الشكل لتقويته أو

---

1 – محمد بن عبد الله التنسي: **مقتطف من نظم الذر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، حققه وعلق عليه محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية لِلكتاب، الجزائر،1985.ص، 228. وأُنظر: إبراهيم ماضي: **زي أمراء المماليك في مصر والشام**، الهيئة المصرية العامة لِلكتاب، القاهرة، 2009.ص، 80.

من القرن أو الجلود التي تكسى بالثياب، والجوشن في بلاد فارس اِسم لحلة من الدروع منسوجة على هيئة قميص الزرد بحيث يشتمل على حلقات من أسلاك جعل بين كل واحدة منها والأخرى قطعة صغيرة من القصدير، وربما هو واقية الصدر ذائعة الصيت الخاصة بالفئات الدنيا في سلم الرتب العسكرية أو المجتمع بمملكة أراغون و المعروفة لديهم في الفرنسية بِاسم (gambison) .[1]وقد أُستعمل لِتقوية أقمصة الزرد صفائح مستطيلة الشكل مختلفة الأحجام من المعدن تتداخل أطرافها بعضها تحت بعض في صفوف عمودية لِوقاية الصدر والجنبين والظهر، وتلتصق الصفائح بالزرد إما بدمجها بحلق الزرد بواسطة ثقوب على جانبي كل صفيحة، أو بإضافة الصفائح إلى حلق الزرد بتثبيتها فوقه.[2] وأغلب الظن أن الجنود الروم في مملكة تلمسان اِستعملوا الجواشن على غرار أضرابهم الجنود في مملكة بني نصر بغرناطة اِستنادا إلى نص اِبن الخطيب على الرغم من اِقتضابه وفيه إشارة إلى أنهم : " ... عدلوا الآن عن هذا الزي إلى الجواشن المختصرة ".[3] وكان هذا الزي على هيئة معطف مسبل يغطي بدن الجندي حتى الركبة ويبلغ متوسط طوله 95سم و107سم، ويبلغ متوسط محيط الوسط بين 102سم و115سم، وهناك جواشن صغيرة تغطي الجزء العلوي من بدن الجندي، وهي مزودة بأكمام تصل حتى منتصف الذراع ومفتوحة من الأمام بطريقة طولية و تقفل بحلق من أعلى الصفائح و أسفلها، أو بإبزيمات معدنية مثبتة في حافتي هذا اللباس.[4] كما هناك الجواشن المفتوحة من الأمام و الخلف، أو من الجانبين ، وقال الشاعر الأندلسي في شأنها:

---

1 – محمد بن أبي بكر الرازي: **مختار الصحاح**، عني بترتيبه محمود خاطر بك، ط 5، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1916، ص، 104.، أُنظر: الفيرز آبادي: المصدر السابق، ص، 1233.،وأُنظر: ل،أ، ماير: **الملابس المملوكية**، ترجمة صالح الشيتي، مراجعة وتقديم، عبد الرحمان فهمي محمد، الهيئة المصرية العامة لِلْكتاب، القاهرة، 1972. ص،68. وأُنظر : Laure Barthet : op. cit. p23.

2 – إبراهيم ماضي: المرجع السابق، ص، 210.أُنظر: Michèle Beaulieu : **Le costume Antique et médiéval**, collection que sais je n°501, presses universitaires de France,1951.pp,94-3296.

3 – اِبن الخطيب: المصدر السابق، ص، 28.

4 – إبراهيم ماضي: المرجع السابق، ص، 210.أنظر: François Buttin : « **Du Costume militaire au moyen âge et pendant la renaissance**», in cahiers de civilisation médiévale, 15,n°15-60, France,1972 ,pp,314-315. volume

ولكنه يسعى عليه مفاضة دلاص كأعيان الجراد المنظم

وعلى شاكلة الجنود الروم فإن نظراءهم العبد الواديين تحت قيادة يغمراسن و أترابهم الحفصيين خلال حكم أبي إسحاق (681هـ/1283م) لبسوا هم الآخرون الجواشن حسبما يفهم من نصي اِبن الشماع واِبن القنفذ القسنطيني.[1]

ج- القرقل:cuirassé

مفردها قرقل وجمعها قرقلات ، وهو ضرب من الثياب في لِسان العرب[2]، أما المغاربة فيسمون القرقل المصفح الديباجي، وكان يصنع من رقائق الحديد المجمعة مع بعضها بدقة ومتانة وأجودها مالم تكن واسعة أو ضيقة مع حشوها بالحرير الخام،[3]حتى لا يتأذى منها بدن الجندي، وأحسن وصف لهذا الزي في الغرب الإسلامي اِحتفظ لنا به صاحب كتاب سراج الملوك عند ذكره لمعركة طرطوشة بالأندلس إذ قال في هذا الأمر: " وكان المسلمون في خسران، فأفزع المقتدر –اِبن هود- ذلك وفرق المسلمون من شر ذلك اليوم، فدعا المقتدر رجلا من المسلمين، لم يكن في الثغور أعرف بالحرب منه، يسمى سعدارة فذهب هذا الأخير زيه زي الروم وكلامه كلامهم، لمجاورتهم وكثرة مخالطتهم فاِنغمس في عسكر الكفار ثم صعد إلى الطاغية فألفه مكفنا في الحديد – القرقل- لا يظهر منه إلا عيناه، فأخذ يتخيله ويترصد غفلته، حتى أمكنته الفرصة، فحمل عليه وطعنه في عينه فخر صريعا."[4] يفهم من هذا الحديث رغم قصره أن القرقل سلاح وزي وقائي معا صنع من صفائح الحديد، يغطي كامل البدن من قمة الرأس إلى أخمص القدم، فلا يظهر من المقاتل إلا عيناه، وبالتالي لايستطيع الحَراك بخفة في ميدان المعركة، الأمر الذي يجعلنا نرجح أن اِستخدامه كان محصورا لَدى كبراء و قادة الجند والفرسان الروم دون سواهم من الحشود العسكرية الأخرى في جيش يغمراسن اِعتبارا أن الأزياء الأندلسية والمغربية لهذا العصر مستمدة

1- محمد بن أحمد بن الشماع: **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية لِلْكتاب، مطبعة الشركة التونسية لِفنون الرسم، تونس، 1984م، ص،77. أُنظر: أبو العباس بن القنفذ القسنطيني: **الفاريسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية لِلنشر، تونس، 1968، ص 142.

2 – اِبن منظور: المصدر السابق، ج04،ص، 82.

3 – محمود بن محمود بن منكلي: **كتاب التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية**، تحقيق صادق محمود الجميلي، نشر مجلة المورد، العدد04، المجلد 12، الدار الوطنية لِلنشر والتوزيع والإعلان، بغداد، العراق، 1983.ص، 362.

4 – أبو بكر الطرطوشي: **سراج الملوك**، حققه وعلق عليه نعمان صالح الصالح، دار العاذرية لِلطباعة والنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، 2005، ص،488.

من بعضها وتكاد تتشابه فيما بينها نتيجة الإحتكاك والمصاهرة . وقد إستمر إرتداء القرقل عند الجنود الروم _الإسبان_ خلال حملات الإسترداد التي قادها فرناندو ملك قشتالة في سنة غضون (897هـ/1492م) حيث ورد في هذا الصدد:" وقد خرج موكب عظيم من معسكر النصارى، يضم قوة عسكرية كبيرة، كانت مقدمة هذا الفيلق من الخيالة قوية التسليح بحيث تبدو لِلناظر وكأنها كتلة متحركة من الصلب..."[1]

ثالثا:زي الأيدي.Harnais de bras

لقد أُستخدمت بعض الألبسة المعدنية الواقية لمختلف أجزاء البدن لحمايته، ولا شك أنها صممت بحسب شكل كل عضو على حدة، إذ أدخلت في الحسبان مقاسات المفاصل وأخذ بعين الإعتبار التشريح الفيزيولوجي لِلْجسم الخارجي لِلْجنود وكان لِلأيدي نصيب منها، وإشتهر إستعمالها بشكل كبير من قِبَلِ الجنود الروم خلال الحروب التي خاضها يغمراسن ضد خصومه ومن نماذجها تلك:

- واقيات الأيدي:

إستعمل الجنود الروم واقيات الأيدي المصنوعة من خامات متنوعة ، وقد إشتهر منها الدستبان وهي في القواميس والمعاجم المتخصصة لَفظة فارسية مكونة من دست بمعنى يد وبان أي رباط، والمقصود منها رباط اليد لِتدل أخيرا على قفاز، وقيل إنه قفاز طويل من حديد يلبس في أيام الحرب.[2] كما أُستخدمت واقية الساعدين والعضد وهي متصلة بأكمام الزرد، وكانت تتخذ شكلي الساعد و العضد بحيث تضيق من ناحية الرسغ وتتسع من ناحية الكوع وتلتصق بها رقائق معدنية صغيرة تضم إليها حلقات كتلك التي تستعمل في صناعة الدروع ولا بد أن تدعم واقية الساعدين والعضد ببطانة جوفية من القماش ونحوه لِتحاشي إحتكاك الرقائق والألواح المعدنية الصغيرة بجلد لابسها.كما أُستعملت واقيات الأيدي من الزرد الخالص، ثم أُستغني عن هذا النوع لِيأتي مكانه زي أخر وهو قفاز (gantelet) منفصل عن الساعدين

---

1 - واشنطن ايرفينج: **سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس**، ترجمه وعلق حواشيه إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية لِلْكتاب، الجزائر،1988.ص،445.

2 - رجب عبد الجواد إبراهيم: **المعجم العربي لِأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث**، تقديم محمود فهمي حجازي و راجع المادة المغربية عبد الهادي التازي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2002، ص، 173.

المعدنيين يتم صنعه من القماش المكسو بقطع معدنية مرنة قدت على هيئة قشور السمك أو رقائق حديدية صغيرة لِتغطية أعلى الأيدي.

رابعا: زي الساقين: Harnais de jambe

اِهتم أولئك الجنود بحماية الجزء السفلي من البدن كالفخذ والركبة والساق وذلك بِاتخاذ واقيات من رقائق الحديد تماشيا مع ماكانوا يرتدونه من دروع لكساء النصف العلوي لِلْجسد، وكانت واقية الرجل تتسع من أعلى وتضيق من أسفل، ولا مراء أنّ الجوارب القطنية أُستخدمت أيضا غطاءً لِلساق إذ كانت تصل حتى أسفل الركبة، ثم يلبس فوقها الطماقات وهي شبيهة إلى حد كبير بكلسات الزرد التي أُستخدمت لَدى أفراد الجيش المملوكي لِتلك الفترة على أغلب الظن. واللاّفت لِلاِنتباه أنّ واقيتي الفخذ(cuissard)، والركبة (genouillère)، والساق(cubitière) كانت تتخذ شكل تقوسات الفخذ والركبة والساق، وتدعم بسيور جلدية لِربطها بالفخذ، وترتبط واقية الركبة بواقية الفخذ من أسفل بحلقات الزرد. كما وضعوا أيضا الجرموق فوق الطماقات الجلدية الشبيهة بالجزمات الطويلة ذات العنق.[1]

خامسا: زي القدم Harnais de pied

اِستخدم الجنود الروم كغيرهم من عساكر الأمم أمثالهم أو التي سبقتهم أحذية مغلقة ومنخفضة، ومغلقة وعالية من صنف(bottines à laçage) وهي غالبا ما تكون من زرد أو من جلد تسمى الأخفاف وتشبه تماما جزمات المقاتلين الغرناطيين في عصر بني الأحمر، فلا يعقل أن يمشي المقاتل في أرض المعركة حافي القدمين أو عاري البدن مثل المقاتلين الكلدانيين في بلاد الرافدين إبان العصور القديمة، ولا بد لهؤلاء أن ينتعلوا الأحذية التي تسهل لهم عملية الزحف أو التحرك برشاقة أثناء اِلتحام

---

1 - Robert Brun : op cit.pp,221-222 ، أنظر: - Ralph Payne Gallwey : **The Book of the Crossbow**, Dover publications, INC , New York.1995.pp,149-151.

- José Marchesi : **Album De LA Caballeria Espanola** , desde sus primitivos tiempos hasta eldia / por el conde de clonard ; publicado por la direccion general del arma , imprenta y litografia militar del atlas.Madrid ,1861.pp, 105 – 106.

- El Marqués de Guad-el-jelu : **Album De LA Infanteria Espanola**, imprenta y litografia militar del atlas .Madrid ,1861.pp,11-12.

الصفوف، أو أثناء اِلتقاء الكراديس المتناحرة، أما الفرسان و أضرابهم فاِستعملوا أنواعا أخرى من الأحذية الأكثر متانة ومن الخامات ذاتها وأشهرها التماقات، على الرغم من ثقلها الذي يعرقل الوثوب ويجعله بطيئا وبالتالي يربك الفرسان إذا ما باغتهم أحد من أعدائهم. كما شاع في القرن الثالثَ عشرَ الميلادي السابعِ الهجري اِستعمال واقية القدم (soleret)، وهي أيضا من زرد يتم وضعها فوق القدم وتربط بإحكام بواسطة سيور وخيوط جلدية من الأسفل .

سادسا: لوازم مكملة لِلأزياء العسكرية Les accessoires

هي تلك اللّوازم المكملة لِزيّ الجنود التي لا يمكن التخلي عنها إطلاقا لأهميتها، كالأحزمة والمناطق الجلدية المطرزة و المكسوة بالمخمل التي تعد عنصرًا ذا أهمية بالغة لِتزيين الثياب العسكرية من الخارج، إضافة إلى الكنائن والأغمدة التي كانت تصنع في معامل محلية، فلا يستغني عنها الجنود لحمل السهام والسيوف والخناجر.[1] فضلا عن الزي الداخلي الذي أراه من الأشياء الإضافية الضرورية كالسروال الذي يطلق عليه في الفارسية لفظ شلوار، ويلاحظ أن هذا الزي أُستعمل على نطاق واسع في إسبانيا وفقا لما ذكره دوزي في قاموسه، وقد يصل السروال حتى الأقدام ويكاد يلتصق بالسيقان إذ يظهر وكأنه جورب جاء على هيئة الألبسة المصممة على طراز الباروك الذي شاع في أوروبا خلال القرن الحادي عشرَ الهجري السابعَ عشرَ الميلادي. وهناك أيضا التبان وهو من الملابس اللاّزمة لِلْجنود و أصله فارسي يدل على سروال داخلي قصير، وزيادة على ذلك فهو سروال المصارع أي يمكن دمجه ضمن الملبوسات الحربية، وهو أيضا سروال صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة وتذكره العرب والجمع تبابين. أما التحتانية فتلبس أسفل الثياب الفوقانية وقد سميت كذلك نسبة إلى تحت وهي عادة ما تكون من قطن.[2]

---

1 – صالح محمد أبوديك:"**ألبسة المسلمين إبان سقوط غرناطة وتأثيرها على الزي المغربي**" ،المجلة العربية لِلْعلوم الإنسانية، عدد26، مجلد7.جامعة الكويت،الكويت،1987ص،146.أنظر:

- El Marqués de Guadel-jelu، pp,21-22.

2 – ثريا نصر: **موسوعة تاريخ الأزياء الأوروبية ومكملاتها وزخارفها وتطريزها**، عالم الكتب، نشر، توزيع، طباعة. القاهرة، مصر،2008 . ص ص، 158-169. أُنظر:رجب عبد الجواد إبراهيم: المرجع السابق. ص ص،89-90. أُنظر: صالح يوسف بن قربة:" **مقدمة لِدراسة الملابس المغربية–الأندلسية في العصر الإسلامي من خلال المصادر التاريخية والأثرية**"، مجلة التاريخ العربي، العدد الرابع عشر،المملكة المغربية،2000.ص ص، 55 – 57.وأُنظر:

-Gerry Ebleton: **Medieval Military costume**, published by Crwood press, England ,2000.pp.32-33. ; voir :

خاتمة:

وتبعا لما قدمناه من معطيات موثقة ومدعمة بالنصوص التاريخية على قلتها وشحتها وإستنادا إلى صور الأزياء العسكرية الإسبانية المستمدة من الكتالوجات الخاصة الأصلية التي لا غلو فيها ولا تحريف، يتبين بوضوح أنّ السلطان يغمراسن بن زيان إستخدم في جيشه دون شك فرق النصارى – المرتزقة– والجنود الروم المستقدمين من مملكتي أراغون وقشتالة، ثم من مملكة قطلونية لاحقا. وقد كشفت هذه الدراسة بما لايدع مجالا لِلشك أنّ هؤلاء الجنود كانوا يرتدون الأزياء العسكرية ذات الأنماط المسيحية من قمة الرأس إلى أخمص القدم إمتثالا لأوامر الباباوات والقساوسة أرباب الكنائس وتعليمات الملوك الإسبان أنفسهم، مع إتخاذ البنود والأعلام والرايات والشعارات العسكرية الخاصة بكل مملكة ينتمون إليها بما تحمله من صلبان ورسوم أدمية وحيوانية مخالفة لِلدين الحنيف، والإمتناع عن إرتداء الملبوسات العسكرية الزيانية بموافقة من سلطان مملكة تلمسان نفسه، وقد أذن لهم هذا الأخير بذلك على الرغم من الحروب الصليبية التي شرعت نيرانها في إلتهام الأخضر واليابس، ونمو نشاط حركة الإسترداد في الأندلس وتفاقم روح العداء ضد المسلمين التي كانت متفشية آنذاك في تلك الربوع.

– الملاحق:

الصورة رقم(1): أزياء الفرسان الروم–الإسبان– خلال القرن الثالثَ عشرَ

عن: (José Marchesi)

– R.P.A.Dozy : **Dictionnaire Détaillé des Noms des vêtements chez les arabes**. Librairie du Liban,Beirut.s.d.pp.205-207.

– قائمة المصادر والمراجع:

– ابن أبي زرع علي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1999م.

– ابن الأحمر إسماعيل: **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور،ط3، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية،2003م.

– ابن الخطيب لسان الدين: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، 1347هـ.

– ابن خلدون عبد الرحمان: **المقدمة**، تحقيق خالد العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004م.

– ابن خلدون عبد الرحمان: **تاريخ إبن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م.

– ابن خلدون يحي: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، الطباعة الشعبية لِلجيش، الجزائر،2007م.

– إبن سيدة: **المخصص**، تحقيق عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م.

– ابن الشماع محمد بن أحمد: **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية لِلْكتاب، مطبعة الشركة التونسية لِفنون الرسم، تونس، 1984م.

– ابن القنفذ أبو العباس القسنطيني: **الفاريسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية لِلنشر، تونس، 1968م.

– ابن منظور أبو الفضل:**لِسان العرب**، ط4، دار صادر، بيروت، لبنان، 2005م.

– ابن منكلي محمود بن محمود: **كتاب التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية**، تحقيق صادق محمود الجميلي، نشر مجلة المورد، العدد04، المجلد 12، الدار الوطنية لِلنشر والتوزيع والإعلان، بغداد، العراق، 1983م.

– أبو حمو موسى الثاني: **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، تحقيق وتعليق محمود بوترعة، دار الشيماء لِلنشر والتوزيع، ودار النعمان لِلطباعة والنشر، الجزائر، 2012م.

– الأندلسي علي بن هذيل: **تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس**، تحقيق عارف أحمد عبد الغني و محمود خلف البادي، دار كنان لِلطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا،2010م.

– التنسي محمد بن عبد الله: **مقتطف من نظم الذر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، حققه وعلق عليه محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية لِلكتاب، الجزائر،1985م.

– الرازي محمد بن أبي بكر: **مختار الصحاح**، عني بترتيبه محمود خاطر بك، ط 5، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1916م.

– الفيروز أبادي:**القاموس المحيط**، شركة القدس لِلنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

– الطرطوشي أبو بكر: **سراج الملوك**، حققه وعلق عليه نعمان صالح الصالح، دار العاذرية لِلطباعة والنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، 2005م.

- القلقشندي أحمد بن علي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**،شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988م.

- مؤلف مجهول: **زهر البستان في دولة بني زيان، (السفر الثاني)**، محفوظ في: The John Rylands University Library of Manchester Micro Film of Rylands Arabic، ومسجل تحت رقم : (79) Ms 283 .

- مؤلف مجهول: **زهر البستان في دولة بني زيان، (السفر الثاني)**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة لِلنشر والتوزيع، الجزائر، 2011. ص، 139. وأُنظر: مؤلف مجهول: **السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان**، عناية وتقديم محمد بن أحمد باغلي، ط2، الأصالة لِلنشر والتوزيع، الجزائر،2012م.

- مؤلف مجهول: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور لِلطباعة والوراقة، الرباط، المملكة المغربية، 1972م.

- مقديش محمود، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1988م.

- الناصري أحمد أبو العباس: **كتاب الإستقصاء لأِخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق ولداي المؤلف، جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية،1954م.

- أبودياك صالح محمد:"**ألبسة المسلمين إبان سقوط غرناطة وتأثيرها على الزي المغربي**" ،المجلة العربية لِلْعلوم الإنسانية، عدد26، مجلد7.جامعة الكويت،الكويت،1987م.

- ايرفينج واشنطن: **سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس**، ترجمه وعلق حواشيه إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية لِلْكتاب، الجزائر،1988م.

- البارودي رضوان: **دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية لِلْكتاب، مصر،2007م.

- بن قربة صالح يوسف:" **مقدمة لِدراسة الملابس المغربية–الأندلسية في العصر الإسلامي من خلال المصادر التاريخية والأثرية**"، مجلة التاريخ العربي، العدد الرابع عشر، المملكة المغربية، 2000م.

- بلعربي خالد: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية، (633-681هـ/1235-1282م)، الألمعية لِلنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011م.

- روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15**، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

- درادكة صالح موسى: **بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار شيرين لِلنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1988م.

- سعيدان عمر: **علاقة إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر، دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل**، منشورات سعيدان، سوسة، الجمهورية التونسية،2002م.

- السامرائي عبد الجبار محمود: " تقنية السلاح عند العرب" **مجلة المورد**، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، الدار الوطنية لِلنشر والتوزيع والإعلان ، بغداد، العراق، 1985م.

- شاوش محمد بن رمضان: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995م.

- فيلالي عبد العزيز: **تلمسان في العهد الزياني** ، موفم لِلنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

- العبادي أحمد مختار: **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر،2000م.
- العبادي أحمد مختار: **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر،2000م.
- عبد الجواد رجب إبراهيم: **المعجم العربي لِأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث**، تقديم محمود فهمي حجازي و راجع المادة المغربية عبد الهادي التازي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2002م..
- ماضي إبراهيم: **زي أمراء المماليك في مصر والشام**، الهيئة المصرية العامة لِلكتاب، القاهرة.
- ماير: **الملابس المملوكية**، ترجمة صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة لِلْكتاب، القاهرة، 1972م.
- المنوني محمد: **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2000م.
- نصر ثريا: **موسوعة تاريخ الأزياء الأوروبية ومكملاتها وزخارفها وتطريزها**، عالم الكتب، نشر، توزيع، طباعة. القاهرة، مصر، 2008 م.

- Abou Zakarya Yahia Ibn Khaldoun : **Histoire des Beni Abd El Wad rois de Tlemcen**, traduit en Français et annoté par Alfred Bel ,ENAG éditions, Alger,2011.
- Charles Emmanuel dufourcq : « Les Espagnols et Le Royaume de Tlemcen aux treizième et quatorzième siècles», **in boletin de la real academia de buenas letras de Barcelona**, tome, 20 - 21. ,Barcelona, Espagne. 1948.
- Dozy .R.P.A. : **Dictionnaire Détaillé des Noms des vêtements chez les arabes**. Librairie du Liban,Beirut.s.d.
- dufourcq Charles Emmanuel : « Les relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du XIII siècle ». **Revue D' Histoire et de civilisation du Maghreb**, n°5, faculté des lettres ,Alger,1968.
- El Marqués de Guad-el-jelu : **Album De LA Infanteria Espanola**, imprenta y litografia militar del atlas .Madrid ,1861.
-François Buttin : « **Du Costume militaire au moyen âge et pendant la renaissance**», in cahiers de civilisation médiévale, volume 15,n°15-60, France,1972.
-Gerry Ebleton: **Medieval Military costume**, published by Crwood press, England ,2000.
- Laure Barthet : **Guide des costumes combattants méridionaux** (**Toulouse**, **Catalane** ,**Aragon**) ,le comité Muret, Toulouse, France,2011.
- Marchesi José : **Album De LA Caballeria Espanola** , desde sus primitivos tiempos hasta eldia / por el conde de clonard ; publicado por la direccion general del arma , imprenta y litografia militar del atlas.Madrid ,1861.

- Mas-Latri :**Relations et commerce de L'Afrique septentrionale ou Maghreb avec Les nations chrétiennes au moyen âge** ,Librairie de Firmin-Didot et C.imprimeurs de L'institut, Paris,1886.
- Michèle Beaulieu : **Le costume Antique et médiéval**, collection que sais je n°501, presses universitaires de France,1951.
- Ralph Payne Gallwey : **The Book of the Crossbow**, Dover publications, INC , New York.1995.
- Robert Brun : « Notes sur le commerce des armes à Avignon au XIV Siècle » , **In Bibliothèque de l'école des chartes**, tome 109, livraison2, France, 1951.

الحفاظ على التّراث المعماريّ في الجزائر ودوره في تحقيق التّنمية الاِقتصاديّة المستدامة

الدّكتور التّجاني مياطه

جامعة الشّهيد: حمه لخضر – الوادي

tedjani-mayata@univ-eloued.dz

الحفاظ على التراث المعماري في الجزائر ودوره في تحقيق التنمية الإقتصادية المستدامة

مقدمة

نظرا لأهمية المحافظة على المناطق التراثية لما تمثله هذه المناطق من ثروة وطنية وما تحمله من قيمة تاريخية وثقافية واجتماعية واقتصادية ومع التوجه العام لصناعة السياحة وما تحققه هذه الثروة الأثرية ومن مردود اقتصادي أصبحت هناك ضرورة لايجاد توازن بين حماية التراث المعماري والتنمية الاقتصادية وذلك بتوظيفيه كموارد سياحية.

وعليه لا بد من تكوين خلفية نظرية عن موضوع التراث المعماري بشكل عام وتحديد مفاهيمه، وأنواعه ومستوياته ومشاكل المحافظة علية والسياسات والأساليب المنهجية المتبعة في تأمينه وصيانته وترميمه[1].

ولتوظيف حقيقي للتراث المعماري في التنمية الاقتصادية الوطنية كان من العناية والرعاية الدائمة في تحديد التخطيط السياحي لأنه ضرورة ملزمة لمواكبة الحضارة ومكتسبات ومستجداتها، لتكون انسجاما رصينا مع قضايا الانفتاح بين الشعوب والتواصل الاجتماعي الفعلي.

وليس لأمة أن تضمن لنفسها البقاء مالم تكن مؤهلة لتطوير مناخاتها الثقافية والسياحية والاقتصادية وتقبل الآخر، بما تمثله من قيم متنوعة ومعان إنسانية واجتماعية متمايزة[2].

وليس لمجتمعنا اليوم أن يضمن لذاته التطور مالم يكن قادرا على قبول التحولات الإيجابية التي تنتجها العلوم والصناعات الحضارية.

وليس ثمة نجاح أو ديمومة لأي مؤسسة أو مشروع إنمائي سياحي اقتصادي إذا لم يكن قائما على أسس تنظيمية واعية. وانطلاقا من كل هذا كان توجهنا لدراسة سبل التخطيط الحقيقي لتوظيف التراث المعماري كمورد اقتصادي دائم، وذلك بتبيان أهميته وتوضيح ركائزه واستشراف آفاق السياحة المستدامة[3].

1- أحمد عواد، **الإستدامة العمرانية للمناطق التاريخية القديمة**، جامعة بنها، جمهورية مصر، 2007، ص 21.

2- محمد شكري، **تنظيم أدوار المشاركين في مشروعات الحفاظ على المباني والمناطق الأثرية**، المؤتمر الدولي للمدن الأثرية، الأقصر، مصر، 2006، ص 12.

3-أحمد عواد، المرجع السابق، ص 23.

1- أساليب الحفاظ على التراث العمراني:

تكمن أهمية التراث في أنه يمثل الجذور الحضارية لِلأمة وكما أنه يعبر عن هويتها وإنتمائها الثقافي وما قدمته من إسهامات في تطور الحضارات الإنسانية جمعاء ويعتبر التراث العمراني أكبر الشواهد على حضارات وثقافات الشعوب ويعد رمزا لِتطورها عبر التاريخ بالإضافة إلى أنه موروث اِجتماعي وتراث حضاري فلا بد من الحفاظ عليه وتجديده والإضافة إليه لِتوريثه لِلأجيال القادمة ولهذا فإنّ المحافظة على التراث العمراني لا تعد ذات أبعاد عاطفية أو رمزية فقط لكنها تضمن بصورة واضحة اِستمرارية الأمة وهويتها[1].

كما أن المحافظة على التراث العمراني لا تعني تقليد الماضي أو النقل الصريح لِعمارته أو تبسيط عناصره بطريقة أو بأخرى إلا أنه في الواقع تأصيل لِروحه وفلسفته وهذا ما يجعل من الضروري أن تكون دراسة معمقة لِعناصر ومفردات الصورة الخارجية لِلمباني التقليدية القديمة وبصورة أكثر على المتطلبات الوظيفية والإنسانية والاِجتماعية.

2 – تعريف التراث العمراني:

وهو كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومبانٍ وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية ، ويتم تحديد هذا التراث على ثلاثةِ مستويات:

المستوى الأول: ونعني به المباني التراثية ذات الأهمية التاريخية والفنية والعلمية والاِجتماعية بما فيها الزخارف والأثاث المرتبط بها وببيئتها.

المستوى الثاني: وتشمل المدن والقرى ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية بكل مكوناتها من نسيج عمراني وساحات عامة وطرق وبنى تحتية وغيرها[2].

المستوى الثالث: ويقصد به مواقع التراث العمراني والتي تشمل المباني المرتبطة ببيئة طبيعية متميزة ومن إبداعات الإنسان.

3 - **أسباب تدهور التراث العمراني:** هناك العديد من العوامل التي أدت إلى تدهور مناطق التراث العمراني، وهي كما يلي:

1- أحمد عواد، ص 24.

2- نفسه، ص 25.

– العوامل الطبيعية:

هي عديدة ومتعددة حيث تؤدي إلى تدهور التراث العمراني ونوجزها فيما يلي:

– المياه الجوفية:

قد يحدث اِرتفاع منسوب المياه الجوفية في مناطق التراث العمراني نتيجة زيادة حجم الاِستهلاك لِشبكة المياه والصرف الصحي وهو ما يؤثر سلبا على أساسات المباني وبالتالي تحدث مشاكل في الأساسات مايحدث نزولا في أرضية المبنى[1].

– المناخ:

يمكن أن تؤثر درجات الحرارة والرطوبة على المواد العضوية المستخدمة في المباني مثل الأخشاب والمنسوجات:

– الكوارث الطبيعية:

تتسبب الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والفيضانات والسيول في أضرار بالغة وفورية لِلمباني مما قد يؤدي الى اِنهيار بعضها وإحداث تلف في البعض الآخر.

– العوامل الاِجتماعية:

غياب الوعي الثقافي لَدى سكان مناطق التراث الأهمية التراثية أو التاريخية أو الجمالية لِلمبنى مما ينتج عنه سوء الاِستخدام لِلمبنى وهو ما يؤدي إلى إحداث تلف به[2].

غياب الإحساس بالاِنتماء الذي يساعد وجوده على زيادة الاِهتمام بالمنطقة والتعاون مع برامج الحفاظ والصيانة وتشجيعها، و كذلك نمو السكان المتزايد على مناطق التراث العمراني .

– عوامل اِقتصادية:

إهمال الصيانة الدورية اللازمة لِلحفاظ على المباني التراثية بالإضافة الى عدم قدرة السكان على تحمل نفقات الصيانة الكبيرة وذلك نتيجة لاِنخفاض المستوى الاِقتصادي[3].

هدم المباني التراثية نتيجة القيمة العقارية المرتفعة في المناطق التراثية .

1- محمد خير الدين الرفاعي، **الحفاظ على التراث العمراني في المدن العربية التاريخية واِستثمارها في إطار السياحة الثقافية**، جامعة آل سعود، الرياض، 2003، ص 44.

2- محمد شكري، المرجع السابق، ص 14.

3- عماد الصالح، **السياسات التنظيمية لِلتعامل مع التراث العمراني**، كلية الهندسة، جامعة حلب، سوريا، 2002، ص 122.

– عوامل عمرانية:

حدوث أضرار نتيجة سوء الإستخدام وإعادة الإستخدام غير الملائم لِلمبنى مما يؤثر على عناصره وخصوصا الداخلية منها ويعرضها لِتلف وكذلك زحف الأنشطة والإستعمالات المتعارضة.

إجراء أعمال الصيانة بشكل غير مدروس مثل إعادة تشطيب الواجهات بألوان وطرق تطمس ملامحها أو تشوهها لِعدم ملائمتها لِطابع المبنى .

التعدي على الطابع المعماري بتغيير شخصية المبنى بالتعديلات أو الإضافات سواء الأفقية أو الراسية أو كليهما معا أو بالتدخل بالحذف لِبعض الأجزاء أو تعديل أخرى.

إدخال بعض التعديلات بشكل مشوه (تدفئة وتكييف وإنذار الحرائق) دون مراعاة جماليات المبنى وما يتبع ذلك من أعمال تكسير في الحوائط وأيضا وضع الإعلانات الضوئية أو الورقية[1] .

وجود ورشات مجاورة أو داخل المباني التراثية ينتج عنها هزات مستمرة تؤثر فيْ سلامة المبنى وكذلك الأتربة والغازات الناتجة عن نشاط هذه الورشات والتي تتفاعل مع الأسطح المعرضة لها .

الإهتزازات الناتجة عن المرور الآلي الكثيف بمختلف أنواعها وأحجامها يؤثر بالسلب فيْ المناطق التراثية.

– عوامل إدارية:

الحفاظ على المناطق التاريخية لم يكن ضمن أولويات العمل التخطيطي حتى وقت قريب وهذا أدى الى تدهور أغلب المناطق التاريخية[2].

تعدد الجهات المسؤولة عن الحفاظ على المناطق التاريخية وغياب التنسيق بينها.

سياسات الحفاظ التي تتعامل مع المباني التراثية كعناصر منفصلة عن البيئة العمرانية والإجتماعية المحيطة بها مما يؤدي إلى ظهور العديد من المشكلات.

4– مفهوم الحفاظ المتعلق بالتراث العمراني:

وهو المفهوم الذي يتناول عمليات الحفاظ التي تتم لِلمباني التاريخية أو المناطق ذات القيمة الأثرية وعلى ما تحتويه من مبان ذات أهمية أو منشآت معينة أو بيئة عمرانية مميزة أو نسيج عمراني أو تخطيط مميز وقد يشمل الحفاظ على النواحي الإجتماعية والإقتصادية والثقافية كما يشمل أيضا الصورة البصرية.

1- نفسه، ص 122.

2-محمد خير الدين الرفاعي، المرجع السابق، ص 45.

5- أهمية الحفاظ على التراث العمراني:

التراث العمراني لا يعني المعالم والمواقع الأثرية والمدن التاريخية فقط بل يشمل كافة العناصر الأخرى المكونة له في مجالات العلوم والأدب والفنون والحرف التقليدية وكذلك القيم الاِجتماعية والعادات والتقاليد والأنشطة والاِقتصادية وتظهر أهمية التراث العمراني في الجوانب التالية[1]:

كمورد سياحي واِقتصادي .

كأساس لِتنمية المجتمع المحلي.

كأساس لِلمحافظة على الثقافة المحلية والهوية العمرانية.

6- مستويات الحفاظ على التراث العمراني:

6-1- الحفاظ على المستوى الدولي:

ويتضمن الحفاظ على نماذج من التراث العمراني كمثال على التطور الإنساني عامة وعادة ما تشارك فيه الهيئات العالمية مثل اليونسكو.

6-2- الحفاظ على المستوى الوطني:

ويتم التخطيط له على مستوى الدولة ويتضمن مستويات الحفاظ السابقة ويتكامل مع الحفاظ على مناطق تراثية ومعالم عمرانية.

6-3- الحفاظ على منطقة تراثية كاملة:

في حالة وجود منطقة كاملة تمثل تراثا عمرانيا ويشمل ذلك المباني والممرات التراثية.

6-4- الحفاظ على مجموعة من المباني:

في حالة وجود مجموعة من المباني التراثية المتجاورة يتم الحفاظ عليها كمجموعة كاملة وتظهر القيمة التراثية لِلمجموعة أهمية كل وحدة منفصلة بجانب إظهار أهمية المجموعة.

6-5- **الحفاظ على المبنى الواحد:** مثل عمليات الترميم والتجديد لِلمباني التراثية وتحويلها إلى متاحف أو مزارات سياحية[2].

1- عماد الصالح، المرجع السابق، ص 122.

2- نفسه، ص 122.

6-6- الحفاظ على العناصر التراثية: وهو عادة ما يتم من خلال المتاحف لِلحفاظ على القطع والعناصر الأثرية بعد ترميمها ومعالجتها بأسلوب علمي يضمن بقاءها على الوضع الذي وجدت عيه وسلامتها من التلف.

7- مبادئ الحفاظ على التراث العمراني:

هناك العديد من المبادئ التي يجب مراعاتها في عملية الحفاظ على التراث العمراني والتي تساعد في إنجاح المحافظة ووصولها إلى النتائج المرجوة وإستمراريتها وهي تتمثل في الركائز التالية:

7-1- المشاركة المجتمعية:

تعتبر مشاركة المجتمع من أهم المبادئ في عمليات الحفاظ على التراث العمراني وذلك لِلأسباب التالية:

إسهامها الفاعِل والمؤثر في توعية أفراد المجتمع بأهمية الحفاظ على التراث العمراني وفوائده.

دورها في جعل عملية الحفاظ على التراث العمراني والمواقع التي تتم المحافظة عليها جزءًا من حياة الناس مما يسهل عملية إستمراريتها وصيانتها وعدم تخريبها والشعور بأنها ملك لهم وليست مشاريع دخيلة.

تساهم المشاركة المجتمعية في معرفة حاجات الناس الفعلية في مواقع الحفاظ على التراث العمراني ومطالبهم ومحاولة تلبيتها من خلال مشاريع الحفاظ[1].

7-2- الأصالة:

من المعروف أنه عند القيام بعمليات الحفاظ على المباني أو المواقع الموروثة فإن عملية التدخل هذه تفقد المبنى أو المكان جزءا من أصالته ويختلف مقدار الأصالة المفقودة بِإختلاف سياسة الحفاظ والطريقة المتبعة ومن الضروري والهام المحافظة على أصالة المبنى وعدم تشويهه، والهدف من حماية وترميم المعالم المعمارية هو التعامل معها كأدلة تاريخية وليس كأعمال فنية فقط والمحافظة على الأصالة في البناء ذيْ الخصوصية تكون بِالإلتزام بما يلي[2]:

المحافظة على القدر الأكبر من المواد الأصلية المستخدمة في مواد البناء.

المحافظة على الإنسجام بين القديم والحديث.

مراعاة أصالة التقنيات والأنماط المختلفة في المبنى.

1- محمد خير الدين الرفاعي، المرجع السابق،ص 46.

2- نفسه، ص 47.

عدم تخريب المبنى بإستخدامه لأغراض جديدة تضر بمكانته الإجتماعية والثقافية أو التاريخية أو أغراض بعيدة كليا عن إستخدامه الأصلي وعن إمكاناته.

7-3- قابلية التطوير:

تهدف قابلية التطوير إلى ترك المجال مفتوحا أمام التقنيات المستقبلية والتي قد تكون أقل ضررا عن المباني والمواقع التراثية وأكثر محافظة على أصالتها وبهدف ترك المجال مفتوحا أمام عمليات تقييم لأعمال الحفاظ المنجزة وإمكان تصحيح الأخطاء وإجراء التعديلات مستقبلا والتي تساعد على إستمرار مواكبة المواقع المرممة للعصر واستخداماته وكذا مواكبته لنظريات الحفاظ المستجدة كان لا بد من تطوير مبدأ قابلية التطوير في عمليات الحفاظ سواء في المواد أو في الإجراءات المتعلقة بالإزالة أو الإضافة[1].

7-4- الديمومة:

وهي مبدأ أساسي في عمليات الحفاظ على التراث العمراني من أجل ضمان إستمرارية المواقع المحافظ عليها وتطويرها ولضمان تغطيتها من تكاليف صيانتها المستقبلية وعدم بقائها معتمدة على التدخل الخارجي مع تشجيع عمليات الحفاظ الأخرى ويتم تحقيق الديمومة من خلال ما يلي:

- تشجيع الطاقات البشرية وايجاد مصادر مدرة للدخل عن طريق إستخدام المواقع التي يتم الحفاظ عليها في تنمية المجتمع إقتصاديا، وإقامة المشاريع الصغيرة وتوفير أماكن للإنتاج والعرض والتسويق وتشجيع القطاع الخاص بالإضافة إلى تشجيع مشاريع التنمية البشرية كالمكتبات ومواقع التواصل الشبكة المعلوماتية.

- زيادة الوعي المجتمعي بأهمية التراث الثقافي ونشر الأفكار المتعلقة به من أجل تحقيق إستمراريتها وديمومتها.

- إعتماد برنامج تشغيل كامل من حيث إختيارُ الوظيفةُ الملائمةُ التي تلبي حاجات المجتمع والنابعة من إختياره والتي تنسجم كذلك و إمكانات المكان[2].

1- إيهاب فاروق راشد، **التنمية السياحية للمناطق الصحراوية مدخل للتوافق والإستدامة**، أكاديمية المعادي الحديثة، القاهرة، 2001، ص 78.

2- نسرين رفيق اللحام، **التخطيط السياحي للمناطق الأثرية بإستخدام تقنية تقييم الأثار البيئية**، دار النيل للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 2007، ص 105.

– إعتماد إستراتيجية صيانة واضحة عن طريق إختيار مواد تمتاز بالديمومة وقدرتها على مقاومة مختلف العوامل وإعتماد جزء من دخل مشاريع الحفاظ على التراث العمراني لأغراض الصيانة الدائمة لهذه المشاريع.

مما سبق يتضح أن عملية الحفاظ على التراث العمراني هي المشاركة المجتمعية والتي يتم تنظيمها من خلال مؤسسات المجتمع المدني وهي تعتبر من أهم مبادئ الحفاظ بالإضافة إلى أن إستغلال الطاقات البشرية وزيادة الوعي لَدى المجتمع هما أساس الإستدامة والتي تعتبر من أهم مبادئ عملية الحفاظ[1].

8– سياسة الحفاظ على التراث المعماري:

يتم التعامل التراث العمراني من خلال مجموعة من السياسات طبقا لِظروف وطبيعة المنطقة أو المباني المراد الحفاظ عليها وتنقسم هذه السياسات عدة تقسيمات وتصنيفات، وهي كالآتي:

8–1– سياسة الحماية:

ويقصد بها حماية المباني من الناحية الإنشائية والبصرية بالإضافة إلى تحديد معايير وشروط ضمان صيانة هذه المباني في إطارها العمراني وهدف هذه السياسة منع المباني الأثرية العمرانية من التدهور عن طريق التحكم في عمليات الترميم والتجديد والصيانة الدائمة لِلمباني وذلك بحمايتها من أي مؤثرات خارجية بيئية أو عمرانية قد تؤثر سلبا فيها وفيْ محيطها العمراني[2].

8–2– سياسة الترميم والتجديد:

تتعامل هذه السياسة مع حالات فردية من المباني الواقعة داخل المنطقة التاريخية وليس مع الإطار العمراني والإجتماعي لها وهي تهتم بالقيمة الثقافية لِلأثر وليس بقيمته الوظيفية والإقتصادية وتهدف هذه السياسة إلى إعادة الأصل لِلمباني ذات الطابع المميز التاريخي أو الأثري وذلك عن طريق أعمال الترميم الإنشائية وهنالك أعمال التشطيب الداخلي والخارجي لِلواجهات كما تشمل هذه السياسة أعمال الصيانة المطلوبة لِلمحافظة الدائمة على الأثر في حالته الأصلية وبذلك فإن هذا الإتجاه يركز تأكيد النواحي الروحية والرمزية لِلمباني[3] وإعتبارها قيمة تراثية تعكس العصر الذي شيدت فيه.

1– نفسه، 106.

2– نسرين رفيق اللحام، ص 107 .

3– نفسه.

8-3- سياسة التدعيم:

ويقصد بها تقوية وتدعيم العناصر الإنشائية والمعمارية في المبنى أو زيادة قدرة المواد الأصلية المستعملة في البناء على التماسك بإستخدام مواد من المواد اللاصقة[1].

8-4- سياسة إعادة البناء:

يتضمن هذا الأسلوب إعادة بناء المباني القديمة على مثل الحالة التي كانت عليها في الماضي ويشترط أن تتوافر كل المعلومات الموثقة والمفصلة عن تاريخ المبنى في الحقبة الزمنية الأصلية التي بني فيها وكذلك معلومات عن نوعية مواد البناء المستخدمة في تشييده[2].

8-5- سياسة إعادة الإستعمال والتوظيف الجديد:

تختلف هذه السياسة عن السياسات السابقة بأنها تهتم بالقيمة الوظيفية والإقتصادية لِلمباني التاريخية لِلحفاظ على قيمتها التاريخية والمعمارية والعلمية وتختص هذه السياسة بإعادة توظيف المباني التاريخية في إستعمالات جديدة[3] تلائم التطور وفي الوقت نفْسِهِ تحافظ على الأثر تضمن إستمرارية صيانته والمحافظة عليه بصورة عملية ولِذلك فإن إختيار الوظيفة والإستعمال الجديد لِلمباني الأثرية يجب أن يتم بعناية فائقة بما يحدث أقل تغيير ممكن في التوزيع الداخلي لِلفراغات ولا يحدث أي تغيير في الواجهات الخارجية.

9- التنمية الإقتصادية من خلال الإستغلال الأمثل لِلتراث المعماري:

تعتبر السياحة من أكثر الصناعات نمواً في العالم، فقد أصبحت اليوم من أهم القطاعات في التجارة الدولية، كما أن السياحة من منظور إقتصادي هي قطاع إنتاجي يُؤَدِّيْ دوراً مهماً في زيادة الدخل القومي وتحسين ميزان المدفوعات، ومصدراً لِلعملات الصعبة، وفرصة لِتشغيل الأيدي العاملة، وهدفاً لتحقيق برامج التنمية.

1-عماد الصالح، المرجع السابق، ص 122.

2-نسرين رفيق اللحام، المرجع السابق، 107.

3- نفسه، ص 107.

ومن منظور اِجتماعي وحضاري، فإن السياحة هي حركة ديناميكية ترتبط بالجوانب الثقافية والحضارية لِلإنسان؛ بمعنى أنها تحمل رسالة حضارية وتعتبر جسرا لِلتواصل بين الثقافات والمعارف الإنسانية لِلأمم والشعوب،ومحصلة طبيعية لِتطور المجتمعات السياحية واِرتفاع مستوى معيشة الفرد.

وعلى الصعيد الثقافي تعتبر السياحة عاملاً جاذباً لِلسياح وإشباع رغباتهم من حيث زيارة الأماكن الأثرية المختلفة والتعرف على مكونات التراث الثقافي، بالإضافة إلى زيارة المجتمعات المحلية لِلتعرف على عاداتها وتقاليدها.

ولِرفع المستوى الاِقتصادي الوطني لا بد من التقيد بجميع مكونات السياحة التي تتداخل مع العديد من المجالات التي تؤخذ بعين الاِعتبار في عملية التخطيط السياحي الناجح، وهي كما يلي:

– عوامل وعناصر جذب الزوار:

تتضمن العناصر الأثرية مثل المواقع التاريخية والحضارية والأثرية والدينية ومدن الملاهي والألعاب، والدوافع البشرية مثل حب الاِطلاع والمعرفة العلمية والثقافية والتماس الحضاري.

– مرافق وخدمات الإيواء والضيافة:

مثل الفنادق والنزل وبيوت الضيافة والمطاعم والاِستراحات.

– خدمات مختلفة:

مثل مراكز المعلومات السياحية ووكالات السياحة والسفر، ومراكز صناعة وبيع الحرف اليدوية والبنوك والمراكز الطبية والبريد والشرطة والمرشدين السياحيين.

– خدمات النقل:

تشمل وسائل النقل ، على اِختلاف أنواعها إلى المنطقة السياحية ذات الطابع الثقافي والحضاري.

– خدمات البنية التحتية:

تشمل توفير المياه الصالحة لِلشرب والطاقة الكهربائية والتخلص من المياه الملوثة والفضلات الصلبة، وتوفير شبكة من الطرق والاِتصالات.

– عناصر مؤسسية:

تتضمن خطط التسويق وبرامج الترويج لِلسياحة، مثل سن التشريعات والقوانين والهياكل التنظيمية العامة، ودوافع جذب الإستثمار وبرامج تعليم وتدريب الموظفين في القطاع السياحي[1].

علاقات صناعة السياحة بالتراث المعماري والمجتمع والإقتصاد:

تعتمد مواقع السياحة الأكثر نجاحاً في الوقت الحاضر على المحيط المادي النظيف، والبيئات المحمية والأنماط الثقافية المميزة لِلمجتمعات المحلية. أما المناطق التي لا تقدم هذه المميزات فتعاني تناقصا في الأعداد ونوعية السياح، وهو ما يؤدي بالتالي إلى تناقص الفوائد الإقتصادية لِلمجتمعات المحلية .

ومن الجائز أن تكون السياحة عاملاً بارزاً في حماية التراث المعماري عندما يتم تكييفها مع المقومات الأثرية المحلية، والمجتمع المحلي، وذلك من خلال التخطيط والإدارة السليمة. ويتوافر هذا عند وجود مخلفات أثرية ذات جمال هندسي وعناصر معمارية وتقليدية مثيرة لِلإهتمام، مما يساعد على جذب أكبر عدد من السياح.

ويتساوى كل من التخطيط والتنمية السياحية في الأهمية من أجل حماية التراث الثقافي لمنطقة ما. وتشكل المناطق الأثرية والتاريخية، وتصاميم العمارة المميزة وأساليب الرقص الشعبي، والموسيقي، والدراما والفنون والحرف التقليدية والملابس الشعبية والعادات والتقاليد وثقافة وتراث المنطقة عوامل تجذب الزوار، خاصة إذا كانت على شكل محمية يرتادها السياح بإنتظام، فتتعزز مكانتها وكل ذلك يرجع لِلطريقة التي يتم بها تنمية السياحة الثقافية وإدارتها. ولِلسياحة الثقافية عدة مجالات، وهي:

– سياحة الآثار والنقوش والمغارات الأثرية ، وتحليل الصخور الجيولوجية والبركانية .

– سياحة المتاحف والمناطق التاريخية والإطلاع على العادات والتقاليد .

– سياحة البحث عن المخطوطات والتراث العلمي والمعارف والعلوم والثقافة .

– سياحة الحرف التقليدية والصناعات اليدوية بما فيها من إبداع .. وتذكارات من أعمال خشبية وجلدية وتطريز ومنسوجات وتحف .

– سياحة العمارة الهندسية والعناصر الزخرفية والتصاميم والنقوش والجماليات المعمارية.

1– ريهام كامل الخضراوي، **الحفاظ على التراث العمراني لِتحقيق تنمية سياحية مستدامة**، كلية التخطيط الإقليمي والعمراني، جامعة القاهرة، 2012، ص–ص 18–19.

– سياحة اللباس التقليدي والعادات والتقاليد والأكلات الشعبية[1] .

وتبرز الأنواع السابقة لِلسياحة الثقافية سواء المرتبطة بالتراث الثقافي عامة أو التراث المعماري وفق مفهوم تزايد اِنتقال الإنسان في إطار محيطه الثقافي والتراثي ، لِلإستمتاع وإشباع رغبته لما تحويه هذه السياحة من مقومات ثقافية وتراثية ، يفخر بها الإنسان عبر الأجيال السابقة ويتعلم منها مستقبلاً ، وفي الوقت ذاتِهِ لِيستمتع بجماليات الحياة التقليدية البسيطة والقديمة والتي تحمل رسالة حضارية بقيمها المجتمعية بعيدا عن الحياة المادية وأمراضها الاِجتماعية .

9 – 2 – مفهوم السياحة الثقافية والتنمية الاِقتصادية المستدامة:

إن السياحة الثقافية هي عملية تعلم وثقافة وتربية بمكونات حضارية، وبذلك فهي وسيلة لِتعريف السياح بالتراث المعماري والاِنخراط به، أما السياحة المستدامة فهي الاِستغلال الأمثل لِلمواقع السياحية من حيث دخول السياح بأعداد متوازنة لِلمواقع السياحية على أن يكونوا على علم مسبق ومعرفة بأهمية المناطق السياحية والتعامل معها بشكل ودي، وذلك لِلحيلولة دون وقوع أضرار على الطرفين.

و تلبي السياحة المستدامة اِحتياجات السياح مثلما تعمل على الحفاظ على المناطق السياحية وزيادة فرص العمل لِلمجتمع المحلي. وهي تعمل على إدارة كل الموارد المتاحة سواء كانت اِقتصادية أو اِجتماعية أو جمالية أو طبيعية في التعامل مع المعطيات التراثية والثقافية، بالإضافة إلى ضرورة المحافظة على التوازن الثقافي والتنوع التراثي في ظل الحداثة والمعاصرة في زمن العولمة الثقافية.

أما السياحة المستدامة هي نقطة التلاقي ما بين اِحتياجات الزوار والمنطقة المضيفة لهم، مما يؤدي إلى حماية ودعم فرص التطوير المستقبلي، بحيث يتم إدارة جميع المصادر بطريقة توفر الاِحتياجات الاِقتصادية والاِجتماعية والروحية، ولكنها في الوقت ذاته تحافظ على الواقع الحضاري والنمط الثقافي والحضاري ذو الخصوصية الضرورية وجميع مستلزمات الحياة وأنظمتها.

ولاِستدامة السياحة،كما هو الحال بالنسبة لاِستدامة الصناعات الأخرى، هنالك ثلاثةُ مظاهرَ متداخلةٍ، وهيَ:

– الاِستدامة الاِقتصادية.

– الاِستدامة الاِجتماعية والثقافية (التراث الثقافي بكل مكوناته).

1–ريهام كامل الخضراوي، المرجع السابق، ص 21.

– الإستدامة البيئية.

الإستدامة تشتمل بالضرورة على الإستمرارية، وعليه فإن السياحة المستدامة تتضمن الإستخدام الأمثل لِلموارد الثقافية بما في ذلك مصادر التنوع التراثي والحضاري وتخفيف آثار السياحة على الثقافة المحلية لِلمجتمع، وتعظيم الفوائد من حماية التراث المعماري داخل المجتمعات المحلية. وهي كذلك تحدد الهيكل التنظيمي المطلوب لِلوصول إلى هذه الأهداف.

10– سبل دعم الإقتصاد الوطني عن طريق السياحة الثقافية :

يتمحور الدعم الإقتصادي لِلمناطق الأثرية عن طريق السياحة الثقافية حول عدد من العوامل منها : إزالة المعوقات التي تعتري الفعالية السياحية لهذه المناطق ، وإبراز المقومات الثقافية المادية وعوامل الجذب السياحي ، وتكامل المنتج السياحي بحيث يكون متناسبا مع المواصفات المطلوبة ، بجانب تناسب أسعار المرافق السياحية ومنافستها لِلمرافق الأخرى داخلياً وخارجياً .

وتحقيق هذا الهدف يتطلب مراعاة المفاهيم السياحية الثقافية المتطورة ، وأن يتناسب الهدف مع الموارد والإمكانات السياحية المتاحة ، وتوافر الخبرات السياحية المتخصصة . ويمكن تصور أهم وسائل دعم إقتصاد المناطق الأثرية عن طريق السياحة الثقافية في الآتي :

– الإهتمام بالبعد الثقافي كمفهوم محوري لِدعم إقتصاد المناطق التراثية ، والتركيز على ديمومة هذا الجانب .

– حصر وإحصاء وتوثيق الموارد والمقومات السياحية بمناطق الوطن الجزائري ، في إطار قاعدة بينات معلوماتية وترويجها محلياً وخارجياً .

– تشجيع السياحة الثقافية كأساس لِتطوير صناعة السياحة بالجزائر ، خاصة وأنها تمثل جزءاً مهماً من السياحة بمفهومها الشامل ، وتقلل من التسرب السياحي المتمثل في الإنفاق السياحي المباشر لِلخارج .

– الإهتمام بتوفير وتطوير مقومات السياحة الراقية التي تتمثل في البنية الأساسية من طرق وماء وكهرباء وصرف صحي في مناطق الجذب السياحي .

– الإهتمام بإنجاز التجهيزات الضرورية والمرافق الكفيلة بضمان سلامة الممتلكات الثقافية وجمالية المناطق السياحية ومحيطها .

– وضع دليل سياحي كامل وخرائط شاملة مناخية وبيولوجية وحيوانية ونباتية ، وخرائط لأماكن الآثار والمتاحف يسير على هديها ويسترشد بها السائح الجزائري والأجنبي على حد سواء.

تشجيع وتحفيز القطاع الخاص لِلاستثمار في مشاريع السياحة الثقافية ، وإتاحة الفرص الإستثمارية أمامه لِلإستثمار في هذا المجال .

– تنويع المنتج السياحي وتوجيه الإستثمارات السياحية نحو المناطق الجبلية ، والساحلية ، والصحراوية ، والمناطق الريفية في الوطن .

– التركيز على توعية المواطنين بمختلف مناطق الوطن ، بأهمية السياحة الثقافية وتوضيح حجم الفوائد من وراء هذا النشاط .

– ضرورة دعم الحرف اليدوية السياحية والتذكارية بما يخدم الثقافة السياحية وينشط الموارد المالية لِسكان مختلف مناطق البلاد .

– التوسع في المحميات الثقافية ومساحاتها ، والتشديد في حمايتها ، خاصة النادرة والمهددة بالإندثار، والإهتمام بإنشاء المشاريع السياحية حولها بما يخدم سكان المنطقة وزيادة مواردهم المالية .

– الإهتمام بالتعليم السياحي بإنشاء الكليات والمعاهد الخاصة بالسياحة الثقافية في مناطق الجذب السياحي .

– التركيز على تحقيق تكافؤ الفرص بين مناطق الوطن الجزائي في إنشاء المشاريع السياحية الثقافية[1].

ومن هنا يمكن أن تساعد السياحة الثقافية على التنمية الإقتصادية بالجزائر بإعتبارها مصدرا لِلدخل بالنسبة لِلسكان المحليين في مناطق الجذب السياحي، مما يقلل فجوة الأجور بين الأقاليم المختلفة، ويعمل على إرتباط السكان بأرضهم ، حيث يقلل نزوحهم إلى المناطق الحضرية وزيادة فرص العمل للإطاراتِ الوطنية. ويقلل من الآثار الإقتصادية والإجتماعية الناتجة عن هذا النزوح، ويساعد على التنمية المتوازنة بين مختلف مناطق الوطن ، مما يقلل الضغط على الخدمات في المدن الكبيرة في مجالات التعليم والصحة والسكان، فضلاً عن مشكلات البطالة وما يترتب عليها من مشاكل إقتصادية وإجتماعية وأمنية، ومواجهة تساقط أسعار النفط المتكررة من آن إلى آخر[2].

1- ريهام كامل الخضراوي، المرجع السابق، 28.

2- نفسه، ص 29.

11- جهود الدولة الجزائرية في دعم الإقتصاد الوطني من خلال السياحة الثقافية:

ويتجلى ذلك فيما يلي:

- العمل على وضع السياسات الخاصة بالسياحة الثقافية تتكون من مجموعة من الأنظمة والقوانين والتشريعات تضعها وزارة السياحة بالتنسيق والتعاون مع الجهات ذات العلاقة بالنشاط السياحي، وذلك لِتنظيم كامل العمليات السياحية من توقع وتخطيط وإدارة ورقابة وتقييم ومراجعة .

- العمل على خلق توازن بين الأنشطة السياحية والثقافية بما يحقق التنمية المستدامة لمناطق الجذب السياحي .

- تحديد الأماكن السياحية ، والعمل على تشييد ودعم البنى الأساسية ، والخدمات المساندة .

- وضع الخطط والبرامج الكفيلة بإنشاء وتنفيذ مشاريع السياحة الثقافية بحيث تتوافق مع المحافظة على الآثار والتراث الحضاري والثقافي .

- العمل على جذب وتشجيع الإستثمارات في مجال السياحة الثقافية والتراثية ، من خلال تقديم الحوافز والتسهيلات لِلمستثمرين الجزائريين، والأجانب .

- دراسة وتقييم الأثر الإقتصادي لِلمشاريع السياحية حيث تتم الدراسة لِأي مشروع سياحي وتقييم آثاره على الواقع الثقافي الوطني قبل الترخيص لِذلك المشروع ووضع التوصيات المتعلقة بالمحافظة على الهياكل المعمارية ، خاصة بالنسبة لِلمشاريع التي تقام في الأماكن التراثية .

- إنشاء المحميات التراثية والطبيعية ذات الأحكام الخاصة من أجل المحافظة على المواقع التراثية والمناطق الطبيعية في تلك المحميات ، وفتح الفرص لِلمستثمرين الجزائريين لِلاستثمار في هذه المواقع .

- التوعية الثقافية لِكافة شرائح المجتمع من خلال كافة وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة.

خاتمة

إن المردود الإقتصادي الناتج عن السياحة الثقافية بصفة عامة والتراث المعماري بصفة خاصة يعتبر نوعا هاما من الأنشطة الإقتصادية والإستثمارية عالية الربح، فقد أصبحت صناعة رئيسية على نطاق عالمي كما نشير (السياحة الثقافية) على أنها سلاح ذو حدين فلها تأثيرات سلبية وإيجابية في الوقت نفْسِهِ على البيئات العمرانية والإقتصادية والإجتماعية والطبيعة، وبالتالي فلا بد من الدراسة الجيدة لِلموارد والإمكانات الطبيعية والثقافية والبيئية المتاحة مع التخطيط الجيد لإدارة هذه الموارد من خلال التنمية السياحية تضمن الإستغلال الأمثل وتوظيف اليد العاملة المحلية مما يؤدي إلى رفع المستوى المعيشي

لِلمواطنين وبالتالي تحديد عائدي اِقتصادي لِلخزينة العمومية، والعكس صحيح فإن التنمية السياحية التي لا تراعي الإمكانات والموارد المحلية والتي لا يخطط لها بشكل جيد تؤدي إلى تدهور مناطق الاِستقطاب مما يؤثر على المستوى المعيشي لِلأفراد والناتج الاِقتصادي الوطني، ورحم الله أبا العلا المعري حين قال:

مـــررت برسم في (سياث) فراعني به زجل الأحجار تحـــــت المعاول
تنـــاولهـــــا عبر الذراع كأنمـــا رمى الدهر فيما بينهـم حرب وائل
أتتـــــلفها؟! شلت يمينك خلها لمـــــــعتبر أو زائر أو مســـــائل
مـــــــنازل قوم حدثـتنا حديثهم ولم أرى أحـــلى من حديث المنازل

– قائمة المصادر والمراجع:

– الخضراوي ريهام كامل، **الحفاظ على التراث العمراني لِتحقيق تنمية سياحية مستدامة**، كلية التخطيط الإقليمي والعمراني، جامعة القاهرة، 2012م.

– راشد إيهاب فاروق، **التنمية السياحية لِلمناطق الصحراوية مدخل لِلتوافق والاِستدامة**، أكاديمية المعادي الحديثة، القاهرة، 2001م.

– الرفاعي محمد خير الدين، **الحفاظ على التراث العمراني في المدن العربية التاريخية واِستثمارها في إطار السياحة الثقافية**، جامعة آل سعود، الرياض، 2003م.

– شكري محمد ، **تنظيم أدوار المشاركين في مشروعات الحفاظ على المباني والمناطق الأثرية**، المؤتمر الدولي لِلمدن الأثرية، الأقصر، مصر، 2006م.

– الصالح عماد، **السياسات التنظيمية لِلتعامل مع التراث العمراني**، كلية الهندسة، جامعة حلب، سوريا، 2002م.

– عواد أحمد، **الاِستدامة العمرانية لِلمناطق التاريخية القديمة**، جامعة بنها، جمهورية مصر، 2007م.

– اللحام نسرين رفيق ، **التخطيط السياحي لِلمناطق الأثرية بِاستخدام تقنية تقييم الأثار البيئية**، دار النيل لِلنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 2007م.

المعالم التّاريخية الجزائريّة إبان فترة الإِحتلال الفرنسيّ
منطقة الأوراس –نموذجا –

الدّكتورة صاحبي وهيبة
أستاذة محاضرة (أ)
جامعة الحاج لخضر باتنة
sahbi.wahiba@gmail.com

المعالم التاريخية الجزائريّة إبان فترة الاِحتلال الفرنسيّ

–منطقة الأوراس –نموذجا –

نحن نعلم أن للوجود العثماني في الجزائر آثارا جد إيجابية خاصة من ناحية الجانب المعماري الراقي الذي خلفته هذه الحضارة بعد خروجها من الجزائر، وبتعرض الجزائر لِلإستعمار الفرنسي الذي حاول جاهدا بكل الأساليب والآليات ومن أبرزها المخططات العمرانية التي كانت تتنوع من عسكري، واِجتماعي، وثقافي، وبطبيعة الحال كان هدفها الرئيس هو مسح الحضارة الإسلامية وجعلها غربية ذات طابع فرنسي .

ولِكون موضوع المعالم التاريخية الجزائرية والفرنسية واسعا، جاء موضوعنا مركزا على منطقة الأوراس كنموذج لتلك المعالم ، وعليه يتبلور إشكاله في جملة تساؤلات رئيسة تمثلت في الآتي :

– ما الدور الذي أدَّتْهُ هذه المعالم خاصة في الجانب الاِقتصادي والاِجتماعي؟

– هل اِستطاعت فرنسا تشويه المعالم العمرانية الجزائرية؟

– كيف ساهم كلا الطرفين في المجال الاِقتصادي والاِجتماعي؟

ولمعالجة هذا الطرح جاءت دراستنا كالآتي:

1 – المفهوم العام والإطار الجغرافي لمنطقة الأوراس:

ذكر اِسم بلاد الأوراس عند المؤرخين العرب وأطلق على منطقة أو إقليم جغرافي أوسع مما عرف عليه في العهد البيزنطي أو الفرنسي فقد ذكر على لسان "البكري" بِاسم أوراس، ولقي التسمية نَفْسَها عند ياقوت الحمودي في سنة 626هـ، وكذلك عند الإدريسي في منتصف القرن السادس والذي قال: وجبل الأوراس قطعة يقال إنها متصلة من جبل دون المغرب وهو كاللام منحني الأطراف وطوله نحو مشي اِثني عشر يوما. (عبد الرحمان الجيلاني ،1978،ص104)

وأورد بذلك المؤرخ الجزائري عبد الرحمان الجيلاني ثلاثة أسماء لِكلمة الأوراس المتعارف عليها "أوريس" أو "أورايوس" أو "أوروس"وليس عندنا اليوم لِكلمة "أوراس" هذه معنى معروف، والراجح أنها كلمة بربرية لها معناها عند قدماء البربر، يضرب في أعماق التاريخ .

إضافة إلى تعريف الحميري الذي قال: "أوراس هو جبل قريب من باغاية بإفريقية، بينه وبين نقاوس ثلاث مراحل وهو متصل بالسوس". (محمد بن عبد المنعم الحميري ،1975،ص65).

وجبال الأوراس تقع ضمن الإقليم الشرقي بالتل تعرف جبالها بالتداخل والإرتفاع الشديد وكثرة التقطع فيما بينها، ومنطقة الأوراس من أهم مناطق الجنوب القسنطيني بحكم أنها كانت تابعة لمقاطعة قسنطينة في السنوات الأولى من الإستعمار الفرنسي.

لكن هناك إختلاف الآراء حول تاريخ دخول الإستعمار الفرنسي فهناك من يقول بأن المنطقة تم إحتلالها في 1838م، ورأي آخر يقول في 1845م، وهي الفترة نَفْسُها التي قامت فيها الإدارة الفرنسية بإنشاء المكاتب العربية لِتكون حلقة وصل بينها و بين سكان المنطقة. (التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية ،والسياسة، وَالإقتصادية، والإجتماعية الثقافية العسكرية في فترة بين (1959-1962م) المقدم في الملتقى الجهوي لِلولاية الأولى،المنعقد بين 20-21 افريل 1987،باتنة).

2 – الإطار الجغرافي:

بالنسبة لحدود المنطقة فهي تقع في الجانب الشرقي من الجزائر، في شكل مائل من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، حيث يبلغ طوله حوالي 150 كيلومتر من الشرق إلى الغرب وعرضه حوالي 90 كيلومتر من الشمال إلى الجنوب، تحدها شرقا الحدود التونسية وجنوب الولاية السادسة الصحراء ومن الجهة الشمالية الغربية الولاية الثالثة القبائل ومن الشمال الولاية الثانية قسنطينة، أي أنها تمتد من الطريق الوطني الرابط بين بسكرة وباتنة غربا ويضاف لها جبال بلزمة الواقعة غرب المنطقة. (الأشرف مصطفى،2007م ،ص 30)

وقد تم تقديم منطقة الأوراس أو ما يعرف بالولاية الأولى إلى ستِّ مناطق ولكل منطقة ملحقات تضمها، وهي كالتالي:

المنطقة الاولى: باتنة، عين التوتة، سطيف، بريكة.

المنطقة الثانية: أرّيس، عين لقصر، شيليا، كيمل، طامزة.

المنطقة الثالثة: مشونش، بسكرة، بوسعادة، ولاد جلال.

المنطقة الرابعة: عين مليلة، أم البواقي، عين البيضاء، مسكيانة.

3– الجانب الطبيعي لمنطقة الأوراس:

تضم منطقة الأوراس إقليمين طبيعيَين، الإقليم السهلي في الشمال والإقليم الجبلي في الجنوب، وهذه المظاهر التضاريسية التي تضعها المنطقة تنتمي إلى سلسلة جبال الأطلس الصحراوي حيث تتميز بالتعقيد والتنوع ويمكن تقسيمها على النحو الآتي: (مسعود عثماني، 2008 ،ص17).

3-1- المرتفعات :

تعرف بالإنحدار الشديد من الشمال نحو الجنوب وتضم القسم الشرقي لِيمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي في شكل جبال متوازية أعلى قممها جبل شيليا على اِرتفاع يقدر ب:2326 متر إضافة إلى جبل أحمر خدد بوعريف، مرتفعات أرّيس وكذلك تضم القسم الغربي الذي تمتد جباله من الشمال الغربي إلى التخوم الصحراوية ن شبيهة بجبال القسم الشرقي لكنها أصغر منها حجما بها جبل الرفاعة الذي يصل اِرتفاعه الى 2178 متر إضاقة إلى جبل الشلعلع، وأولاد سلطان وأولاد سلام بوطالب.

3-2- الأودِية:

تتسم أودِية الأوراس بالعمق والإنحدار الشديدين إذنْ تستمد ثروتها المائية من مرتفعات جبالها الشمالية من خلال ما تحمله من كميات معتبرة من الأمطار والثلوج، وهذه الأودِية تتجه مجاريها نحو الجنوب الغربي منها واد بلزمة ، وواد القنطرة، وواد الأبيض، ووادي قشطان لكن أغلبها تتميز بمنسوب قليل معرّضة لِلجفاف في كل صيف.

3-3- السهول:

تتميز سهول منطقة الأوراس بإختلافها مناطق صغيرة إذا تتمركز عند حواف الجبال أهمها: سهل بلزمة، وَسهل نقاوس، وَسهل سريانة، وَسهل عين التوتة، وَسهل لوطاية.

4- المناخ:

تتميز منطقة الأوراس بوجود مناخين سائدين بها وهما مختلفان من حيث خصائصها والسبب في ذلك أن المنطقة تتوسط بين المناخ التلي الرطب والمناخ الصحراوي الجاف وتنقسم قسمين، وَهما:

4-1- مناخ شمال الأوراس:

يتميز بالبرودة شتاء أو حرارة في الصيف إضافة إلى قلة التساقط به بإستثناء المناطق الجبلية المرتفعة التي تشهد كميات تساقط معتبرة سواء أمطار و ثلوج.(عبد الحميد زوزو،دس،ص38).

4-2- مناخ جنوب الأوراس:

يتميز بقربه من المناخ الصحراوي إذ تسوده الحرارة و الجفاف اِبتداء من فصل الربيع إلى غاية نهاية فصل الخريف تقريبا، أما من ناحية التساقط فيكاد ينعدم لِكون كمية الأمطار قليلة ونادرة.

5 – التركيبة البشرية لِسكان الأوراس:

ينحدر المجتمع الأوراسي من أصول بربرية إذ يعتبر مزيجا من الأمازيغ والعرب ويعرفون بإسم الشاوية حيث يتكون هذا المجتمع من عدة فئات متباينة فيما يخص المستوى الإجتماعي والمعيشي ولكن رغم ذلك فإن هذا المجتمع تغلب عليه سمة التواضع من خلال ممارسته اليومية ونشاطه في الفلاحة والرعي، وينقسم المجتمع الأوراسي إلى مجموعة قبائل لِكل منها عادات وتقاليد تقوم بها.

5–1– قبائل أولاد عبدي :

تختلف الروايات حول أصل هذه القبائل فهناك من تنسب لِلأصل الغربي الشريف ورأي أخر أنها خليط من البربر والمعمرين الرمان، وتضم عدة أعراش منها بوزينة. (رويب عبد الرحمن،2013 ،ص 50).

5–2– قبائل أولاد داود :

يعرفون التوابة تضم قبيلتهم دواوير وهي اشمول تيغانمين وادي الأبيض ذوي أُصول أمازيغية حياتهم ذات طابع بدوي وترحال.

5–3– قبائل أحمد خدد :

تضم عدة قبائل أو دواوير من أشهرها السراحنة، والشرفة، وهي عربية الأصل مضل أولاد عيد الرحمن وأولاد أيوب وأولاد أزدارة.

5–4– قبائل أولاد غسيرة:

أصولهم أمازيغية يعيشون في أعالي القمم الصخرية و أشهرها أولاد سليمان، وَأولاد الحاج وزاني.

5–5– قبائل الأخضر جلفاوي:

تتمركز في منطقة عين التوتة وتضم القصور سقانة تيلاطو والبريكات.

5–6– قبائل أولاد بوعون:

يوجدون في سهل بلزمة بكثرة.

5–7– قبائل أولاد سلطان:

ينقسمون بين الشمال والجنوب كون قبيلتهم تضمن فرعين، وَهما: أولاد سلطان، و أولاد قبالة.

إضافة على ما تقدم هناك قبائل أخرى تقطن الشمال الغربي لِلأوراس منها: قبائل أولاد شليح حراكتة المعذر أولاد سيدي علي تاحمامت.

هذه التركية السكانية المتنوعة الأعراش والقبائل كلها كانت نتيجة لِلوضعية الجغرافية التي تتميز بها المنطقة حيث تعرضت لِعدة هجرات من جهات مختلفة غربية شمالية شرقية مما ساهم في توسيع وُقعتها الجغرافية.

أما بالنسبة لِنمط المعمار في القرى فهو يختلف في شكل المعماري لِلمسكن إذ تعرف المنازل الأوراسية بالسقوف المسطحة ولا تعلو كثيرا عن الارض ،كما أن جدرانها شبه حمراء بفعل الطين المغطاة به،كما يؤخذ المجتمع الأوْراسي كغيره من المجمعات بموروثه الثقافي العريق وخاصة في المجال الديني لما تحتضنه من زوايا ومعالم دينية تنجم عن أصالة وعراقة شعبها (محمد الصالح أونيسي،2007ص16-17).

5-8 – النظام القبلي بالمجتمع الأوراسي:

حيث تعتبر القبيلة ركيزَةً أساسيةً لِلمجتمع الأوراسي وهذا النظام فرضتْه الظروف الطبيعية المحيطة به فهو سائد من القدم وقائم إلى يومنا حيث نجد أن المجتمع الأوراسي له تعليق كبير بتقاليده وتراثه خاصة مايتعلق بالمقاومة والجهاد ضد أي عدوان خارجي نحوهم. (أبو القاسم سعد الله 1998 ص 363).

نظام الجماعة هو بماثبة سلطة مركزية يضم مجموعة كبار السن يتولون مهمة عرض القرارات والعمل على تنفيذها ويتم اِختيارهم لخبرتهم بالخياة وإصدار القرارات يكون بالمشاورة وهي أقل فاعلية نظرا لِكثرة الترحال والتنقل مما ساهم في صعوبة ثتبيت النظام على المجتمع الأدراسي.

إن الطبيعة الجغرافية لمنطقة الأوراس وتنوع العنصر البشري فيها عوامل كلها ساعدت على اِختلاف التسميات في القرون الماضية و هذا تبعا لِاختلاف اللهجات و اللغات الإغريقية الرومانية.

ومن خلال ما تقدم نجد فيْ منطقة الأوراس العديد من الاِنتفاضات و الثورات وكانت أعظمها ثورة الفاتح نوفمبر 1954م مما دفع الاِستعمار إلى الضغط على الأهالي من كل النواحي والجوانب.

6- المعالم التاريخية الجزائرية:

6 -1- الجانب الاِجتماعي:

المجتمع الأوراسي كغيره من مجتمعات الجزائر له نمط عمراني يميزه عن غيره من الشعوب ولا سيما المغرب الأقصى، وهذا راجع لِقرابة المجال الجغرافي لِشعبين إضافة إلى التاريخ المشترك الوجود العثماني والاِحتلال الفرنسي وعليه نجد البيوت والمساكن تتميز عن غيرها من بيوت الجزائر حيث تبني إما بالطوب أو الطين أو الحجر وتكون بالمناطق الجبلية المرتفعة التي يصعب الوصول إليها، تتميز أيضا بوجود باب واحد في الغالب يوفر الإنارة والتهوية لِلبيت. (عبد الحميد زوزو، مرجع سابق ، ص 399).

وبعد عام 1939م ظهرت عدة منازل في شكل متقدم إذ تميزت بسقفها المغطى بالقرميد، وكل هذه المساكن عرفت ببساطتها وحصانتها إضافة إلى توفيرها لِلأمن و الإِستقرار من خلال حمايتها لِلسكان في الظروف المناخية القاسية.

فمنذ الإِحتلال الفرنسي لِلجزائر، قامت السلطات الفرنسية بالتشجيع على اِتباع سياسة الإِستيطان هادفة من وراء ذلك إلى القضاء على ملكية المجتمع الجزائري فكانت بذلك مركزا ومستقرا لِلأوروبيين والأجانب من كل صوب، حيث وصل عدد المعمرين بعد عامين من الإِحتلال إلى ما يفوق خمسة آلاف شخص ولتسيير شؤونهم وأحوالهم كان من الضروري خلق مراكز وكانت الأولوية لِلمستوطنات والمستشفيات لِتمكين المستوطنين من الإندماج والإِنسجام مع حياة جديدة.

6-2-1- نماذج المعالم التاريخية الجزائرية الأوراسية:

أ – القرى و المداشر:

يتميز المسكن الأوراسي عن مساكن وبيوت الجزائر عامة، إذ في منطقة الأوراس نستطيع تمييز قراها من خلال أشكال ومواقع مساكن شعبها، فنجد الدشرة والمشتة تبنى عامة إما بالطوب أو الحجر أو الطين حيث لا يتجاوز اِرتفاع المسكن عن الأرض مترين، وهذا ما كان معروفاً في منطقة بلزمة والقصر عام 1935م. (Mathéa Gaudry, 1929 p 33)

وبعد عام 1939م ظهرت عدة منازل بشكل متقدم، إذ تميزت بسقفها المغطى بالقرميد وكل هذه المساكن عرفت ببساطتها وحصانتها ،إضافة إلى توافرها على الأمن والإِستقرار و الحماية من الظروف الطبيعية القاسية التي تتميز بها المنطقة.

ومن نماذج هذه القرى نجد ما يلي:

– قرية تكوت:

تقع في منطقة تكوت التابعة لمدينة باتنة حيث بنيت هذه القرية على مرتفعات صخرية يطلق عليها باللغة المحلية مصطلح هاغروت thaghrout كونها تشبه شكل عظم الكتف، وأغلب مساكن هذه القرية يكون بناؤها في موضع مقابل لِلشمس، إضافة إلى أن معظم منازلها تكون ذات طابق علوي لِلسكن ومرافق أرضية لِتربية الحيوانات. (سليم درنوني ،2013،ص 144).

– قرية منعة:

بنيت فوق جبل صخري شَديد الإنحدار أو ما يعرف مسكن مسند إلى الآخر وهذا بسبب طبيعة الأرضية، كما تتميز مساكن قرية منعة بوجود مستويين (أرضي–علوي)، حيث يكون المسكن الأرضي مخصصا في كثير من الأحيان لِتربية الحيوانات وتخزين الحطب والخشب والعلف أما الطابق الأول فيكون مسكنا لِصاحبه. وعليه هذه القرية كغيرها من قرى الأوراس بنيت بالحجارة أو الطوب المصنوع من خليط الطين مع التبن، ويتم مَلْءُ الفراغات بالطين و الحجارة الصغيرة،كما يتم إستخدام أعمدة خشبية لِتجهيز السقف وتختلف مساحة العرف حسب مدى إتساع مساحة المنزل (السبتي بن بلقاسم بودوح، 2006م،ص 64).

ولا تزال المنطقة قائمة محافظة على النمط المعماري التقليدي الموروث مع القيام ببعض الترميمات الجزئية.

– القلعة:

نمط معماري أُعتمد أول مرة لَدى سكان الأوراس منذ العصور القديمة، بهدف إدخار المؤن والسلع لِوقت الجفاف أو الحروب ويسمى هذا النمط بتاقليعث حيث يتم بناؤها في مناطق وعرة صعبة المسالك أين تكون الحجارة متوافرة فتصميمها يقوم أساسا على الخشب والحجارة الجيد. (يمينة بن صغير حاضري، 2011،ص140).

والذي يحتمل كل أنواع التأثيرات الطبيعية ومعظم قرى الأوراس بها هذا البناء المصمم من عدة طوابق على شكل سلم بناياته متراصة بعضها ببعض، حيث يوجد في كل قلعة باب واحد وعدة فتحات صغيرة لِلتهوية.

وتتمركز القلاع في الجبال خاصة قممها وهي عبارة عن مخازن جماعية تسمى في بعض المناطق القصر أو أغادير حيث تحتوي بداخلها على العديد من الغرف. فأصغرها يضم خمسة عشر أو خمسين مخزنا وتبنى من عدة طوابق.(الحميري محمد بن عبد المنعم،1975،ص 20)، وهذا النوع من النمط المعماري يعرف بالبداوة والبساطة فلا يكلف بناؤه مبالغ كبيرة حيث يستند البناء على الصخور كمادة أساسية فيه فهو من الضروريات لَدى سكان الأوراس فهو ليس مجرد إتقان لِلبناء وإنما مخصصة لِتخزين المحاصيل والمؤن فقد كان سكان القرية الواحدة يضعون عليها حارسا ويتناوبون على الحراسة بها ومن أشهر قلاع منطقة الأوراس نذكر:

– قلعة سناورة تقع في عرش بني بوسليمان.

– قلعة بوزرغون تقع في منطقة كيمل.

– قلعة الهارة تقع في عرش بني بوسليمان.

– قلعة بلول تقع ضمن حدود بلدية تيغرغار. (دويب عبد الرحمان ،مرجع سابق ،ص 60)

ب – مراكز العلاج:

وتعرف حاليا بالمستشفيات ومراكز الصحة وهي تتكفل بمعالجة المرضى وتقديم المعونة لِلمجاهدين قدر المستطاع، وكانت في البداية تقام في مغارات جبلية و أنفاق تحت الأرض خوفا من اِكتشافها من قِبَلِ المستعمر، أما المنشآت الصحية اللائقة فكانت السلطات الاِستعمارية تقيمها في الأماكن الآهلة بالمستوطنين فقط ، وكانت على نوعين ثابتة و متنقلة و كانت تشكل أولى نواة لميدان الصحة اِبتداء من إضراب الطلبة في 19 ماس 1956م مما سمح بتدعيم هذا المجال بأصحاب الاِختصاص فيه. (مصطفى خياطي، 2014 ،ص 61)

و من نماذج هذه المستشفيات الأوراسية نذكر منها.

– مستشفى الولاية:

وهو أول وأكبر مشفى في الولاية الأولى يقع في منطقة كيمل تم إنشاؤه عام 1955م، وهو عبارة عن كازمة محفورة تحت الأرض تحتوي على مجموعة من غرف صغيرة ورواق كبير وكان يشرف عليه المجاهد إسماعيل محفوظ من خلال اِستقباله لِلمرضى والجرحى وتقديم العلاج وكان هو المسؤول عن أكثر الحالات الخطيرة. (عمار قليل، 1991م ،ص 285).

وكانت هذه المستشفيات محاطة بالسرية التامة سواء بالولاية أو باقي ربوع الوطن.

– مستشفى تيبحيرين:

وهو ثاني أكبر مشفى لجيش التحرير الوطني يقع في الناحية الثانية من الولاية الأولى أو ما يعرف بضواحي آريس وهذا المشفى لا يقتصر على علاج المجاهدين فقط بل يشمل أيضا المواطنين العاديين سواء من أهل المنطقة أو جارها.

إضافة إلى مستشفيات أخرى مثل مستشفى بيطام بريكة، غار بن كرميش ضواحي أولاد شليح ومستشفى تحلقام 1956م. (العربي الزبيري، 1999 ،ص 27).

6-2- الجانب الثقافي والتعليمي:

تزخر الجزائر كغيرها من بلدان العالم بموروث ثقافي يميزها عن غيرها من الدول إذ أنها تحمل بين طياتها ثقافة ومعالم تبرز تاريخها وما مرت به من حركات ساهمت بشكل كبير في بناء هذا التاريخ ولا سيما الوجود الروماني والفتح الإسلامي، وكذا التاريخ العثماني والإِحتلال الفرنسي كلها كان لها أثر واضح على السكان وحياتهم خاصة من الجانب الثقافي والتعليمي ومن أبرز هذه المعالم الثقافية والتعليمية ما يلي:

أ – الزوايا:

أَدَّتْ دورا محوريا في تاريخ المغرب العربي عامة والجزائر خاصة فكانت مدرسة لِتعليم الأطفال وتحفيظ القرآن ومسكنا لِلطلبة لها ملاحق منتشرة بين المدن والأرياف على سواء (أبو قاسم سعدالله، 1982م، ص 164) إضافة إلى أنها تقدم المساعدات لِلأهالي.

ونظرا لِدورها البارز خلال الفترة الإِستعمارية في منطقة الأوراس خاصة كانت أنظار المستعمر متجهة نحوها كل وقت، فبفضلها تكون شباب وقادة الثورة مما أدى إلى سخط الإِستعمار ضدها، وقد مرت أغلب الزوايا وتم تحويل عدد منها إلى ثكنات عسكرية فرنسية.

وفي مجالات أخرى كانت فرنسا تعمل على جعلها تقف إلى جانبها.

وهذا ما كان يدعو إليه النقيب "إدوارد دونوفو" وكذا "لويس رين" حيث قال إنه يجب على فرنسا أن تقنن الزوايا من خلال خلق وظائف تابعة لِلسلطة الفرنسية لِإحتواء تأثيرها لِتكون النتائج لِصالحها. (Louis Rin 1884 p 518)21.

ومن نماذج هذه الزوايا نذكر منها:

– زاوية بن عباس:

تقع في منطقة منعة وتعرف بِإتباعها لِلطريقة القادرية حيث تعتبر من أهم مراكز العلم في المنطقة لما تزخر به من تعاليم القرآن وعلوم الدين واللغة، حتى إنها تعرف بِإسم دار الشيخ، حيث يرجع أصل تسمية الزاوية إلى إِسم العائلة التي أسستها وهي عائلة بن عباس.

– زاوية الشيخ الصادق بن الحاج:

تأسست من قِبَلِ الشيخ سي الصادق بن الحاج في قرية لقصر بولاية باتنة وهذه الزاوية كغيرها من الزوايا لها كتاب لِتعليم وتحفيظ القرآن ومسجد لِلصلاة وكانت ذات نظام داخلي مجاني مما ساعد على إقبال الطلبة عليها وخاصة أن بها نخبة من العلماء. (طيب جاب الله،2013 ،ص 142).

وبعد فشل ثورة 1858 بقيادة شيخ الزاوية سي الصادق أمر الجنرال الفرنسي "ديفو" بهدم الزاوية ولكن بعد مدة أعاد أتباع الشيخ ومريدوه ببناءَها بمنطقة بتر ماسيت وإلتف حولها طلاب العلم من كل نواحي البلاد وبقيت متمسكة بهدفها الأساسي وهو محاربة الإستعمار.

– زاوية آل دردور:

يرجع تأسيسها إلى حوالي 1800م على يد الشيخ سيدي علي دردور بن عمر بمنطقة وادي عبدي وكانت في البداية تسمى زاوية سيدي علي دردور وساهمت هذه الزاوية في تكوين رجال الثورة حيث شارك شيخها في تنظيم اللِّجان الشعبية بقرية وادي عبدي حيث تعرضت لِلتفتيش من قِبَلِ القوات الفرنسية التي قامت بنهب وحرق العديد من كتبها.(علي عزوزي،2003 ،ص37).

– زاوية عبد الصمد:

تأسست على يد الشيخ سيدي محمد بن عبدالله بن عبدالصمد سنة 1832م.(زايد عسكالي،2010م،ص20) حيث تقع في أراضي سهل منبسط وضيق لمنطقة عيون العصافير تحتوي على مسجد وعدة مرافق إضافة إلى مساكن سكانها عائلات إخوان مؤسسها. وكان المستعمر الفرنسي ينظر إليها على أنها جماعات سرية ذات مأرب سياسي (أجيرون شازل روبير 2007 ،ص 549).

وكان لهذه الزاوية دور كبير وفاعِلٌ في نشر العلم والمعرفة حيث تخرج فيها العديد من الطلبة واصلوا دراستهم في مراكز العلم الكبرى مثل جامعة الزيتونة بتونس.

كما أجبرت هذه الزوايا من قِبَلِ الإستعمار على أن تستمر في نشاطها بتعليم وتحفيظ القرآن ولكن دون شرحه وتفسيره كما منعت تدريس التوحيد في حين كانت جمعية العلماء المسلمين تعمل على المحافظة على نفوذها ومكانتها إضافة إلى الإهتمام بالفقراء والمحتاجين التي تعمل على إصلاح حالهم.

ب– المساجد والكتاتيب:

تعتبر المساجد من المؤسسات الدينية التعليمية والثقافية الهامة، كونها أول وأقدم مؤسسة إسلامية خاصة بالعبادة إضافة إلى دورها الفاعِلِ في تعليم الأطفال أساليب القراءة والكتابة والتربية وعليه كان لهذه المساجد والكتاتيب دور أساس أثناء فترة الإستعمار ويظهر ذلك في محاربتها لِسياسة الجهل والتنصير ومن نماذج هذه المساجد في الأوراس ما يلي:

– مسجد سيدي عبد السلام:

وهو ذو طابع مغاربي له مئذنة ذات علو شامخ حيث بني من قِبَلِ فرق عرش بني سليمان الققاطنة بالمنطقة ويوجد به ضريح ومسبح مملوء بالماء كان المستعمر يعذب به المجاهدين وهو مغطى بالأغصان والتراب.

– المسجد العتيق:

بني عام 1923م وسط مدينة باتنة و ما يزال قائما إلى يومنا ويطلق عادة على مسجد يقام وسط مدينة قديمة في فترة نموها فيصبح شيخ المساجد.

– مسجد الهدي:

يقع في منطقة نقاوس ويعرف بإسم مسجد شعبة الرجال أثناء فترة الإستعمار كانت تقامم بالمسجد حلقات لِتعليم اللغة العربية وكان أئمته يقومون بتعليم وتحفيظ القرآن لِأنّ القوات الفرنسية تمنعهم من الدراسة باللغة العربية والبحث والتعرف على أمور الدين. (محمد الحسن فضلاء ،2000 ،ص 14-17).

– المدارس العربية:

كانت المدارس المنتشرة آنذاك مؤسسة من قِبَلِ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي كان هدفها محاربة سياسة التجنس والإندماج والتنصير وكل عنصر له علاقة بالوحدة القومية ومن نماذج هذه المدارس:

– مدرسة سيدي قاسم:

بنيت حوالي عام 1936م من قِبَلِ جمعية العلماء المسلمين في منطقة نقاوس تتكون من طابق أرضي يضم خمسة أقسام تدرس فيها اللغة العربية وتحفيظ القرآن إلى غاية 1957م تم إغلاقها من قِبَلِ المستعمر وبعد الإستقلال تم فتحها وما تزال إلى يومنا هذا.

– مدرسة التربية والتعليم:

يرجع تأسيسها إلى سنة 1937م حيث تضم ثلاثة أقسام وإدارة وقسم لِتعليم وتحفيظ القرآن فهو فرع تابع لمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة.

– مدرسة النشءِ الجديد:

بنيت في مدينة باتنة بأموال الأهالي وتبرعات المحسنين وتم بناؤُها وتسميتها من توصيات الشيخ الإبراهيمي البشير وتم اِفتتاح المدرسة يوم 15 سبتمبر 1954م تضم خمسة أقسام وإدارة ومكتب لِلجمعية. (شارل أندري جوليان ،1976 ،ص 135)

– مدرسة آريس:

بنيت من قِبَلِ جمعية العلماء المسلمين في منطقة آريس وهي فرع لِمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة وكانت بنيت بطابع عصري من الطوب والإسمنت تضم عدة أقسام و كل قسم مخصص لمستوى معين من أربع سنوات إلى كبار السن وكانت تعلم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن.

6–3– الجانب العسكري:

لقد أَدَّتْ حبهة التحرير الوطني دورًا بارزا في المجال العسكري حيث قامت بإنشاء العشرات من مراكز المجاهدين وكان الهدف منها هو تقديم الخدمات والمساعدات لِلمقاتلين والمسبلين وكانت هذه المراكز ترسل منها الدوريات ونصب الكمائن وزرع الألغام حيث كان المجاهدون يقيمون في بيوت الأهالي بحكم الثقة والأمان. (عبد الله مقلاتي ،محمود الشريف،2013،ص78).

وتم تنظيم هذه المراكز أثناء الثورة التحريرية خاصة بعد الحملات الديغولية منذ أواخر 1958م وكان يتم إدارتها في الولاية أو المنطقة من قِبَلِ مُجاهدين مدنيين لا يستطيعون السير مع الكتيبة أما في النواحي والقسمات فقد تولاها مواطنون يتم اِختيارهم من قِبَلِ اللجان الشعبية وهي متوافرة بكثرة وأمثلة ذلك غار أشطوح، مركز لمساعيد.

ومن أبرز نماذج عن مراكز المجاهدين ما يلي:

– مركز بن شايبة:

يقع في دشرة أولاد موسى وهو عبارة عن منزل أحد المجاهدين يتم تخزين السلاح فيه بإشراف مصطفى بن بولعيد حيث يقوم هذا الأخير بتوزيعه لِلمجاهدين لِلاِنطلاق في العمل الثوري.

– مركز خليف:

يقع في منطقة تاوزيانت لِبلدية ثنية العابد وهو عبارة عن منزل لِأحد سكان المنطقة يلجأ إليه المجاهدون لِلأمان والحصول على المؤونة تعرض هذا المركز لِلتفتيش من قبل المستعمر وتفاديا لِلقبض عليهم يلجأ السكان إلى محو آثار المجاهدين وهو مازال قائما إلى يومنا هذا.

– مركز جبل فسديس:

يرجع تاريخه إلى (1956-1957م)حيث يقع في جبل بمنطقة فسديس كان يشرف عليه محمد الطاهر عبيدي المدعو الحاج لخضر. وكانت وظيفة هذا المركز تخزين الحبوب تم الإستيلاء عليه من قِبَلِ المستعمر بعد وشاية من أحد العملاء من أبناء المنطقة وقامت بهدمه وإستولت على ما كان فيه.

– مركز غار بن كرميش:

يقع هذا المركز في غار يسمى كرميش ضمن سلسلة جبال الشلعلع حيث يعتبر من أكبر مغارات الولاية فقد كان مركزا لِتخزين المؤونة و الأدوية، إضافة إلى صنع الألغام وهو يحتوي على عدة غرف مبنية بخشب العرعار حيث شهد أبشع مواجهة بين الثوار و القوات الفرنسية وتم قصف هذا المركز في 6 أفريل 1959م.

خاتمة

عرفت المعالم والمباني التاريخية الأوراسية بساطة معمارها ذات الطابع المغاربي والذي يعتمد على مواد محلية من طين وخشب وحجارة وكذا التبن، كما إتسم الجانب التعليمي الثقافي بطبيعة معمارية متميزة تمثلت في الزوايا والمساجد والكتاتيب والتي كانت تعمل لِتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم، وكما كان لجمعية العلماء المسلمين دورٌ فاعِلٌ وبارزٌ في ترسيخ اللغة العربية وسط المجتمعات الجزائرية ومناهضة ومضاربة السياسة الإستعمارية الفرنسية.

كما لم يكن لِلمنطقة الأوراسية أيّ مراكز عسكرية بمفهومها وشكلها الظاهري المتعارف عليه وكانت تتسم بالخفاء، إعتمد خلالها الجيش الوطني على الجبال والمغارات لِتكون مقرا لأَنْشِطَتِهِمْ ومستودعا لمعيشتهم، ومن خلال هذا نصل إلى حقيقة وهي إكتفاء الإنسان الأوراسي بِبيئته ورفضه إدخال أي تطور عليها وهذا حفاظا على الهوية الأوراسية في ظل الحروب والنزاعات التي شهدتها المنطقة.

– ابن خلدون عبد الرحمن(ت 808 هـ)، **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1979م.

– قائمة المصادر والمراجع:

– أجيرون شارل روبير، **الجزائريون، المسلمون وفرنسا (1871 – 1919)**، ترجمة ويكلي حاج مسعود، دار الرائد لِلْكتاب، الجزائر2007م.

– الأشرف مصطفى، **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة: بن عيسى حنفي دار القصبة الجزائر 2007م.

– بودوح السبتي بن بلقاسم، **منعة جوهرة الأوراس تاريخها في الحديث و القديم** ، مطبعة عمار قرفي و شركائه، باتنة، 2006م.

– التقرير الولائي لِأحداث الثورة التحريرية ،السياسة الِاقتصادية والِاجتماعية الثقافية العسكرية في فترة بين 1959–1962، المقدم في الملتقى الجهوي لِلْولاية الأولى ،المنعقد بين 20–21أفريل 1987،باتنة.

– جاب الله طيب، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة المعارف، **كلية العلوم الِاجتماعية والإنسانية**، جامعة البويرة، العدد 14، 2013م.

– خياطي مصطفى، **الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الِاستعمارية**، المؤسسة الوطنية لِلِاتصال الرويبة، 2014م.

– الزبيري محمد العربي، **المثقفون الجزائريون والثورة**، منشورات المتحف الوطني لِلْمجاهد، 1986.

– الزبيري العربي، **تاريخ الجزائر المعاصر**، منشورات اِتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.

– زوزو عبد الحميد، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1830–1900)**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م.

– زوزو عبد الحميد، **الأوراس إبان فترة الِاستعمار** (التطورات السياسية والاقتصادية والِاجتماعية – 1939–1937م، ترجمة: حاج مسعود،دت.

– سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار المغرب الإسلامي، الجزائر، 1998م.

– سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء الجزائر** ، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007.

– سعد الله أبو القاسم، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الِاحتلال)**، الشركة الوطنية لِلنشر، ط3، الجزائر، 1982م.

– شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير**، ترجمة: محمد مزالي وآخرون، الدار التونسية لِلنشر، تونس، 1979م.

– فضلاء محمد حسن ، **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، دار هومة الجزائر، 2000م.

– قليل عمار، **ملحمة الجزائر الجديدة**، دار البعث، قسنطينة، 1991م.

– عزوزي علي، زاوية آل دردور بالأوراس ،صفحات من جهاد الأمير غبد القادر وأسرته وأعلام الأوراس، **الملتقى الوطني الأول**، مؤسسة الأمير عبد القادر، باتنة، 2003م.

– العلوي محمد الطيب، **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830–1954**، ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، د.ت.

– مسعود عثماني، **أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد**، دار الهدى، الجزائر، 2008م.

– مقلاتي عبد الله ، **محمود الشريف قائد الولاية الأولى إبان الثورة المسلحة** ،المؤسسة الوطنية لِلْفنون المطبعية، 2013م.

– ونيسي محمد الصالح، **الأوراس تاريخ وثقافة**، الطباعة العصرية، الجزائر، 2007م.

من أساليب الإعداد لِلثّورة والكفاح الوطنيّ لَدى جمعيّة العلماء المسلمين
التّربية والتّعليم – نموذجا–

الدّكتور شرف موسى

أستاذ محاضر (أ)

المركز الجامعيّ نور البشير– البيّض

من أساليب الإعداد لِلثّورة والكفاح الوطنيّ لَدى جمعيّة العلماء المسلمين: التّربية والتّعليم –نموذجا–

مقدّمة

يتناول هذا البحث لمحة تاريخية عن أساليب وطرق مقاومة وكفاح الشعب لجزائري، خاصة الطبقة المثقفة منه لِلسياسة الإستعمارية وذلك منذ الوهلة الأولى لِلاحتلال، مبتدئين في ذلك بالحديث عَنْ جذور الحركة الوطنية الجزائرية، ومن ثمّ إسهامات مدرسة التعليم والتربية لجمعية العلماء المسلمين في مواجهة سياسة الفرنسة والإدماج التي اِنتهجتها المدرسة الفرنسية في الجزائر، ودون أدنى شك فقد أوجدت الجمعية لِنفسها أسلوبا خاصا في الكفاح والمقاومة وغرس الوعي الثوري والوطني، الذي دفع بعدد كبير من طلبتها لِلاِلْتحاق بالثورة وتقدم الصفوف الأولى لجبهة التحرير الوطني على المستويين السياسي والعسكري.

1– إرهاصات النضال السياسي لِلشعب الجزائري قبل بداية القرن20:

واجهت الجزائر بلدا وشعبا دون غيرها من الدول والأمم اِحتلالا اِستيطانيا فرنسيا، لا مثيل في تاريخ الأمم والشعوب، فقد كان أوسع وأعمق شكلا من أشكال الاِستعمار الأوربي بنوعيه القديم والحديث، يقوم في أساسه على أربعة عناصر هامة، هي التفقير والتجهيل، والتنصير والفرنسة، في محاولة لمحو أمة كاملة بتاريخها ومقوماتها الحضارية، بل وإخضاع سلطة بلد عربي مسلم إلى حكم مستوطنين أجانب اِنفردوا بإدارة البلاد واِستثمار خيراتها واِستغلالها لمصلحتهم الخاصة ومصلحة البلد المستعمر، كما ألحقت الجزائر بفرنسا لِتصير جزءًا من التراب الفرنسي (الجزائر فرنسية). [1]

وبصفتها قوة اِستعمارية تباهت بتراثها الثقافي على سائر الشعوب خاصة العربية منها الشعب الجزائري على وجه التحديد، فقد حاولت فرنسا اِستعمال موروثها الثقافي بصورة أساسية في اِستئصالها العرقي لهوية هذا الشعب من جذوره، وخدمة مصالحها السياسية تباعا لِذلك. وتماشيا مع السياسة الاِستدمارية التي اِنتهجتها فرنسا، نجد أنَّ الاِهتمام بعامل الدين واللغة والتربية والفنون والمسرح ووسائل الإعلام والمجال الاِجتماعي– الثقافي...كان أكثر المجالات نشاطا بالموازاة مع الآلة العسكرية، فقد

(1) – عبد النور ناجي، "البعد السياسي في تراث الحركة الوطنية"، **مجلة التراث العربي**،العدد: 107، صدر العدد بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، اِتحاد كتاب العرب، دمشق، 2007، ص: 23.

جندت فرنسا لِذلك الكثير من الحركات المتعهدة داخل هذه المجالات نفسها، عبر فاعلين خواص، لِصالح هدف واحد، هو الحفاظ على موقعها بالجزائر أو تقويته، تباعا لمتطلبات الإيديولوجية لِلسياسية الإستدمارية بين إدماج وإشراك وإندماج.[1]

إن المتتبع لمسار نضال الشعب الجزائري ضد الإستعمار الفرنسي وسياسته الممنهجة، يجد أنه ليس من السهل فصل العمل السياسي أو النضال السياسي عن العمل المسلح، ففي الوقت الذي إندلعت المقاومة المسلحة في سنواتها الأولى في الجزائر شرقا وغربا، تزامن معها نضال سياسي سلمي قاده رجال جزائريون على قلتهم، منهم من حمل السيف بيد وخاض في الدبلوماسية والسياسية الخارجية بيد أخرى، على غرار الأمير عبد القادر، الذي لم يترك فرصة لِلضغط على المستعمر عن طريق غريمه التقليدي – إنجلترا والقوى الفاعلة وقتها- ولِكسب الدعم والتعاطف الدولي مع القضية الجزائرية، التي كان يرى فيها قضية وطنية، أو من خلال إستغلاله لِلظروف الإقليمية والدولية، كما حرص في الوقت نفسه على نشر فكرة الوطنية وتوحيد القبائل ونشر الوعي الوطني بالوسائل الروحية –الدينية- أو عن طريق إيجاد سلطة وطنية بديلة لِلجزائريين عن تلك التي فرضها المستعمر.

في حين نجد أنَّ أحمد بوضربة أو حمدان بن عثمان خوجة أو مصطفى الكبابطي مثلا إنتهجوا النضال السياسي السلمي في التعبير عن مطالب سكان مدينة الجزائر في تنظيم أطلق عليه إسم لجنة المغاربة ضم إلى جانبهم أعيان وتجار وعلماء مدينة الجزائر، وكتبوا في ذلك مراسلات عدة، وجهوها إلى حكومة الإحتلال، على أمل الوفاء بالوعود التي قطعتها لِلجزائريين في بيانها الذي حمله الدبرمون DU Bermont قائد الحملة الفرنسية على الجزائر.[2]

وقد تولى حمدان خوجة الدفاع عن المعاهدة المبرمة بين الداي حسين والدبرمون، خاصة ما تعلق منها بإحترام الأعراض والشعائر الدينية والممتلكات،[3] وكرس حمدان خوجة في ذلك جل وقته، فدافع

---

(1) – كميل ريسلير، **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر، أهدافها وحدودها (1830–1962)**، (**تعليقات جزائرية على شبه– إعتراف فرنسي)**، ترجمة وتعليق: نذير طيار، ط1، دار الكتابات الجديدة لِلنشر الإلكتروني، سلسلة دراسات وكتابات ثقافية (29)،أغسطس 2016، ص: 31-32.

(2) – نفسه، ص: 27.

(3) – من جملة المطالب التي رفعتها اللجنة لحكومة الإحتلال: طالبوا بأن يحكم الشعب الجزائري نفسه بنفسه، وإعادة القومية الجزائرية من جديد وإقامة حكومة حرة وتحرير دستور يتفق مع تقاليدهم وعاداتهم... عن هذه المطالب أُنظر: عريضة سكان مدينة

عنه بلسانه وقلمه وماله طيلة السنوات الأولى التي قضاها في الجزائر أيام الإحتلال وحتى من خارج الجزائر، من باريس وإسطنبول.[1] وإعتقد أمثال هؤلاء الجزائريين كونهم كانوا يمثلون النخبة المسلمة وقتها بمدينة الجزائر، أنهم بممارسة الوسائل السلمية الهادئة ومحاورة المحتل عن طريق المطالب السياسية، سيحصلون على حقوقهم.[2]

وجدير بالذكر أنَّ ممارسات الأتراك العثمانيين التعسفية لِلجزائريين في السنوات الأخيرة من وجودهم بالجزائر هي التي جعلت الجزائريين مستعجلين لِرحيلهم من الجزائر، بل وعلقوا في ذلك الآمال على الفرنسيين، وإلا لما هللوا وقبلوا نزول الحملة الفرنسية إلى الجزائر، أضف إلى ذلك أن الأتراك العثمانيين في ممارساتهم السياسية في الجزائر طيلة أكثر من ثلاثة قرون، لم يشعروا الجزائريين على إختلاف مشاربهم ومناهلهم، أنهم ينتمون إلى وطن واحد، وبالتالي زرع روح الوطنية فيهم، إما بإشراكهم في الغزو البحري والتصدي لِلحملات الصليبية أو إشراكهم في المسؤوليات السياسية والإدارية التي لها علاقة مباشرة بالسلطة، بل بالعكس كرس هذا السلوك القطيعة بين العديد من فئات المجتمع الجزائري والسلطة العثمانية الحاكمة، لا سيما في البوادي والأرياف التي كانت بعيدة تماما عن رقابة السلطة، ودورها السياسي، الذي لا يظهر إلا في مواسم جمع ضرائب الدنوش واللزمة.

ولا عجب أن غياب هبة وطنية واحدة غداة الإحتلال الفرنسي لِلجزائر، ما هو في حقيقة الأمر إلا نتيجة مباشرة لِلسياسة العثمانية تجاه الجزائريين، لِذلك جاءت صور النضال السياسي السلمي في السنوات الأولى لِلاحتلال ضيقة النشاط، محتشمة (كونها لم تتعد المطالبة بالحقوق والوفاء بالعهود والوعود- وكونها لم تخرج عن نطاق مدينة الجزائر أو عواصم البيالك أو بعض المدن التي دخلها المحتل تباعا.[3] في حين نجد أن المقاومة المسلحة جاءت متفرقة في الزمان والمكان معا، وأكثر ما كان ينخرها ويضعفها إلى جانب قوة الفرنسي المحتل هي العصبية القبلية والجهوية الضيقة.

الجزائر إلى حكومة الإحتلال. أنظر:- جمال قنان، **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914**، ديوان المطبوعات الجامعية،2007، ص: 36-37. وكذلك: - ناجي، البعد السياسي...، ص: 28.

(1) - محمد الطيب العلوي، **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954**، ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، د.ت، ص: 93.

(2) - نفسه، ص: 91.

(3) - راجع في هذا الصدد: قنان، نصوص سياسية جزائرية... المرجع السابق ، ص: 36-37.

فهل معنى هذا أنَّ النضال السياسي السلمي والمقاومة المسلحة كانا فاشلين؟ وهل أدرك الجزائريون نوايا الإستعمار الفرنسي الإمبريالي مع مرور الوقت؟ لِذلك جاءت صورة أخرى من صور النضال – يراها بعض المؤرخين مظهرًا من مظاهر المقاومة، غير أنها سلبية،[1] سماتها الغالبة هي مقاطعة كل المشاريع الإستعمارية السياسية والإجتماعية والإقتصادية... إما برفض الإندماج فيها مباشرة بدعوى مقاطعة شعار التحضر والتمدن الذي حمله المحتل، أو عن طريق الهجرة من الجزائر إلى البلدان العربية والإسلامية، [2] بدعوى الهجرة من دار الكفر إلا دار الإسلام؟

وبطبيعة الحال وكرد فعل من المحتل الفرنسي، لم يكن هذا لِيخلوَ من الممارسات القمعية الشنيعة تجاه الجزائريين، إما بالقتيل والتعذيب والإدماج التعسفي أو التهجير القصري، ولعل هذا بدا جليا في السبعين سنة الأولى منَ الإحتلال إلى بداية القرن 20م.

إنَّ ما يميز هذا النضال، من وجهة نظرنا، على الرغم من تباينه، هو بروز وعي لدى الجزائري في المدينة أو في الريف على حد سواء أنه أمام عدو متمرس، يسعى إلى الهيمنة والإقصاء، ويسعى لِلاستئصال العرقي في الوقت نفسه، لِذلك جاء هذا الرفض لِلمستعمر في هذه الصور من صور النضال. كما لم يخرج هذا النضال في جوهره عن الدفاع عن القيم والثوابت الوطنية والدينية والمحافظة عليها، مما يحيلنا لِلقول إنه نضال جمع في أطيافه ما بين السياسي الوطني والمحافظ الديني الوطني، ولعلها الأرضية الصلبة الحقيقية التي تمسك بها عموم الجزائريين، مما سيسمح لهم مع الوقت — في المستقبل السياسي لِلجزائر– الإنخراط بقوة في تيارات وطنية وإصلاحية دافعت على المبادئ نفسها والقيم.

أما المتخاذلون من أبناء الشعب ممن وصفوا بالموالين لِلاستعمار من قياد وبشاغوات لم يكونوا في حقيقة الأمر إلا وسيلة لِتفرقة أبناء الشعب الواحد وأداة لِلضغط على إخوانهم من الجزائريين، مقابل بعض الإمتيازات والحظوة لَدى المحتل الفرنسي. في المقابل خرج من نسل هؤلاء الموالين والمتخاذلين نخبة

---

(1) – العلوي، المرجع السابق، ص: 22.

(2) – شغلت حركات الهجرة إلى الديار الإسلامية، التي شهدتها الجزائر خاصة خلال الفترة الممتدة من 1890 إلى 1911 بال الإدارة الإستعمارية، وذلك لِعدة إعتبارات إرتبط بما أسمته هذه الإدارة ب"أمن المستعمرة"، لقد خشيت السلطات الفرنسية أن تكون هجرة الجزائريين سببا في إنتشار الإضطرابات الثورية،" وبمجرد أن تتجه الأنظار إلى الهجرة تفقد الإدارة الإستعمارية ثقة الأهالي ونشر موجات القلق..." أُنظر:– محمد غالم، "من أرشيف الإدارة الإستعمارية في الجزائر، الوثائق الفرنسية والهجرة إلى الديار الإسلامية"، **إنسانيات**، عدد12، سبتمبر–ديسمبر2000، ص:28.

من المفرنسين الذين شربوا ونهلوا من الثقافة الفرنسية وكانوا لا يرون التحضر والتطور إلا في كنف الإستعمار.[1]

غير أننا أمام إشكالٍ تاريخيٍّ بدايةً من القرن العشرين (20م)، وهي إنتقال عموم الجزائريين في التعبير عن رفضهم لِلمحتل من النضال المسلح المحدود والنضال السياسي السلمي أو النضال السلبي–المقاطعة– إلى نضال سياسي حركيّ –إيجابيّ– تزعمته فئات واسعة من المجتمع الجزائري، بألوان سياسية وثقافية مختلفة، أُستعملت فيه مختلف الوسائل والمنابر السياسية الحزبية والإعلامية والثقافية المتاحة، بل وربما حاولت مجارات المحتل الفرنسي ومهادنته ردحا من الزمن، حتى يتسنى لها النشاط (بحرية) إذ أنها أسست لِنفسها جمعيات ومدارس وأحزاب وصحافة، تحت رقابة المستعمر وفي ظل قوانينه الجائرة. وقد أَكسبها ذلك مع الوقت وعيا سياسيا وقاعدة شعبية، وأكسبت الجزائريين إلى جانب هذا الوعي حسا وإنتماء وطنيا جزائريا خالصا، ولعل بروز هذا النوع من النضال في هذا الظرف بالتحديد إنما هو في حقيقة الأمر، نتيجة مباشرة لِلسياسة والممارسات الإستعمارية المتراكمة أكثر من نصف قرن من الزمن، أو كمحصلة لِبوادر النهضة العربية والإسلامية التي حمل لواءها علماءُ ومشايخ مسلمون في العالم العربي، أونتيجة لِظروف إقليمية ودولية عاشها أبناء المستعمرات.[2] وقد أُصطلح على تسمية هذا النوع من النضال بِاسم الحركة الوطنية الجزائرية. إرتسمت إتجاهاتها ومعالمها من الوهلة الأولى التي ظهرت فيها، مابين (إستقلالي ثوري، أو إصلاحي إسلامي، أو إندماجي ليبرالي أو شيوعي) على أن الموالية لِلإستعمار

---

(1) – على غرار فرحات عباس مثلا، الذي كان أبوه باش آغا في سطيف.

(2) – بدا ذلك جليا من خلال إحتكاك أبناء المستعمرات خاصة شمال إفريقيا في الحرب العالمية الأولى– والتنظيمات العمالية، ومن خلال مواثيق عصبة الأمم – حق الشعوب في تقرير مصيرها... على ما ذكره المؤرخ محمد قنانش من أن حَراكًا سياسيًّا بدأ في مطلع القرن العشرين في الجزائر وقادته فئة أطلقت على نفسها " الشبيبة الجزائرية" من النخبة المفرنسة على غرار الشبيبة التونسية والشبيبة التركية، وعوض أن تكون وطنية شأن الشبيبة التونسية والتركية، إتجهت إلى المطالبة بالإندماج في العائلة الفرنسية، في حين أن فئة أخرى من الشباب على غرار الأمير خالد وسي أمحمد برحال مع بوادر الحرب العالمية الأولى وغداة فرض قانون التجنيد الإجباري على الجزائريين، حاولت هذه الفئة رفض هذا القانون وغيره من القوانين الجائرة إما بالهجرة أو عن طريق المطالبة بالحقوق لكن مع الحفاظ بالمقومات الوطنية الجزائرية، لِأن هذه الفئة كانت تتمتع بروح دينية وشخصية إسلامية، غير أنه بقي منحصرا في أفراد قلائل ولم يكن حركة منظمة. أُنظر:– محمد قنانش، **الحركة الإستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919–1939**، د.ط، الشركة الوطنية لِلنشر والتوزيع،الجزائر،1982، ص23،27.

منها أو المهادِنة له طالبت بالحقوق المدنية والسياسية في ظل الإدارة الإِستعمارية.[1] في حين إِستمرَّ النضال الوطني يتقوى ويتطور ويرسخ يوما بعد يوم، مع التيارات الوطنية الإِستقلالية والإصلاحية معا، رغم المضايقات والعراقيل التي وضعها الإِستعمار لمنع نشاطها أو حصره في فئات معينة، إلى سنة 1954م، السنة الفاصلة بين العمل السياسي الوطني الشامل والعمل الثوري الوطني المسلح، الشامل.

2- إِجتهاد المدرسة الفرنسية في تكوين النخب:

لقد أدركت فرنسا منذ إِحتلالها الجزائر أن العمل العسكري وحده لا يكفي لِلقضاء على الشعب الجزائري ومقوماته وهويته الوطنية،، لِذلك ركزت منذ الوهلة الأولى لِلإِحتلال على العامل الثقافي والديني، عن طريق تهديم المؤسسات التعليمية الأصلية ذات الطابع الديني، وتحويل المساجد إلى كنائس وإسطبلات، أو إلى ثكنات ومستوصفات، وحتى إلى ملاهي لِأجنادها، بل راحت تضرب بكل ما لديها من قوة لِلقضاء على الثقافة الوطنية، وفي الوقت نفسه وجهت ضربات قاسية لِلمثقفين الجزائريين، فقتلت ونفت وزجت في السجون بمن شاءت، وظلت تضطهد وتطارد كل من بقي طليقا، قصد منعه من القيام بواجبه في المجتمع الجزائري،[2] بل عملت على إحلال المدرسة الفرنسية محل المدرسة الجزائرية، بشكل يخلق نوعا من الرضا والقبول لَدى السكان الأهالي، من جهة ورغبة في خلق نخبة موالية لِفرنسا من جهة أخرى. [3]

إن سياسة الفرنسة والإدماج كانت من الأهداف الحقيقية غير المعلنة التي عمل الإِحتلال الفرنسي على ترسيخها في وسط الجزائريين، فلم يكن المستدمر يرضى أن يكون لِلجزائريين إله غير المسيح حسب زعمهم، فالمسلمون الجزائريون لن يكونوا ملكا لِفرنسا إلا إذا أصبحوا مسحيين، وقد صرح أحد المؤرخين الفرنسيين بالأهداف الحقيقية والبعيدة لِلإِحتلال الفرنسي لِلجزائر بقوله:" حاولنا أن نجعل من أرض شرقية أرضا غربية." ووفقا لهذه الخطة لم يكن أمام المحتل الفرنسي حسب قول أحدهم أيضا إلا رأيان :" إننا منذ إِحتلينا الجزائر لم يوجد في أمرها إلا رأيان:

أحدهما: أن نطرد العرب إلى الصحراء ونأخذ أراضيهم.

---

(1) - ناجي، المرجع السابق، ص: 23.

(2) - محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، منشورات إِتحاد الكتاب العرب، د.م . 1999، ج1، ص 20.

(3) - يوسف حميطوش،" المدرسة الفرنسية في الجزائر، ودورها في تكوين النخب، **مجلة المصادر**، ع16، المركز الوطني لِلدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر1954، الجزائر، السداسي الثاني2007، ص: 161.

والثاني أن نفرنسهم ونصبغهم بصبغتنا.

ولعل الرأي الثاني هو الخطة الأكثر اِتباعا، فمحاولة إدماج الشعب الجزائري في القيم الفرنسية المرتبطة بتعاليم المسيحي، كانت تهدف لضرب الهوية الجزائرية –ذات الصلة الوثيقة بتعاليم الإسلام– في الصميم.[1]

يستدل أحد الجنرالات الفرنسيين في القضاء على الشخصية الجزائرية بمجموعة من الأفكار، فحواها: " أن اِحتلال الجزائر نهائيا لا يتم إلا من خلال مشروع ديني وأخلاقي محض، وهو ما سوف يرضي الفئة الصالحة في الأمة الفرنسية –حسب زعمه– هذا المشروع يتعلق بإدخال الحضارة إلى الشعوب الإفريقية...فإذا شئنا أن نحضر الشعوب، فما علينا إلا أن ننشر أفكار الإنجيل ولنتأمل جيدا في هذا الأمر، إن الأفكار هي التي تضمن لنا السيطرة، لِأن سلاحنا في هذه الحرب هو سلاح الأفكار."[2]

واِجتهادا منها في نشر هذه الأفكار، تمكنت المدرسة الفرنسية في الجزائر من تكوين نخبة من الجزائريين المسلمين الذين عبروا عن ولائهم لِفرنسا، وذهبوا إلى حد المطالبة بإدماج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي. وعلى رأي أحد الباحثين الفرنسيين فإن:"... المستقبل السياسي لِلنخبة وكل مواقفها المتخذة مرتبطة اِرتباطا وثيقا بالتعليم المتحصل عليه، ويبدو فعلا أن المدرسة الفرنسية من خلال طاقم معلميها كانت تولي أهمية كبيرة لِتكوين هؤلاء، لكي يصبحوا مواطنين فرنسيين صالحين. وجيدين...ففي كل مراحل الطور المدرسي، كانت فرنسا تمثل الشرعية والمشروعية والتحضر لجماعة النخبة.[3]

هذه الجماعة التي اِعتبرت نفسها ناضجة سياسيا وفكريا بصورة تؤهلها لِتمثيل الجزائريين المضطهدين، أو ما يسمون "بعامة الجزائريين" وتعبر عن مطالبهم، وقد عبرت جماعة النخبة عن عرفانها لما تلقته من تعلم في المدرسة الفرنسية، حتى قال أحدهم مدافعا عن فرنسا: "فرنسا هي أنا"، فجماعة النخبة كانت ترى أن الحل الوحيد لإخراج الجزائريين مما يعانوه من جهل وفقر وقمع، هو الاِندماج الكلي في فرنسا بشكل يمكنهم بأنْ يصبحوا مواطنين فرنسيين. [4]

---

(1)- مسعود جباري، **الفكر السياسي عند عبد الحميد بن باديس**، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، 2002/2001، ص: 13-15.

(2)- نفسه، ص: 30.

(3) – حميطوش، مجلة المصادر، ص: 173.

(4) – نفسه، ص: 173.

والمتتبع لِسلوك جماعة النخبة وإيديولوجيتها يجد أنها كانت مشوشة، يعتريها الصراع السياسي في إطار الشرعية والقوانين الفرنسية. لقد كانت هذه الإيديولوجية واضحة المنهج وثابتة القواعد والأسس، فأصحابها كانوا يناضلون بحماس وإخلاص لِتجسيدها على أرض الواقع، فهم من الفئات العميلة لِلإستعمار أو التي تدور في أفلاكه. (1)

ولحسن حظها، أن هذه الرؤية ستتغير لَدى الكثير من عناصر هذه الجماعة بعد الحرب العالمية الثانية، لا سيما بعد مجازر 8 ماي 1945م. ومعَ اِندلاع الثورة التحريرية اِلتحق عدد منهم بكوادرها. وفرنسا التي كانت تقدر أن الطبقة التي خرجت من مدارسها ورضعت لغة (هوجو)(2) ... سوف تكون إلى جانبها يوم يجد الجد، وإذا بها تفقدها نهائيا... وقد كادت تنتحر – يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله– وهي ترى القافلة تسير (الثورة التحريرية) ومن ورائها أولئك المثقفون أنفسهم، فلم يستطع أحد من رجال فرنسا أن يتملك أعصابه إزاء ما حدث، حتى قال أحدهم: " لقد أخطأنا بتعليم الجزائريين لغتنا وثقافتنا... إننا لم نزد على أن أطلعناهم على مبادئ الثورة الفرنسية، بينما نحن في القرن العشرين نسوسهم كالأغنام. (3)

على العموم فالحَراك السياسي الذي شهدته الجزائر مع نهاية الحرب العالمية الأولى، ساهم بشكل أو بآخر في ظهور جماعة النخبة، والتيارات السياسية الأخرى، التي اِشتركت مع هذه الجماعة في الكثير من الأفكار، على غرار الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر وفروع وأقسام لِأحزاب فرنسية أخرى.

3– مدارس جمعية العلماء الإصلاحية أرضية خصبة لِلفكر الوطني الثوري:

ما يهمنا مقارنة بما سبق ذكره، الحدث الأكثر أهمية هو ميلاد التيار الوطني الاِستقلالي المتمثل في نجم شمال إفريقيا في وسط العشرينيات الذي سيكون له تأثير كبير فيْ الساحة السياسية الجزائرية منذ سنة 1936م، تحت اِسم "حزب الشعب"، وميلاد التيار الوطني الإصلاحي منذ 1931م، الذي

---

(1)– لا يستثنى من هذه الفئات الحزب الشيوعي الجزائري الموالي لِلحزب الشيوعي الفرنسي والحامل لإيديولوجياته، كما لا يستثنى من ذلك المعمرون أصحاب الإيديولوجيات الاِستعمارية التي رأت أن المجتَمع الجزائري لا يمكن أن يكون تابعا إلا لِلمجتمع الفرنسي في كل شيء بمكوناته الأوربية، أما الأهالي في الواقع ما هم إلا أداة كالبهائم يستعملها السيد لِقضاء حاجاته المختلفة. أُنظر:– العربي الزبيري، **المثقفون الجزائريون والثورة**، منشورات المتحف الوطني لِلمجاهد، 1986، ص 25–26.

(2) – المقصود المفكر وَالأَديب الفرنسي فكتور هوجو.

(3)– أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء الجزائر**، ج2، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص: 231.

تزعمته" جمعية العلماء المسلمين" بكوكبة من العلماء على غرار اِبن باديس والشيخ الإبراهمي، والطيب العقبي، والعربي التبسي، وغيرهم ممن لا يتسع المقام لِذكرهم. ثم إن ظهور هذيْن التياريْن -إن صح التعبير- أضحى المنفذ الوحيد لِلجزائريين لِاسترجاع هويتهم وشخصيتهم العربية الإسلامية. وتهديدا حقيقيا لِلنظام الفرنسي الاِستعماري القائم. (1)

فكيف كانت العلاقة بين هذين التيارين منذ ظهورهما على الساحة الوطنيَّةِ؟

لا مجال لِلحديث عن أسباب وظروف نشأة هذين التيارين الوطنيين، لأِن المقام لا يتسع لِذلك بقدر ما يهمنا الحديث عن التقارب الذي كان حاصلا في الأفكار أو بين زعماء ومناضلي كل من التيار الاِستقلالي والتيار الإصلاحي. فتأسيس التيار الإصلاحي كان حدثا وطنيا هاما يوازي في أهميته حدث تأسيس التيار الاِستقلالي، ولئن اِتجه هذا الأخير إلى نهج المقاومة السياسية الاِستقلالية الثورية، فالتيار الإصلاحي الممثل في جمعية العلماء المسلمين اِتجه هذا الاِتجاه، لكن في ثوب المقاومة الدينية الثقافية الوطنية، لِذلك أقبلت جموع الجزائريين على الاِنخراط في هذين التيارين بقوة، لأِنهما يعبران عن تيار المقاومة الوطنية. (2)

إنَّ العلاقة بين زعماء التيار الاِستقلالي منذ نشأته تحت اِسم نجم شمال إفريقيا سنة 1926م إلى أن حمل اِسم حزب الشعب الجزائري، وزعماء التيار الإصلاحي الذي تزعمته جمعية العلماء المسلمين منذ سنة 1931م، بدأت في حقيقة الأمر في اللقاء الأول الذي جمع ممثلي وفد جمعية علماء المسلمين الذي زار فرنسا لحضور مؤتمر باريس، في جويلية سنة 1936م، حيث حاول زعماء النجم إقناع علماء الجمعية بالتخلي عن مشروع بلوم فيوليت، الداعي إلى إدماج النخبة، وهو الأمر الذي اِقتنع به علماء الجمعيةحسب ما ذكرته المصادر.(3)

ولعل الحدث الأكثر أهمية في تاريخ اللقاءات بين زعماء التيار الاِستقلالي والتيار الإصلاحي هو الاِجتماع الثاني بالملعب البلدي لِبلكور بالعاصمة الجزائرية في 2 أوت 1936م، عقب المؤتمر الإسلامي،

---

(1) - نفسه، ج4، ص: 142-143.

(2) - العلوي، المرجع السابق،، ص: 138.

(3) - مازن صلاح أحمد مطبقاني، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية، 1239-1385هـ/1931-1939م**،رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، طيبة، السعودية،1994-1995، ص:146-147.

حيث اِلتقى الشيخ اِبن باديس بمصالي الحاج، في لِقاء تاريخي حضره أكثر من عشرين ألف من الشباب الجزائري، تعرف من خلاله مصالي عن كثب ولأول مرة على الجماهير الجزائرية، ويعود الفضل في التعريف بمصالي الحاج الذي ألقى خطبة حماسية وطنية أمام الجمع الغفير من الشباب إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي ألقى هو الآخر خطابا له مشبعًا بالروح الوطنية، ألهب حماسة الجماهير،[1]وقد أخذ مصالي حينها حفنة من التراب، مرددا معها:" هذه التربة السمراء هي أرضنا، أخذها الكولون وبعد أن أخذها، فهو يعمل على الاِستيلاء علينا كلية، ولم يكتف بما أخذ إنما يريد أن يستوليَ على ما هو أثمن، أي أن يزيّف وأن يمسخ وأن يشوه، ... ويبقي التبعية، والذي يؤبد حالة التخلف التي يعمل الاِستعمار على إبقائها حتى يتمكن من مواصلة الاِستغلال...هذه التربة السمراء لا تزال مخضبة بدماء أجدادكم لكنها ليست ملكا لكم، فقد أخذها المستعمر ولم يبق منها شيءٌ... ولِذلك فواجبكم اليوم هو العمل على اِسترجاعها، وليس إعطاء التبريرات لِلمستعمر كي يبقى مسيطرا عليها." [2]

على الرغم من المشاعر الوطنية التي نبض بها خطاب مصالي وعلى الرغم من إدراكه العميق لإيديولوجية الاِستعمار، فإن وصول خطاب مصالي لهذا العدد الكبير من الجزائريين الذي حضروا التجمع وفي أرض الجزائر بالتحديد، الفضل يعود كما سبق إلى الشيخ اِبن باديس.

فمصالي قبل هذا التاريخ لم يكن معروفا لَدى الجزائريين، لأنه كان حديث عهده بالجزائر، وقد قضى حياته قبل هذا التاريخ في فرنسا كمناضل في صفوف عمال الحزب الشيوعي ثم مناضلا ضمن صفوف نجم شمال إفريقيا.

وعن علاقة مصالي باِبن باديس، فأنه لم يكن هناك خلاف جوهري في المبادئ بين زعماء التيار الإصلاحي وزعماء التيار الاِستقلالي، على ما نقله المؤرخون، فكلاهما كان يتطلع إلى الاِستقلال، لكن الاِختلاف كان في الوسائل المستعملة في الوصول إلى هذا الاِستقلال،[3] فإيديولوجية العلماء المسلمين الجزائريين لم تكن تختلف عن إيديولوجية نجم شمال إفريقيا من حيث الخطوط العريضة، على ما ذكر الأستاذ العربي الزبيري.[4]

---

(1) – العلوي، المرجع السابق، ص: 166-167.

(2) – الزبيري، المثقفون الجزائريون ، ص 20.

(3) – مطبقاني، المرجع السابق، ص: 144.

(4) – الزبيري، المثقفون الجزائريون، ص: 25.

فالتيار الإستقلالي إختار الوسائل السياسية المتاحة وقتها، وسلك نهجا متطرفا منذ البداية ضد الإستعمار، في حين إنتهجت الجمعية الوسائل الثقافية والدينية وفضلت التريث. ولعل ما يجعل هذه الوسائل مجتمعة في نظر الجمعية هو التعليم العربي، الذي يرتكز على المبادئ الإسلامية ويغذي الروح الوطنية. أما من حيث المبدأ، فإن كلا من التيار الإستقلالي والتيار الإصلاحي هدفا إلى دحر المستعمر وطرده من أرض الوطن، وقد كان أمرا متفقا عليه ولا رجعة فيه.

وفي نظر المؤرخين أيضا أن أهم عمل سياسي قام بِهِ زعماء التيار الإصلاحي في الجزائر وعلى رأسهم إبن باديس، هو ترويج الجمعية لِفكرة الأمة الجزائرية والدفاع عن أصالتها والوقوف ضد التجنيس والإندماج في الوسط الفرنسي، فقد تصرفت في المؤتمر الإسلامي كحزب سياسي عندما دعت إلى عقده.[1]

والحقيقة التي لا ينبغي إغفالها هي أن الشيخ إبن باديس نفسه:" كان لا يغفل في الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد. -على حد قوله- فلم يكن إبن باديس معلما ومربيا ومنظرا فقط بل كان طرحه لِلقضايا السياسية أكثر واقعية، من خلال تبيان حقيقة الإستعمار بقوله:" هو إستيلاء أمة على أمة لإذلالها وإستغلالها، ومنعها من إستثمار مواهبها الإنسانية في مصلحة البشرية جمعاء، حتى تبقى دائما موردا لِلأمة المستولية عليها." هذا من جهة. أو في محاربة إبن باديس لِلسياسة الإستعمارية من خلال نشر الوعي الوطني والديني بكل الوسائل والأساليب من جهة أخرى.[2]

وعليه من هذا المنطلق عملت جمعية العلماء المسلمين منذ ظهورها على المطالبة بإلغاء جميع الإجراءات والتدابير القمعية الإدارية كانت أو وزارية لِضمان حرية التعليم باللغة العربية.[3] بإعتبار التربية والتعليم أنجع سبيل لِتخليص الشعب من السيطرة الإستعمارية، بل إن الوصول إلى الكفاح المسلح يقتضي تغيير أوضاع المجتمع الجزائري الذي ينبغي أن يكون عربي اللسان، مسلم العقيدة وجزائري الموطن كأولوية حتمية قبل المبادرة إلى الكفاح المسلح.[4]

---

(1) - ناجي، المرجع السابق، ص:36.

(2) - جباري، المرجع السابق، ص: 51

(3) - الزبيري، تاريخ الجزائر، ج1، ص51.

(4) - نفسه، ص25.

ومن هنا كان على الجمعية أن تؤدي دورها على الساحة السياسية الوطنية في مجال التعليم، فقد كان الخلاص الوحيد والسبيل الأمثل لِلوصول إلى الاِستقلال، فالأمة الجاهلة لا يمكنها الحصول على الاستقلال ولا المحافظة عليه، وعلى رأي الشيخ البشير الإبراهيمي:" الأمة التي لا تبني المدارس تبنى لها السجون..." [1]

إن الوصول إلى الاِستقلال الوطني عبر الفكر الإصلاحي لِلجمعية كان يفرض عليها خوض عدة جبهات وحلبات صراع ضد المستعمر وأنصاره دعاة الإدماج والفرنسة والتنصير، وكذا أصحاب البدع والخرافات والشعوذة من المنتسبين لِلطرقية الموالية لِلاِستعمار.[2]

وبميلاد الجمعية ولدت المدرسة الجزائرية العصرية الحرة، وولد معها التعليم الجزائري العربي المعاصر، ومنها ولد أيضا الطالب الجزائري العربي المسلم المعاصر، وبظهور حزب الشعب ولد التيار الثوري، الذي نهل منه هذا الطالب، بل نهل منه حتى عدد من معلمي الجمعية، الذين كانوا أيضا بطريقة سرية أعضاء في حزب الشعب الجزائري في الوقت نفسه، لأنهم آمنوا بأهدافه في الحرية والاِستقلال.[3]

وعليه وبناء على ما سبق فإن جمعية العلماء المسلمين منذ نشأتها تمكنت من صياغة جملة من الأهداف التربوية النابعة من مشروع وطني متكامل ومتميز أهدافه تتلخص في:

- التغيير داخل الإطار العربي الإسلامي.
- رفض التجنيس والتعليم الفرنسي الإجباري.
- تنظيم التعليم العربي وبعثه من جديد في المدارس والمعاهد والجامعات، خاصة تلك التي اِستولت عليها الإدارة الاِستعمارية عشية الاِحتلال، بل وفك الحصار المضروب على التعليم ومؤسساته.
- العمل على اِسترجاع القضاء الإسلامي وعدم المساس بالهوية الوطنية، بالحفاظ على الشخصية الجزائرية.[4]

---

(1) - مطبقاني، المرجع السابق، ص89.

(2) – المرْجِع نفْسُهُ، ص89.

(3) - سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص147.

(4) رابح دبي، **السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليه 1830-1962، دراسة نظرية تحليلية**، أطروحة مقدمة لِنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، كلية العلوم الإنسانية والاِجتماعية، قسم الأرطفونيا، 2011/2010م، ص:4-5.

وفي السياق ذاته أنشأت جمعية العلماء المسلمين، فروعا لها تعنى بالجانب العلمي والتربوي، وفي هذا الصدد تكونت جمعية التربية والتعليم الإسلامية التي ترأسها الشيخ اِبن باديس شخصيا، يقول اِبن باديس:" في سنة 1349هـ/1930م رأيت أن أخطو بالمكتب خطوة جدية وأخرجه من مكتب جماعة إلى مدرسة جمعية، فحررت القانون الأساسي لجمعية التربية والتعليم الإسلامية وقدمته بِاسم الجماعة المؤسسة إلى الحكومة فوقع التصديق عليه."[1]

جاءت فكرة تأسيس هذه الجمعية بعدما كان التعليم محصورا في المساجد ولِلكبار فقط، أما الصغار فمعظمهم كانوا في الكتاتيب القرآنية، وما لَبثت فكرة التدريس أن تطورت إلى تأسيس مكتب يعنى بالتعليم الاِبتدائي العربي، ساهم في طرح فكرة إنشائه وتأسيسه كل من السيد العربي والسيد عمر بن مغسولة حسب اِبن باديس نفسه. لِيتطور المشروع إلى جمعية تعنى بالتعليم والتربية بداية من 1930م. هذه الأخيرة التي تضمن قانونها الأساسي من الوجهة التربوية ضرورة تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم.[2]

وقد وجدت هذه الجمعية إقبالا منقطع النظير لِلشباب الجزائري منذ أن دعاهم إليها الشيخ اِبن باديس في أفريل 1933م: حيث قال:" رأيت أن أبعث في الجمعية روحا جديدا لِلجد والنشاط بدعوة جماعة الشبان المنخرطين في عضوية الجمعية لِتأسيس فرع منهم ينهض بالجمعية نهضة فتية صادقة.."[3].

وفي تتبعها لِلنشاط التربوي التعليمي الذي اِضطلعت به جمعية العلماء المسلمين، نشرت إحدى المجلات الفرنسية عام 1955م دراسة تذكر فيها دور مدارس جمعية العلماء المسلمين في تكوين جيل من الجزائريين الشباب المشبع بأفكار الحس الوطني والمتمسك بتقاليد التراث العربي الإسلامي، غير أن أكثر ما شدّ اِنتباهها واِنتباه الصحف الفرنسية الأخرى، هو أن الأجيال الجزائرية التي كانت تتخرج فيْ هذه المدارس سوف يكون طابعها تأكيد اِنفصالها عن الحضارة الغربية، في الإشارة إلى الصحوة الوطنية التي

---

(1) – عبد الحميد بن باديس، " **جمعية التربية والتعليم الإسلامية"، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، بقلم الشيخ عبد الرحمان شيبان، السلسلة 3، دار المعرفة، الجزائر، ص: 69.

(2) نفسه، ص: 70.

(3) نفسه.

تقوم بها مدارس الجمعية لما يتعلمه الأطفال فيها منْ مواضيع التاريخ الوطني الذي شوهه المستعمر.[1] أومن الأناشيد الوطنية والحماسية التي كانت تهدف إلى إثارة الخوف من الأجنبي وكرهه... [2]

وتكملة لما سبق، فعندما اِنشغلت الجمعية بنشر التعليم في برنامجها الإصلاحي المبني على نشر الوعي الوطني في أوساط الجزائريين منذ نشأتها، عمدت السلطات الاِستعمارية عن طريق إدارة شؤون الأهالي في الفترة الممتدة مابين 1924 إلى 1930م، إلى محاولة التقليل من أهمية هذا النشاط، واِتهام علماء الإصلاح بالميولات الشيوعية، في وقت اِزداد فيه نشاط الحركة الشيوعية العالمية، وهو ما تؤكده تقارير دوائر الشرطة الفرنسية لِسنة 1925م.

وجدير بالذكر أن محاولة تقزيم دور علماء الإصلاح، واِتهامهم بالشيوعية، يحمل في طياته هاجس الخوف الذي كان يعتري الإدارة الاِستعمارية تجاه القبول الذي حظي به علماء الإصلاح في أوساط الجماهير الجزائرية، وقد نقلت جريدة "البرق" حينها في إحدى مقالاتها ما نصه: " فلا تبدر بادرة من عالم يريد بها إصلاح الأمة إلا وتجتهد الحكومة في اِتهامه بأنه يدعو الناس إلى المروق وشق عصا الطاعة وأقل ما يتهم به أنه شيوعي مشوش."[3]

واِستمرت الإدارة الفرنسية بالجزائر في التحامل على علماء الإصلاح ونعتهم بأسوء الأوصاف، وأنهم يسعون لبث الفرقة بين طبقة الشباب المثقفين، لا سيما وأن التقارير التي كان ينقلها المستشارون السياسيون لحكامهم العامين، لا تفتأ تصف الحركة الإصلاحية التي تزعمها اِبن باديس، على أنها اِمتداد لحركة الأمير خالد، والأدهى في هذا كله أن تقارير هؤلاء المستشارين سعت لِتحييد علماء الإصلاح عن الشعب الجزائري من خلال إيهام الرأي العام في داخل الجزائر وخارجه أن الجزائريين غافلون تماما عن

---

(1) – في هذا الصدد نذكر ما كتبه الشيخ مبارك الميلي في كتابه: تاريخ الجزائر في القديم والحديث" الذي يعبر بلا شك عن صحوة وطنية ويقظة الوعي بأهمية التاريخ في تثْبيتِ الشعور الوطني لَدى الشباب، وهو الكتاب الذي باركته الجمعية وثمنت أفكار صاحبه وشدت على يده على ما ذكر في مقدمة هذا الكتاب التي كتبها الشيخ اِبن باديس –رحمه الله–. أُنظر: – علاوة عمارة، الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لِكتابة تاريخ الجزائر، **مجلة المواقف**، العدد3، منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطنبولي، معسكر، ديسمبر 2008، ص: 2–11.

(2) – مطبقاني، المرجع السابق، ص: 92–93.

(3)– نفسه، ص: 81.

العلماء ولا يولون لهم اِهتماما، وأن جل همهم منصب على حاجاتهم المادية تقصد بذلك الشعب الجزائري.[1]

وإنصافا لِلتاريخ نقول: إن الكثير ممن فجروا الثورة التحريرية سنة 1954م، كانوا من خريجي خلايا حزب الشعب ومن خريجي مدارس جمعية العلماء.[2] وإن الذين يعرفون الظروف التي ولدت فيها الثورة، لا سيما منذ سنة 1954م، يدركون أن هناك رجالا كانوا يعدون لها بطرق مختلفة وليس بطريق واحد، فمنهم من كان يعد لها بتوفير الأسلحة والتدريب العسكري على غرار مناضلي حزب الشعب ومنهم من كان يخطط لها بالتكوين المعنوي وتربية النفوس على حب الوطن والجهاد في سبيله والدفاع عن مقوماته، ولكنهم جميعا كانوا يعتقدون أن جهودهم لِلإعداد لِلثورة تكمل بعضها البعض.[3]

وإنصافا لِلحقيقة كذلك ينبغي الإشارة إلى أن العشرات من الطلبة الجزائريين ممن فجروا الثورة كانوا من أبناء جمعية العلماء المسلمين، على غرار طلبة معهد اِبن باديس بقسنطينة[4]، الذين خصهم الأستاذ أبو القاسم سعد الله بالذكر في معرض حديثه عن هذه المشاركة حين سرد مثالا نقله شاهد عيان يقول فيه:"... لاحظنا أن عددا من زملائنا قد اِختفوا عن الأعين ولم يعودوا يأتون لمواصلة دراستهم، وبمرور الوقت، بدأنا نكتشف أسباب اِنقطاعهم عن الدراسة. فبعدما كان الشيخ أحمد حماني – رحمه الله- يبدأ بالمناداة على الطلبة ليعرف من حضر ومن غاب عن درسه، اِستوقفه أحد الطلبة وأخبره بأن الطالب" **عاطف**" قد اِنقطع عن الدراسة و"طلع" والمقصود بذلك طلع إلى الجبل والْتحق بالثورة، فكان الشيخ حماني رحمه الله يبتسم ويقول: "هذا دار قاز"، ثم تلاه طلبة آخرون... وآخرون، إلى أن تم توقيف

---

(1)- نفسه، ص: 81.

(2) – سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص: 148.

(3) – محمد البشير الإبراهمي، **آثار البشير الإبراهيمي(1954، 1956)**، جمع وتقديم، أحمد طالب الإبراهيمي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص:5.

(4) – في هذا الصدد أورد المجاهد والضابط في جيش التحرير الوطني، والطالب في معهد اِبن باديس قبل الثورة التحريرية ما بين 1953/1952" أبو بكر مسعودي" من مواليد 1933/08/25م، بسيدي عقبة ولاية بسكرة ، قائمة كبيرة بِاسم المجاهدين والشهداء ممن تكونوا على يد جمعية العلماء المسلمين في معهد اِبن باديس بقسنطينة، في رسالة بمثابة شهادة حية قبل أن تتوفاه المنية- رحمه الله- سنة .2002. هذه الرسالة التي جاء ذكرها ضمن الموقع الإلكتروني عبد الحميد اِبن باديس، نقلها أمانة عنه الأستاذ: "عبد المالك حداد" تحت عنوان: طلبة معهد الشيخ اِبن باديس بقسنطينة في جيش التحرير الوطني. ولِلأمانة التاريخية نقلنا بعضا مما جاء في هذه الرسالة مصورة في آخر البحث.

التدريس بمعهد اِبن باديس بقرار من السلطات الفرنسية التي تفطنت لِلموضوع. حيث اِكتشفت السلطات الاِستعمارية أن أساتذة المعهد وطلبته يدعون سرا وعلانية لجيش وجبهة التحرير الوطني. [1]

والأمر نفسه ينطبق على خريجي مدرسة دار الحديث بتلمسان التابعة لِلجمعية والتي لا تزال إلى يومنا تحمل في ساحتها نصبا تذكاريا لِعدد لا بأس به من الشهداء، ممن اِنظموا إلى الثورة التحررية وكانوا جنودا أوفياء لها. من بينهم على سبيل المثال لا الحصر (علي بودغن) المعروف تاريخيا بِاسم العقيد لطفي قائد الولاية الخامسة التاريخية. [2]

وفي السياق دائما يبدو أن مشاركة الشباب الجزائري في العمل الثوري ممن تكونوا على يد الحركة الإصلاحية، لم تقتصر على العمل العسكري فحسب، ذلك أن جبهة التحرير الوطني اِعتمدت على الكثير منهم في المهام العسكرية، كما تعدى ذلك إلى المشاركة في هياكل الثورة السياسية، وعلى المستويين الداخلي والخارجي، فمنذ تأسيس الاِتحاد العام لِلطلبة المسلمين الجزائريين بباريس مابين (8 و14) ماي 1955م، والذي تشكل في غالبيته من شباب نشؤوا داخل الحركة الإصلاحية وحزب الشعب الجزائري ونهلوا من مبادئهما، وبأمر من جبهة التحرير الوطني، وبتوجيه منها كان لِلاِتحاد المذكور نشاط مكثف داخل الجزائر وخارجها، من ذلك، القرار التاريخي الذي اِتخذه الاِتحاد يوم 20 فيفري 1956م والقاضي بتنظيم أسبوعين لِلتضامن مع الجزائريين المعتقلين في السجون الفرنسية، على أن يكون اليوم الأول هو يوم القرار ذاته، يوم إضراب عن الدراسة والطعام معا، لِيتزامن هذا القرار مع دعوة جبهة التحرير الوطني لِلطلبة الجزائريين في الجزائر وخارجها إلى إضراب عام، فلم يتردد الطلبة في التجاوب معه بإخلائهم لِلمدارس والجامعات والْتحاقهم بالثورة[3]. حتى أن الكثير من هؤلاء الطلبة شكلوا نواة لِنشاطات سياسية وثقافية نظمتها مكاتب جبهة التحرير في الخارج، والتي بلغ عددها 18 مكتبا موزعة على القارات الأربع

---

(1) – سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص: 230.

(2) – أبو مريم الجزائري من عائلة الشهيد عبد الحفيظ بوذراع أحد تلاميذ مدرسة دار الحديث، مدارس جمعية العلماء المسلمين، نقلا عن كتاب "**المسيرة الرائدة لِلتعليم العربي الحر بالجزائر** " ج 3 ، لِلأديب محمد الحسن فضلاء – رحمه الله، شركة دار الأمة لِلطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر أفريل 1999م، منتديات الجزائر تاريخ الجزائر. 2009

(3)– الزبيري محمد العربي، **تاريخ الجزائر المعاصر**، اِتحاد الكتاب العرب، د.م. ط،1999، ، ج2، ص: 65.

(آسيا، إفريقيا، أوربا وأمريكا)، في محاولة منها لِكسب الدعم المادي والمعنوي اللازم لِلثورة، خاصة في الدول الغربية الحليف الطبيعي والإِستراتجي لِفرنسا. [1]

(1) – عمر بوضربة،" لمحات عن الطلبة والأوساط الجامعية في نشاط المكاتب الخارجية لِلحكومة المؤقة لِلجمهورية الجزائرية، (1960/1958م) **مجلة المصادر**، ع10، المركز الوطني لِلدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، السداسي الثاني، 2007.

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات حول صاحب قائمة أعضاء جيش التحرير الوطني والمنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني من طلبه محمد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة :

أبو بكر بن عبد الله مسعودي من مواليد 18/08/1933 بسيدي عقبة ولاية بسكرة.

التحق محمد عبد الحميد بن باديس أثناء السنة الدراسية 1952/1953 بعد اتمام الدراسة بمدرسة الارشاد ببسكرة التابعة لجمعية العلماء، أين كان والده يشتغل التجارة وكان مدير مدرسة الارشاد المرحوم لم يكن الغسيري خلفا للمرحوم لمحمد الصالح بن عتيق أول مدير لها.

درس بالمعهد الباديسي السنوات الثلاث الأولى وانقطع عن الدراسة أثناء عطلة وفاة رائد النهضة العربية الإسلامية بالجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس 16/04/1940 ليلتحق أثناءها بفصائل جيش التحرير الوطني بالأوراس تدرج في المسؤولية من جندي كاتب الى نائب مسؤول الناحية وبعد مؤتمر الصومام في شهر أكتوبر 1956 عين ملازما سياسيا بنفس الناحية الأولى المنطقة الثانية الولاية الأولى من طرف الشهيد الصالح الأول (زيغود آنذاك) عميروش آيت حمودة مبعوث لجنة التنسيق والتنفيذ الى الولاية الأولى بصفة خاصة.

في شهر فيفري 1957 استدعي الى تونس للمشاركة في اجتماع إطارات الولاية الأول هناك فقت (اشراف الشهداء) الصالح الثاني (عقيد) عميروش آيت حمودة، والصالح الأول محمد لعموري والصالح الأول احمد نواورة في شهر أفريل 1957.

في شهر ماي 1957 كلف من طرف الصالح الشهيد عميروش بقيادة كتيبة ضمن قافلة نقل الأسلحة والذخيرة من تونس الى الولاية الثالثة بقيادة المرحوم احمد البسباسي وهي القافلة الثانية عبر الولاية 3 فقد سبقتها القافلة الأولى بقيادة محمد لقليلي وعادا عبر الولاية الثانية.

في الولاية الثالثة عينت من طرف الشهيد الصالح الثاني عميروش نائبا عسكريا ضمن الرتبة ان ذاك ملازم (برشع) ، قائد الناحية الملازم الثاني آنذاك الشهيد عبد القادر عزيل المدعو البركني السعودي، وبعد استيلاء جيشنا على مركز للعدو المعروف بمركز الغوران بجبل الضلعة ولاية مسيلة رقيت الى رتبة ملازم ثان قائدا للناحية الثانية المنطقة الثانية الولاية الثالثة (حيزر ولاية بومرداس) ثم رقيت الى رتبة نقيبا أول للاخبار والاتصال بنفس المنطقة.

في ديسمبر 1957 كلفت من طرف الصالح الثاني عميروش، بعد عودته من اجتماع العقداء بالولاية الثانية وبعد انفجار جهاز الارسال والاستقبال وانقطاع الاتصال بتونس لاسلكيا، بمهمة لدى قائد الولاية السادسة الشهيد سي الحواس لارسال من الولاية وعلى طريق عبور الولاية الى تونس.

في مارس 1959 أسرت أثناء معركة الوفراق دائرة المنصورة ولاية
برج بوعريريج حاليا، والتي استعملت فيها كل أنواع أسلحة العدو ما فيها
النابالم والغارات الشاملة متأثرا بجراحي البليغة.
بعد الاستقلال اخترت مهنة حرة (مطبعة ومكتبة) ببسكيكدة التي
كان والدي مقيما بها.
شاركت في الانتخابات البلدية الأولى من نوعها بعد الاستقلال لمدة
عشرتين 1963/1967 و1971/1975 كنائب لرئيس المجلس الشعبي البلدي ببلدية
بسكيكدة وشاركت في نشاطات أخرى داخل إطار جبهة التحرير الوطني، آخرها
تعاضو بالمكتب الولائي لمنظمة المجاهدين ببسكرة والآن متقاعد ضمن
الإطارات السامية للأمة ببسكرة.
أشيرهنا بأن فكرة إحضار هؤلاء الطلبة جاءتني بعد هذه الهدات الشرسة، لإبعاد معجمية
العلماء، الرائدة في ميدان إعداد الرجال والحفاظ على هويتنا العربية الإسلامية، من الحقل
الوطني ومشاركتها في تحرير البلاد والعباد من هيمنة الاستدمار الفرنسي، وهذا مساهمة
متواضعة مني ووفاء لهذه الجمعية الرائدة، كما أشيرهنا بأن القائمة لازالت مفتوحة
وأنني مقتنع بأن العدد أكثر بكثير من هذا الذي سجلت، وأن الفارق الزمن والظروف
حالت دون تحقيق ذلك، وأنبه بهذه المناسبة، بأن الكثير من هؤلاء الطلبة المجاهدين
التحقيت بهم بالولايات الأربع: الأولى والثانية والثالثة والسادسة وكلهم إطارات
عسكرية والشهيد محمد شعباني (الأولى والسادسة).
أخيرا أرجو من إخواني ورفاقي الذين لم أتمكن من تسجيل أسمائهم ضمن القائمة،
أو من الذين لم أوفق في تحديد الجهة التي ينتمون إليها أو عدم تسجيل المسؤوليات
التي تقلدوها أثناء الثورة وبعدها أو تاريخ الالتحاق، أن يعذروني لعدم تمكني من
ذلك، وسأكون لهم من الشاكرين إن هم زودوني بذلك ومعلومات إضافية عن
إخواننا ووطننا. والله ولي التوفيق والسلام.

بسكرة في 03 ذو الحجة 1419هـ
الموافق لـ 19 مارس 1999م
أبو بكر مسعودي عضو بجيش التحرير الوطني

شهادة المجاهد المرحوم أبو بكر المسعودي في حق طلبة معهد إبن باديس الملتحقين بالثورة التحريرية(1)

(1)- عبد المالك حداد، **طلبة معهد الشيخ إبن باديس بقسنطينة في جيش التحرير الوطني**، موقع عبد الحميد إبن باديس، رائد النهضة العلمية والفكرية بالجزائر 1889-1940، الإثنين 5نوفمبر 2012م.

– قائمة المصادر والمراجع:

– الإبراهمي محمد البشير ، **آثار البشير الإبراهيمي(1954، 1956)**، جمع وتقديم، أحمد طالب الإبراهيمي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

– ابن باديس عبد الحميد، " **جمعية التربية والتعليم الإسلامية"، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، بقلم الشيخ عبد الرحمان شيبان، السلسلة 3، دار المعرفة، الجزائر.

– بوضربة عمر،" لمحات عن الطلبة والأوساط الجامعية في نشاط المكاتب الخارجية لِلحكومة المؤقة لِلجمهورية الجزائرية، (1960/1958م) **مجلة المصادر**، ع10، المركز الوطني لِلدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، السداسي الثاني، 2007م.

– جباري مسعود، **الفكر السياسي عند عبد الحميد بن باديس**، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، 2002/2001م.

– دبي رابح، **السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليه 1830–1962، دراسة نظرية تحليلية**، أطروحة مقدمة لِنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم الأرطفونيا، 2011/2010م.

– الزبيري محمد العربي، **تاريخ الجزائر المعاصر**، إتحاد الكتاب العرب، د.م. ط،1999م.

– الزبيري محمد العربي، **تاريخ الجزائر المعاصر**، منشورات إتحاد الكتاب العرب، د.م . 1999م.

– الزبيري العربي ، **المثقفون الجزائريون والثورة**، منشورات المتحف الوطني لِلمجاهد، 1986م.

– سعد الله أبو القاسم ، **أبحاث وآراء الجزائر**، ج2، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

– فضلاء محمد الحسن، "**المسيرة الرائدة لِلتعليم العربي الحر بالجزائر** "، شركة دار الأمة لِلطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر أفريل 1999م، منتديات الجزائر تاريخ الجزائر. 2009م.

– قنان جمال، **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830–1914**، ديوان المطبوعات الجامعية،2007م.

– قنانش محمد ، **الحركة الإستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919–1939**م، الشركة الوطنية لِلنشر والتوزيع،الجزائر،1982م.

– العلوي محمد الطيب ، **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830–1954**، ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، د.ت.

– عمارة علاوة، الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لِكتابة تاريخ الجزائر، **مجلة المواقف**، العدد3، منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطنبولي، معسكر، ديسمبر 2008م.

– غالم محمد، "من أرشيف الإدارة الإستعمارية في الجزائر، الوثائق الفرنسية والهجرة إلى الديار الإسلامية"، **إنسانيات**، عدد12، سبتمبر–ديسمبر2000م.

– كميل ريسلير، **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر، أهدافها وحدودها (1830–1962)**، (**تعليقات جزائرية على شبه–إعتراف فرنسي**)، ترجمة وتعليق: نذير طيار، ط1، دار الكتابات الجديدة لِلنشر الإلكتروني، سلسلة دراسات وكتابات ثقافية (29)،أغسطس 2016م.

- مطبقاني مازن صلاح أحمد ، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية، 1239-1385هـ/1931-1939م**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، طيبة، السعودية،1994-1995م.

- دبي رابح، **السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليه 1830-1962، دراسة نظرية تحليلية**، أطروحة مقدمة لِنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم الأرطفونيا، 2011/2010م.

- ناجي عبد النور، "البعد السياسي في تراث الحركة الوطنية"، **مجلة التراث العربي**،العدد: 107، صدر العدد بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2007م.

الأستاذة: نوادري فريدة

أستاذ محاضر (أ)

جامعة محمد بوضياف المسيلة

Nouadri.f05@gmail.com

رؤية في بناء المجتمع في فكر عبد الحميد بن باديس

مقدمة

إن فكرة بناء المجتمع والرجوع بالأمة عامة والأمة الإسلامية خاصة إلى مكانتها و ريادتها الحضارية كانت الفكرة الجوهرية و المحورية الأولى التي أرهصت وشغلت مفكري عصر النهضة فإتصبت أفكارهم و توجهاتهم ومشاريعهم البنائية متعددة ومتنوعة وخصبة وهذا لتنوع الرؤى و المستندات المرجعية التي ينظر لها كل مفكر إلى الفكرة فكان في طليعة هذا المنطلق الفكري عبدالحميد بن باديس الذي إهتم بأسباب تخلق المجتمع الجزائري فصرف جهده الفكري لمعالجة هذا الداء الذي تغلغل في جسد الأمة الإسلامية عموما والجزائر على وجه الخصوص حيث أدّى دورا بارزا في إحراج المجتمع الذي غرق لمدة قرون في أعماق الجهل وعقلية الإنبطاح و الإستسلام لِلأمر الواقع والقابلية لِلإستعمار، جاء جهده لِتأسيس مجتمع رشيد وعليه يَتمحور إشكالُنا حول:

ما طبيعة المشروع البنائي لِلمجتمع؟

كيف كانت وجهة نظره في قضية تخلف الأمة العربية عموما و الجزائر على وجه الخصوص؟

ماهي الآليّات و المناهج التي إتبعها لِلنهوض بالمجتمع الجزائري؟

من هذا المنطلق جاءت معالجتنا على النحو الآتي:

1- مفهوم المجتمع:

هو أكبر وحدة في التحليل السوسيولوجي أي أكبر وحدة من وحدات الحياة الإجتماعية، فهو يحتوي على عدد من المجتمعات المحلية والوحدات والمؤسسات، كما يعرف بأنه جماعة بشرية تقطن حيزا جغرافيا لِفترة محددة، فتنشأ بينها علاقات لِتحقيق غايات الأفراد. (إبن خلدون عبد الرحمان،2011م، ص48).

2 – مفهوم البناء الإجتماعي:

فهو يعبر عن مجموعة العلاقات المنظمة التي تربط الأجراء بالكل الذي تكونه و تعمل فيه، ويتميز في جميع أنواع العلاقات الإجتماعية المنظمة والثابتة نسبيا بين أطراف العلاقات، وفكرة البناء الإجتماعي هي أكثر الأفكار الأساسية في علم الإجتماع، حيث تشمل دراسة أي وجه إجتماعي في علاقته مع الأوجه الأخرى ضمن الوحدة الإجتماعية الوحدة. (إبراهيم عيسى عثمان، 2009م، ص102).

3 – التغير الاِجتماعي:

يعتبر التغير الاِجتماعي تحولا مشاهدا في الزمان يصيب بطريقة غير مؤقتة أو عابرة بنية أو سير التنظيم الاِجتماعي لمجتمع معين مغيرا مجرى تاريخه. (داود معمر، 2010م، ص33)، ومن تم كان حري بنا أن نتطرق لأوضاع الجزائر في عصر اِبن باديس حتى يمكننا الاِطلاع وفهم المناهج الإصلاحية التي قام بها في مختلف الميادين من أجل النهوض بالمجتمع الجزائري لا بد من العودة إلى الوراء لمعرفة الوضع العام في المجال السياسي والاِقتصادي والاِجتماعي والثقافي والديني التي كانت عليه الجزائر.

4 – أوضاع الجزائر في آواخر القرن التاسعَ عشرَ:

4–1– الوضع السياسيّ:

كانت ولادته في 1889 وهي مرحلة التي حققت فيها فرنسا اِنتصارات سياسية وذلك بوضع آليات من أجل إخضاع الشعب الجزائري وسط نفوذها على كامل التراب الوطني ومحاولة طمس الهوية الوطنية ومحو مقومات الشخصية الجزائرية والقضاء على أركان المجتمع الجزائري والمتمثلة في القبيلة أساسا وكان من النتائج تدمير لِلقرى والمساكن وإتلاف ومصادرة الأراضي الزراعية، كل ذلك تحت غطاء العقوبة الجماعية لِلقبائل التي ساندت زعماء المقاومة ومن أجل تجسيد المركزية في التسيير أصدرت الإدارة الفرنسية قرارات تحدد الوظائف الإدارية. (عبد القادر فضل و محمد صالح رمضان، 2010 م، ص 36).

كما اِنتهجت عدة سياسات من أجل إخضاع الشعب الجزائري و منها سياسة فرق تسد وكذا قانون الأهالي. كل هذه السياسات وغيرها من القوانين الجائرة التي ظلت فرنسا تضعها من أجل تحقيق أهدافها الاِستعمارية والقضاء على الوحدة الشخصية الوطنية كانت بمثابة الضربة التي جعلت الشعب الجزائري يستفيق و بهذا بدأتْ بوادر الوعي السياسي.

4–2 – الوضع الاِقتصادي:

لقد عمد الاِحتلال الفرنسي منذ أن وضع أقدامه بالجزائر إلى إقامة اِقتصاد زراعي اِستعماري تابع لِلاِقتصاد الفرنسي ويخدم بالدرجة الأولى مصالحهُ، حيث سخرت نسبة كبيرة من الأراضي لِزراعة الكروم وأهملت زراعة الحبوب التي كانت الغذاء الأساسي لِلشعب الجزائري كما خصصت جزءاكبيرا من الأراضي الخصبة لِزراعة الخضروات والموالح والحلفاء والفلين بغرض تصديرها إلى الخارج، كما أن المستوطنين الأوروبيين يملكون 95% من أراضي الكروم التي كانت مخصصة لإنتاج الخمور التي كانت تصدر إلى فرنسا خاصة واِنخفض إنتاج الحبوب بنسبة كبيرة مقارنة بما كان عليه في السنوات السابقة، أما

الأهالي فكانوا يزرعون الحبوب ويملكون القسط الأكبر من قطعان الماشية وأكثر إنتاجهم يستهلك محليا. (فرحات عباس، 1962م، ص 110).

وما أزم الوضع الاِقتصادي وأثر فيْ الجانب الاِجتماعي والثقافي هو قانون مصادرة الأراضي التي كانت ملكا وقفيا أو ملكا لِلحكومة الجزائرية وملكية فردية والتي كان لها أثر كبير فيْ المعاهد العلمية التي كانت عائداتها تعتمد عليها في مشاريعها.

4-3- الوضع الاِجتماعي:

لقد حولت الأوضاع الاِقتصادية المجتمع في القطر الجزائري إلى مجتمع طبقي أغلبيته معدومة محرومة من كل حقوقها المدنية والسياسية ونتيجة تخصيص المستوطنين الأوروبيين لجزء كبير من الأراضي لِزراعة الكروم وأصبح المحصول الزراعي من الحبوب جد محدود ما نتج عنه مجاعة شديدة كل هذا أدى إلى تقسيم المجتمع إلى طبقتين هما الطبقة الإقطاعية و الطبقة الفقيرة. (أحمد توفيق المدين، 1956م، ص 151)

وأيضا من ملامح الوضع الاِجتماعي المتدهور الهجرة الأوروبية إلى الجزائر والهجرة الجزائرية إلى خارج الوطن.

- الهجرة الأوروبية إلى الجزائر:

فتح الاِستعمار الفرنسي الباب واسعا أمام الهجرة الأوروبية إلى الجزائر بقصد الاِستيطان وذلك بهدف إبعاد الجزائريين عن اِستصلاح أراضيهم والتعلق بها ثم الدفاع عنها وصاحب هذا المشروع هو الجنرال بيجو. (شريط عبدالله، 1966م، ص 113)

- الهجرة الجزائرية إلى خارج الوطن:

لقد هاجر عدد كبير من العائلات إلى خارج الوطن من بعد فشل الثورات المسلحة التي قام بها زعماء القبائل ورجال العلم أمثال الأمير عبد القادر وثورة القبائل جرجرة الكبرى عام (1870-1871م) وغيرها من الثورات كما هاجر عدد كبير من العائلات الجزائرية إلى الشرق وخاصة إلى تركيا فرارا من الحكم الفرنسي وطلب النجدة من الدولة العثمانية وكذلك هاجر إلى مختلف الأقطار العربية تهربا من التجنيد الإجباري.

ومع مطلع القرن العشرين بدأ الكثير من الجزائريين بالهجرة إلى فرنسا بسبب الظروف المزرية التي كانوا يعيشونها في الجزائر و هذه الهجرة كانت في مصلحة فرنسا التي وجدت في ذلك مصلحة إبعاد الجزائريين عن وطنهم ودمجهم في المحيط الفرنسي والاِستفادة من اليد العاملة الزهيدة.(رابح تركي، ص24- 29)

4-4- الوضع الثقافي:

لقد عمد الإستعمار الفرنسي إلى تدمير كل معالم الثقافة والتعلم في الجزائر بعدما كان في أرقى مستوياته قبل الإحتلال وكان هدفها من وراء ذلك القضاء على العروبة والإسلام تمهيدا لِلإنصهار الكلي لِلأمة الجزائرية في الكيان الفرنسي.

وبعد القضاء على التعليم العربي في الجزائر أنشأت سلطة الإحتلال لِلجزائريين تعليما فرنسيا أرادت من ورائه تجريد الشعب من شخصيته العربية الإسلامية وتهيئته لِتقبل التنصير والتجنيس كما قامت الغدارة الفرنسية بإنشاء ما يقارب 90 جريدة ناطقة باللغة العربية أو الفرنسية أو معا هدفها هو طمس الهوية الجزائرية.

4-5- الوضع الديني:

لقد كان الوضع الديني في الجزائر مترديا بسبب السياسة الفرنسية المنتهجة ومن مظاهره حملة التنصير والتبشير فقد كانت وسيلة من قِبَلِ فرنسا لِإستمالة قلوب الضعفاء والمنكوبين جراء التعذيب والقتل الوحشي الفرنسي، إستعمال المبشرين المسيحيين الذين يقومون بإعانة ما خلفته جنودهم من أرامل ويتامى وتحت وطأة الجوع والبؤس والحرمان والمرض وبهذا يتم تنصير الجزائريين وإخراجهم من ملة التوحيد خاصة الأطفال.

كذلك إستغلال الطرق الصوفية وذلك بإستمالتهم إلى جانب المستعمر حيث غذي فيهم التفتح الديني والخلقي ونشر البدع والخرافات مستغلا بذلك تعلق الجمهور الواسع بالأولياء ومقاماتهم وقبابهم. (عمار طالبي، 1997م، ص 47)

وفي الأخير يمكن وصف الفترة التي عاش فيها إبن باديس بأنها أظلم حقبة مرت بها الجزائر طيلة وجودها في الحضارة الإنسانية بعد أن مضى على الوجود الإستعماري في الجزائر قرابة القرن وهي الفترة التي إنتشرت فيها سطوة القمع الإستعماري وقهره لِلشعب الجزائري في مختلف المجالات السياسية والإقتصادية، والإجتماعية والثقافية طمعا منها في طمس ودفن العروبة و الإسلام في المقبرة الفرنسية الصليبية الدينية من سائر مظاهر الشرك الخفي الذي تسرب إليها عن طريق الجهل بالإسلام ثم عن طريق رجال الطرق الصوفية الذين كثروا من البدع في الدين.

5– مقومات مشروع المجتمع عند اِبن باديس:

إن الوضع الذي كانت تعيشه الجزائر أثناء الاِحتلال الفرنسي، والسياسة الاِستعمارية الرامية إلى ضرب مقومات الشخصية الوطنية تأكد اِبن باديس بضرورة تغيير العقلية الجزائرية المقنعة بالقدر وهو الاِستعمار الفرنسي وعليه بادر بتسطير مشروع تربوي إصلاحي قائم على مجموعة من المقومات والتي سوف نذكر ها في النقاط الآتية:

– إصلاح الفرد والمجتمع:

إن منهجه في الإصلاح الديني والأخلاقي والاِجتماعي لا يخرج عن هذا النطاق حيث يرى أن العقائد السليمة هي قاعدة الإصلاح في المجتمع وكان ينادي بأن حالة التدهور العام التي وصل إليها المسلمون في القرون الأخيرة، إنما تعود إلى تدهور العقيدة لدى الفرد المسلم وتطرق الشرك الخفي إليها، لِذلك ليس هناك علاج لهذه الحالة إلا إصلاح العقيدة.(رابح تركي، 1984م، ص 160)

– محاربة التجنيس والتنصير:

رأى اِبن باديس أن فكرة بناء المشروع الوطني الجزائري لا بد أن ترتكز أساسا على محاربة التجنيس الذي كانت تدعو إليه الإدارة الاِستعمارية لأِن ذلك يؤدي إلى ذوبان الشخصية الجزائرية بكل أبعادها العقائدية والفكرية والحضارية و لِلحفاظ على هذه الشخصية لا بد من الدفاع عنْ مقوماتها الأساسية من لغة ودين. (مالك بن خليف، 2010م، ص 251)

– تحرير الفكر الإسلامي من البدع و الخرافات:

يرى اِبن باديس أن سلوكات الطريقة التي تعتمد على الأوهام و الخرافات وتتسم بالغموض سواء ما يتصل بالدين والدنيا هو الأمر الذي جعلها سببا في الأمراض الاِجتماعية والفساد والاِنحراف الديني والجهل والإهمال في الحياة.

– إحياء الاِنتماء الحضاري:

لقد أدرك اِبن باديس مدة خطورة السياسة التي بادرت فرنسا في ترويجها بأن اِحتلالها لِلجزائر جاء بقصد تحضير الشعب وتحريره من الاِستبداد العثماني، حيث إن الواقع عكس ذلك تماما، فكل المؤشرات تشير بوضوح إلى تراجع الشعور بالاِنتماء الحضاري لِلشعب الجزائري بفعل السياسة الاِستعمارية الهادفة إلى تجهيله وإبعاده عن دينه ولغته وتاريخه. (عمار بن مزوزه، 2010م، ص 121).

– بعث مقومات التغيير في الواقع الجزائري:

يرى أن الشعوب في مقوماتها ومميزاتها كما تختلف الأفراد ولا بقاء لِلشعب إلا ببقاء مميزاته كالشأن في الأفراد وهذه المميزات يقسمها إلى قسمين الجنسية القومية، والتي تتمثل في الدين واللغة والتاريخ والجنسية السياسية حيث يتمتع كل الشعب بحقوقه المدنية والسياسية والاِجتماعية. وكان مبدؤه السياسي يتلخص في النقاط الآتية: (محمد الميلي، 2007م، ص 178-179)

– نحن قوم مسلمون جزائريون في نظام المستعمرات الجمهورية الفرنسية.

– ديننا الإسلامي يدعو إلى الأخوة والإسلام بين البشر والشعوب.

– الإسلام نظام محكم يهذب أخلاق المجتمع يصلح مفاسده.

– تجاهل دين الشعوب المستعمرة يسبب اِضطرابا اِجتماعيا وسياسيا.

– العمل على لم شعب الأمة الجزائرية و إحياء روح القومية في أبنائها.

– حب الوطن القومي وخدمته هي أول خطوة في خدمة الإنسانية.

– مطالبة فرنسا بإشراك الجزائريين في تسيير شؤون بلادهم السياسية والاِقتصادية.

– تهيئة الأجيال لثورة التحرير:

كان اِبن باديس كثير السؤال عن شباب الجمعية الذين أدوا الخدمة العسكرية وكان يفضلهم عن غيرهم ويخصهم بأحاديث منها هل أديتم الخدمة العسكرية؟ من أجاب بنعم ميزه عن الآخرين وصرح لهم أننا نحتاجهم يوما ما وحثهم على عدم نسيان ما دربوا عليه من أعمال الحرب.(شريط عبدالله ، 1986م، ص 113).

6– أسس الإصلاح الباديسي:

إن نجاح أي عمل لا بد أن يكون مبنيا على منهج ومبادئ مسطرة قبل البدء في أي عمل وهذا ما تفطن إليه اِبن باديس في عمله الإصلاحي التربوي و كان منهجه مبنيا على المبادئ التالية:

– التعليم:

اِعتمد اِبن باديس على مبدأ العلم الصحيح و الخلق المتين اللذيْن يبنى عليهما كمال الإنسان لِذلك نجده يؤكد أنَّ إصلاح التعليم أساس الإصلاح لِأن التعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لِنفسه و غيره. (فهمي جدعان، 1988، ص 460).

ولقد ربط اِبن باديس بين الإصلاح الاِجتماعي والإصلاح التربوي من جهة وبين الإعداد التربوي والتعليمي الجيد لِلنشْءِ ومستقبله.

– النزعة العلمية:

لقد حرص على تحقيق التكامل بين العلم والعمل وربط الجانب النظري بالتطبيقي، لِأن قيمة العلم ليس بما يحمله من المعاني التمويل لما يجسده على أرض الواقع وكانت فكرته في هذا الجانب أن السواد الأعظم من الناس إذا تثقفوا بالعلم وتحلو بآدابه وأشربوا حب العمل واِنبعثت فيهم روح النشاط كان منهم كل خير لهذا الوطن وسكانه. (محمد قرصو، 2010، ص 21)

– تكوين المعلم القدوة:

أكد ضرورة تكوين المعلم الكفء في مختلف المجالات سواء الروحية أو الأخلاقية أو العلمية أو العملية كما أكد أيضا عناية المرء بنفسه والنظر إلى ماضيه وحاضره ومستقبله كذلك أكد تربية المرأة والشباب وضرورة تعليمهم لِأنهم هم عماد المجتمع والأمة.

– الاِهتمام باللغة العربية:

كانت اللغة العربية في قلب اِبن باديس فقد جعلها رفيقة لِلإسلام ذات الشعار الوطني الثلاثي الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا فكان يعتبرها مشروع قيم الأمة وروحها وهي الجسر الذي يصل بين الأجيال وكان هدفه من هذا تنظيم تعليم اللغة العربية إلى محاربة الأمية.(سعد فهمي، 1983م، ص102).

ميادين الإصلاح عند اِبن باديس: ركز على المجالات الآتية:

– الإصلاح العقلي:

يعتبر اِبن باديس واحد من رجال الفكر الإصلاحي الذين نفخوا في روح الحياة التي أسسها الوعي الذاتي والديني وذلك كون أن إصلاح العقول كما نعلم هو المقدمة لِكل إصلاح ناجح في المجتمع وفي هذا الإطار يرى أن عملية التغيير الاِجتماعي ينبغي أن تنطلق من داخل الضمير الإنساني والإسلام الحقيقي الذي مبدؤه الفكر والنظر ولحمته البرهان وبناء العمل على العلم من خلاله يفهم الإنسان قواعد الإسلام ويدرك معانيه. (سالم محمد بهي الدين، 1999م، ص 123).

– الإصلاح العقدي:

لقد شغلت قضية إصلاح عقيدة الجزائريين فكر اِبن باديس ونشاطه الإصلاحي الهام وأمام الوضع المزري اِتبع طريقة المهادنة في بداية الأمر مع رجال الطرق نظرا لما يتمتعون به من نفوذ من خلال اِجتماع الناس عليهم لِذلك عمل الاِستعمار على اِحتوائها و اِستيعابها واِستخدامها وسيلة لِفرض نفوذها على الشعب. (عبد الرشيد زروقة، 1999م، ص135). وكان هدفه من ذلك هو الاِستفادة من جهود المخلصين منهم لِيكونوا عونا له في حركته الإصلاحية الجهادية وحتى لا يبقوا آلة في يد الاِستعمار.

– الإصلاح الأخلاقي:

لقد كان هدف الإصلاح الأخلاقي الذي نشره يتمثل في إصلاح المجتمع الجزائري لِغايات راقية في مختلف جوانب الحياة الاِجتماعية والثقافية والسياسية لِذلك اِهتم بمحاربة كل فاسد، فكثيرا ما كان التعليم الباديسي الإصلاحي ينهل من ينابيع رجال السلف الصالح في الإسلام، حيث خصص بمجلة الشهاب ركنًا لمشاهير في الإسلام الذين اِشتهروا بفضائل الأخلاق ومكارم العادات كالشجاعة والأمانة والاِستقامة واِحترام العهود والتفاني في العدل. (مراد علي، 2007م، ص 349)

– الإصلاح السياسي:

إنّ بناء المجتمع عنده يقوم على الوطن والدين والقاعدة الشعبية الواسعة فالوطن الجزائري يمثل الشعور بِوحدة الاِنتماء إلى الوطن الواحد، حيث كان اِبن باديس يشيد الوطن الجزائري ويجعل من الوحدة الوطنية غاية ووسيلة كما كان رغب في حب الوطن. (علي أحمد محمود الجزار، 1999م، ص 65) حيث ربط هذا بالدين لِأن الوطنية بدون عقيدة تنظم حياة الجماهير هي وطنية عاجزة فقدت أبعادها الحضارية والبشرية ومن الدين والوطنية والجماهير الشعبية تتألف القومية العربية وهي بدون الدين قومية مبتورة من أبعادها الأساسية.

7– المؤسسات الباديسية في بناء المجتمع:

لتكوين الرجال والنشْءِ أولى عناية بالغة بالمراكز التي تعتبر بمثابة رحم تولد منه الأخلاق والمتمثلة في الأسرة والمدرسة والمجتمع.

– الأسرة:

تُؤَدِّيْ الأسرة دورا أساسيا في تكوين الطفل أخلاقيا بِاعتباره الخلية الأولى والمكان الطبيعي لِتربية الأطفال وتزويدهم بالعوامل النفسية والثقافية والدينية إذا في رحاب هذه الأسرة يلتقي الطفل بالمعلم

الأول وهو الأم التي كثيرا ما ركز عليها، حيث كان وضعها مزريا في أوائل القرن العشرين إذ صدت أبواب التّعلّم في وجهها. (أحمد الخطيب، ص 233).

كما حُرِمَتْ المشاركة في الحياة الإجتماعية ولم يستبعد من هذا الوضع إلا قلة قليلة من السيدات المثقفات بالفرنسية وفي عام 1930م ظهر تيار مشجع لِتحرر المرأة في الجزائر خصوصا والمغرب العربي عموما.

وقد كان إبن باديس يرى أن تحرر المرأة يكون بالتعليم الديني والوطني كما كان يخشى من توجه المرأة الجزائرية نحو الثقافة الأجنبية وعدم إهتمامها بالثقافة العربية، كما كان يهدف إلى تعليمها الحشمة والعفة و الفضيلة والصيانة الأمر الذي يؤدي إلى الإنسجام العائلي. (بركات محمد مراد، 1992م)

من هنا ندرك أهمية الأسرة في تكوين الرجال بإعتباره أول من يقدم لهم التراث الإجتماعي إذ يعتبرها المصنع الأول الذي يصنع الرجال وأنّ تربية الطفل أخلاقيا ودينيا يتوقف على خلق المرأة وتدينها.

– المدرسة:

تعتبر المدرسة الأساس الثاني بعد الأسرة في تربية الطفل بإعتبارها المجتمع الأول الذي يتصل به الطفل إذ يجتمع بها العديد من الأطفال من مختلف البيئات والفئات الإجتماعية كما تعتبر أيضا مؤسسة تنوب عن الوالدين في تعليم الأطفال وتربيتهم وتهيئتهم من أجل إكتسابهم السلوك الإجتماعي وبذلك تكون مركز إشعاع في المجتمع تؤثر فيه ويؤثر فيها. (حاج حمد أحمد أبو قاسم، 2004م، ص 20)

– المجتمع:

يعتبر المجتمع بمختلف مؤسساته وأحزابه وهيئاته وجمعياته الركن الثالث لِلتربية الأخلاقية، إذ في المجتمع يأخذ الأطفال أساليب السلوك الإجتماعي الذي يتعاملون فيما بينهم كما إهتم بالمجتمع بمختلف شرائحه وقد ركز على فئة الشباب بإعتماده على خطة تربوية لإعداد جيل قادر ومتمكن مِنْ تحرير الأمة من قيود الإستعمار.

– المسجد:

إعتلى الشيخ عبد الحميد المنابر ودعا منها إلى الإصلاح الإجتماعي من أجل النهوض والرقي وسهر على تقديم دروس في الوعظ والإرشاد لِلعامة وبهذا نجده أولى عناية شديدة من أجل محاربة الجهل وحظر التفرنس.

– النوادي الثقافية:

والتي كانت منتشرة في كثير من المدن الجزائرية كنادي الترقي في العاصمة، ونادي صالح باي بقسنطينة، والنادي الإسلامي في ميلة ونادي التقدم في البليدة بالإضافة إلى هذه النوادي الثقافية شجعت الجمعية الشباب الجزائريين على تأسيس المنظمات والأفواج الكشفية في مختلف المدن الجزائرية.

خاتمة

في ظل الظروف الصعبة والتوتر والفوضى التي شهدتها البلدان العربية والإسلامية والجزائر قام العلامة والرائد والمفكر والمصلح عبد الحميد اِبن باديس بكل همة عالية من أجل إنقاذ شعبه ووطنه من الجور والطغيان والجهل والبدع والخرافات سعى إلى طرح مشروع إصلاحي تغييري مبني على التربية والتعليم كمنهج وتحرير الأرض والفرد الجزائري من كل هذا وقد اِستطاع أن يترجم فكره على أرض الواقع فنالت الجزائر حريتها واِستقلالها واِستعادت عزتها وكرامتها وتطلعت إلى مصاف الأمم الراقية بفضل رجالها.

– المصادر والمراجع:

– الإبراهيمي محمد البشير، **آثار البشير الإبراهيمي(1954، 1956)**، جمع وتقديم، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

– أبو القاسم حاج أحمد ، **إستمولوجية المعرفة الكونية**، إسلامية المعرفة و المنهج و نشر في سلسلة فلسفة الدين و الكلام الجديد، دار الهادي بيروت، لبنان، 2004م.

– بركات محمد مراد، **فلسفة الإمام اِبن باديس في الإصلاح و التجديد**، أبناء وهبة حسان القاهرة، 1992م.

– بن خليف مالك، **الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس**، دار طليطلة، الجزائر 2010.

– بن مزوز عمار ، **عبد الحميد بن باديس و منهجه في الدعوة و الإصلاح**، دار الأمل تيزي وزو، الجزائر، 2010م.

– رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر**، ط4 المؤسسة الوطنية لِلْكتاب، 1984م.

– زروقة عبد الرشيد، **جهاد اِبن باديس ضد الاِستعمار الفرنسيّ في الجزائر**، دار الشهاب، بيروت، لبنان 1999م.

– الجزار أحمد محمود، **الإمام المجد إبن باديس و التصوف**، منشأة المعارف، الإسكندرية 1999م.

– خطيب أحمد، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية لِلْكتاب، الجزائر، 1985م.

– سعد فهمي، **حركة عبد الحميد بن باديس و دورها في يقظة الجزائر**، دار الرحاب بيروت، لبنان، 1983م.

– سالم محمد بهي الدين، **اِبن باديس فارس الإصلاح والتنوير**، دار الشروق القاهرة 1999م.

– طالبي عمار، **اِبن باديس حياته، وآثاره**، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997م.

– شريط عبد الله، **مع الفكر السياسي الحديث و المجهود الإيديولوجي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية لِلْكتاب، الجزائر 1986م.

- فرحات عباس، **ليل الاِستعمار تعريب**، أبو بكر رحال، المحمدية، المغرب، 1962م.
- فهمي جدعان، **أسس التقدم عند مفكريّ الإسلام في العالم العربيّ الحديث**، ط3، دار الشروق 1988م.
- قرصو محمد، **عبد الحميد بن باديس ، نصوص مختارة**، المؤسسة الوطنية لِلاِتّصال الرويبة 2010م.
- عبد القادر فضيل و محمد صالح رمضان، **إمام الجزائر عبد الحميد اِبن باديس**، دار الأمة، الجزائر 2010م.
- مراد علي، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر**، بحيث في التاريخ الديني والاِجتماعي من 1925 إلى 1940م، ترجمة محمد يحيى، دار الحكمة ، الجزائر، 2007م.
- الميلي محمد، **اِبن باديس و عروبة الجزائر**، صدر عن وزارة الثقافة، 2007م.

وظيفة الأرشيف في وزارة الثّقافة الجزائريّة

الأستاذة موشموش آسيا

أستاذة مساعدة (أ)

قسم علم المكتبات والتوثيق

جامعة الجزائر –2–

وظيفة الأرشيف في وزارة الثّقافة الجزائريّة

مقدمة:

لِكل جهاز إداري هدف محدد يسعى إلى تحقيقه من خلال الوظائف التى يمارسها وتنتج عن ممارسة الأجهزة لِأنشطتها كمية هائلة من الوثائق الناتجة عن مختلف المديريّات والمكاتب ولا يستطيع أحد أن ينكر أن تنظيم كل هذه الوثائق يساعد على إنجاز عمل الإدارة بكل سهولة ويسر ،فالأرشيف يُؤَدِّيْ دورا حيويا وهاما في الجهاز الإداري، إلا أنه لا يوجد أسلوب تنظيمي موحد توضع بموجبه وحدات الأرشيف في كافة الهياكل التنظيمية لِلأجهزة الحكومية ،فكل جهاز حكومي ظروفه الخاصة واِحتياجاته التى تختلف عن الأجهزة الأخرى ، بل إنّ الجهاز الواحد قد تختلف متطلباته من آن إلى آخر فيقوم بتغيير وضع الأرشيف في هيكله التنظيمي بما يناسب وظروفه، وعلى ذلك فإنّ اِحتياجات ومستلزمات العمل في أي جهاز سوف تؤثر حتما فيْ الأسلوب التنظيمي الواجب عليه اِتباعه في تجميع الأرشيف .

ففيْ هذا الجزء من الدراسة سنتناول وظيفة الأرشيف التى شهدتها وزارة الثقافة عبر عدة سنوات وكيف أنّ الأسلوب التنظيمي لِوحدة الأرشيف قد تغير من فترة إلى أخرى ، كذلك المكانة التى عرفها الأرشيف حينئذ ،وقد اِعتمدنا على مراسيم تنفيذية التي عرفتها وزارة الثقافة بين 1963 إلى 2005، وكذلك تقارير داخلية، ووزارية لِتوضيح مكانة وظيفة الأرشيف

1- تعريف الوظيفة:

وقد عرفتها الموسوعة الكندية لِلأرشيف بأنها المستوى الأول في مخطط التصنيف وتمثل الوظائف المسؤوليات الرئيسية التي تقوم بها المنظمة من أجل تحقيق أهدافها، فهي مجموعة من المسؤوليات خاصة بنشاطات المنظمة.[1]

كذلك يمكن تعريفها على أنها" وحدة من وحدات العمل تتكون من عدة أنشطة مجتمعة مع بعضها في المضمون والشكل ويمكن أن يقوم بها موظف واحد أو أكثر. "[2]

ويمكن تقسيم الوظيفة حسب النظام الإداري إلى بنية بسيطة وبنية معقدة كمايلي.

---

1 - National archives of Australie DISPONNBLE :http://www.gov.au/records management/publication/glossary

2 - أحمد زكي بدوي، **معجم المصطلحات الإدارية**، قاهرة :دار المصري اللبناني ، 1983 ، ص 517.

1 .1 البنية الوظيفية البسيطة:

ونعني بها الهيئات التي يكون عدد مستخدميها ضعيفا، وتكون مهامهم غير موزعة على عدد مصالح وأقسام تملك كل واحدة منها مهاما محددة وقارة .

1 .2 البنية الوظيفية المعقدة:

الهيئات التي لها مستخدمون كثيرون وأعمال مختلفة ،عادة ما تكون كما رأينا مقسمة إلى مصالح (مسماة "أقسام"، "مديريات" أو مديريات فرعية" .....إلخ) يناط بكل واحدة منها جزء من المهام المحدّدة لِلهيئة.[1]

1 .2 تعريف وظيفة الأرشيف :

نعني بوظيفة الأرشيف مختلف العمليات التي تخص الوثائق من مرحلة إنتاجها، وجمعها وترتيبها،ووصفها،وتقييمها،وحفظها،والإطلاع عليها وهناك من يرجح أن وظيفة الأرشيف تعتمد على ثلاث عمليات أساسية فقط منها: التقييم ،والحفظ ، وبث المعلومات[2]

مهما كانت المؤسسة يجب أن يؤمّن الأرشيف الوظائف الرئيسية التالية :

- جمع جميع الوثائق التي تتداول في المؤسسة حسب الترتيب المرغوب، ويجب تأْكيد عبارة (حسب الترتيب المرغوب)؛ لِأن حسن تسيير المصلحة متوقف على المعايير المعتمدة من أجل تصنيف مختلف الوثائق.

- تأمين الحفظ الجيد لِلْوثائق التى تم جمعها وهذه الوظيفة تتطلب تسخير جميع الإمكانات من رفوف وخزائن لِلْملفات والحافظات وكذلك مراقبة درجة الحرارة والرطوبة.

- تأمين الرضا السريع لطلبات الوثائق المتحصل عليها من وحدات مختلفة من الإدارة.

1-Michel,Duchein, **le respect des fonds en archivistique** :**Principes théoriques et problèmes pratiques**, p.89-90.

2- Carol ,Couture ,Daniel,Ducharme. « **La Recherche en archivistique** :**Un état de la question** » In :Archives,vol.30,n°3,1999, [Consulté le 10 juin 2013, Disponible à l'adresse : http://www.archivistes.qc.ca/cora/afficheFic.php?fic=vol30_3-4/30-3-4-ducharme-couture.pdf.

وإلى جانب هذه الوظائف الأربعة، يمكن أن تعترض سبيلنا وظائف أخرى لكن أهميتها ثانوية مثل السهر على قانونية الوثائق التى تدرج في الأرشيف، وضمان المتابعة [1]

1 .2 .1 وظيفة الأرشيف على مستوى المكتب :

تكمن وظيفة الأرشيف في المكتب في عملية تسيير وثائق جارية، فوحدة ترتيب هي الملف عن طريقها يتم جمع جميع الوثائق وترتيبها وفق خطة معينة.

1 .2 .2 وظيفة الأرشيف على مستوى المصلحة :

أما وظيفة الأرشيف على مستوى المصلحة فتكمن في تسيير الوثائق الجارية ونصف الجارية كما يمكن أن تقوم هذه المصلحة بإعداد جدول تسيير الوثائق[2]،ففي كل نظام أو وحدة إدارية عمومية أو خاصة يتطلب وجود منشأة أو مصلحة مستقلة تعمل على تسيير الوثائق.[3]

في الإدارات المركزية والهيئات الحكومية تكون وظيفة تسيير الأرشيف الوسيط عن طريق مصلحة أو خلية خاصة تكون واضحة في الهيكل التنظيمي منصوص عليها في قرار وزاري لِلْقيام بأعمالها وتكون مدعمة بموظفين مؤهلين[4] كما تعد عملية حفظ الأرشيف عملية أساسية في مصلحة الأرشيف كذلك؛ لِأنها تضمن التكامل المادي لِلْوثائق المستلمة لِلْحفظ.[5]

1- وظيفة الأرشيف في وزارة الثقافة بين 1962 إلى 1968 :

1-Giuseppe, Continolo, **Comment organiser le classement et les archives** ,Paris :Entreprise moderne d'édition,1968.

2- Direction des archives départementales de seine –maritime. Op.cit.P.5

3- Carol, Couture .- « Aspects généraux et particuliers de l'administration d'un service d'archives » In :**La Gestion d'un centre d'archives Québec** :Presses de l'université du Québec ,2003 ,p.59

4-Direction des archives départementales de seine –maritime. Op.cit.P.5

5- Marcel ,Caya.**–**« **Les Vrais regards de Janus** :**Les rôles complémentaires de la gestion des documents et des archives** ».-In :Archives, vol.33,n°2,2002.[Consulté le 22 mars 2013]
Disponible à l'adresse : h ttp://www.archivistes.qc.ca/revuearchives/vol33_2/33-2-caya.pdf

في سنة 1958 تم الإعلان عن الحكومة الجزائرية المؤقتة تشكلت على إثرها تِسْعُ (9) وزارات منها وزارة الشؤون الثقافية، وبعدها أجري تعديلان في تشكيلة الحكومة المؤقتة: التعديل الأول مابين 1960 الى 1961 والتعديل الثاني من 1961 إلى 1962 ثم على إثره إلغاء وزارة الشؤون الثقافية وضمها إلى وزارة الإعلام.[1]

تعتبر سنة 1963 تاريخ تسمية أول هيكل تنظيمي لِقطاع الثقافة في تاريخ الجزائر المستقلة تحت مسمى وزارة الإعلام وذلك بمقتضى مرسوم 210 – 63 المؤرخ في 14 جوان من تلك السنة تم إعادة تنظيم الإدارة المركزية لِوزارة الإعلام وعلى هذا الأساس شمل هيكلها التنظيمي على أرْبَعِ (4) مديريات كما شمل المرسوم في طياته على تنظيم مكاتب الإدارة المركزية لِوزارة الإعلام،فكل مديرية تحدوها مديريات فرعية وهذه الأخيرة تكونت كل واحدة منها من مكتبين إلا مديرية الصحافة والعلاقات العامة فقد اِحتوت على ثلاثةِ مكاتب، اِثنان منهما مختصان بالأرشيف، وهما:

– مكتب الدوريات الصحفية والأرشيف

– مكتب خاص بأعمال المختبر والربورتجات والصور والأرشيف

وهذا يعني أنّ الأرشيف كان تابعا لِلْمديرية الفرعية لِلصحافة تحت وصاية مديرية الصحافة والعلاقات العامة. [2]

وفي سنة 1964 قامت الجزائر بِالجمع بين قطاع التربية والثقافة، والإعلام، والشباب والرياضة في وزارة واحدة سمّيت وزارة الإرشاد القومي أو التوجيه الوطني، وبمقتضى المرسوم رقم 64-163 المؤرخ في 8 جوان تم تنظيم الإدارة المركزية التى ضمّت تِسْعَ (9) مديريات كل مديرية لها تخصص معين، وهي كالتالي:

– مديرية الشؤون العامة

– مديرية الوثائق العامة

– مديرية الشؤون الثقافية

– مديرية الصحافة ووسائل الإعلام

---

1 – مديرية الأرشيف الوطني ، الحكومة المؤقتة لِلْجمهورية الجزائرية ، في همزة وصل ،ع 12 ،2008 ، ص31.

2– الجريدة الرسمية رقم 41 ، 1963 ،ص 651

- مديرية التعليم الدرجة الأولى
- مديرية التعليم الدرجة الثانية
- مديرية التعليم العالي
- مديرية الرياضة
- مديرية الشباب

فمديرية الشؤون الثقافية تكونت من ثلاث (3) مديريات فرعية منها: المديرية الفرعية لِلْمكتبات والأرشيف[1]

وحسب التنظيم الإداري الذي يحدد تنظيم المكاتب على مستوى الإدارات المركزية المؤرخ في 10 ديسمبر لِسنة 1964 فإن المديرية الفرعية لِلْمكتبات والأرشيف اِنقسمت إلى وحدتين: إحداهما مكتبة، ومكتب لِلأرشيف[2] حسب الشكل التالي :

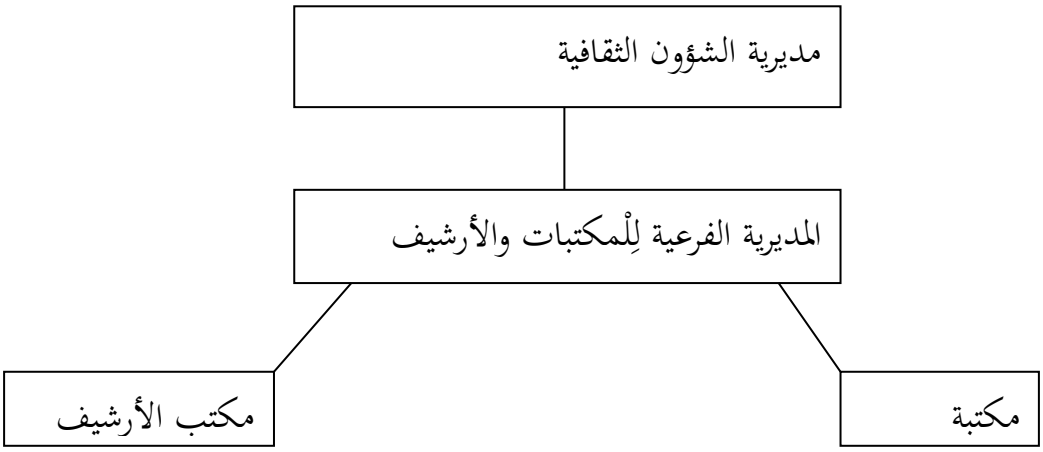

شكل 1 : تنظيم وظيفة الأرشيف وزارة التوجيه الوطني سنة 1964

كانت وزارة التوجيه الوطنى أولى الوزارات التى تم إنشاء على إثرها مديرية فرعية تجمع بين المكتبات والأرشيف في تاريخ الجزائر آنذاك، وقد حظيت بالتقرير الذي قام به (Yves) Pérotin سنة 1964 أيْنَ اِقترح أن يكون أرشيف الإدارات المركزية تابعا لِرئاسة الجمهورية عن طريق أمانة الحكومة إداريا أما الأمور التنظيمية، والتقنية وتكون تحت وصاية وزارة التوجيه الوطنى كما اِقترح أن تكون لَدى الجزائر

1- الجريدة الرسمية رقم 50، 1964 ،ص 699 .

2- قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية لِوزارة التوجيه الوطنى لِسنة 1964.

آنذاك مؤسسة لِلأرشيف الوطنى، وقانون خاص بالأرشيف، وأعطى توصيات عن ذلك متكونة من ثلاثَ عشْرَةَ (13) مادةً .[1]

بحلول سنة 1967 اِستبقت الحكومة على التنظيم الإداري نفسِهِ لِوزارة الإعلام لِسنة 1963 بِاستثناء بعض التعديلات الطفيفة، حيث اِشتملت الإدارة المركزية آنذاك على أربعِ (4) مديريات وهي كالتالي :

- مديرية الأنباء
- مديرية الثقافة الشعبية والتسليات
- مديرية المستندات والنشرات
- مديرية الإدارة العامة

كما اِشتمل مرسوم 1967 على تنظيم الإدارة المركزية والتنظيم الداخلي على مستوى المكاتب لِذا في هذا التنظيم وجدنا اِختفاء وحدة الأرشيف التى تم ضمها إلى مديرية المستندات والنشرات والتى اِحتوت "حسب مرسوم67 – 208 المؤرخ في أكتوبر1967 على ثلاثةِ مكاتبَ لها المهام التالية:

1- مكتب الوثائق الفرنسية المكلف بجمع وترتيب ونشر الأخبار السياسية والاِقتصادية والاِجتماعية

2- مكتب الوثائق العربية المكلف الاختصاصات نفسِها المناطة بالمكتب الأول

3- مكتب المستندات المصورة المكلف بجمع وترتيب ونشر جميع الوثائق المصورة.[2]

شهدت سنة 1968 بقاء وزارة الأنباء على البناء الهيكلي نفسِهِ، وحسب المرسوم رقم 86 -621 المؤرخ في 15 نوفمبر تم تنظيم الإدارة المركزية، إلا أنه تم زيادة عدد المكاتب في المديريات الفرعية دون المساس بالمديرية الفرعية لِلْمستندات المكتوبة التى بقيت تتكون من ثلاثةِ المكاتب السابقة الذكر دون وحدة الأرشيف .[3]

ولقد اِعتمدت على الجرائد الرسمية باللغة العربية في سنة 1967 و1968 لِأستطيع قدر الإمكان تحديد معنى المستندات، " فكثيرا ما يجري لفظ المستندات على ألسنة رجال القانون وفي الأوساط

1- Pérotin,Yves. Algerie :**Archives publiques** : **Programme régulier**. Paris : Unesco,1964,p .25-40

2 - الجريدة الرسمية رقم 91 ، 1967 ،ص 1401.

3- الجريدة الرسمية رقم 93 ، 1968 ،ص 1246.

القضائية، لِلدلالة على أنواع معينة من المحررات التى يلجأ إليها أصحاب الحقوق لِتأكيد حقوقهم أو هي العقود الموثقة التى تعطي حقوقا أو تؤكد قانونا يبرهن على تلك الحقوق.

أما العالم الإنجليزي شلنبرج فقد فرق بين معنى اللفظين فعرف الأرشيف بأنه الوثائق التاريخية والوثائق الإدارية records بأنها جميع الكتب والأوراق، والخرائط والصور الفوتوغرافية وغير ذلك من المستندات بصرف النظر عن شكلها المادي أو خصائصها المادية، التي تنتجها أو تتلقاها مؤسسة عامة أو خاصة لِأداء الِالتزامات القانونية أو اِتصالا بما تقوم من أعمال وتحفظها أو تصلح لِأن تحفظها هذه المؤسسة أو من يخلفها قانونيا بِاعتبارها شاهدا على وظائفها، وسياساتها وقراراتها وإجراءاتها وعملياتها، أو غير ذلك من أنواع النشاط، أو بسبب القيمة الإعلامية لما تحويه من حقائق.[1]

2 .1 – وظيفة الأرشيف قبل التشريع:

يمكن تلخيص المرحلة من 1963 إلى 1968 كمايلى :

السنوات	التمثيل لِلْهيكل التنظيمي	المديرية الوصية
1963	مكتب خاص بالدوريات الصحفية والأرشيف مكتب خاص بأعمال المختبر والربورتجات	مديرية الشؤون الثقافية
1964	المديرية الفرعية لِلْمكتبات والأرشيف	مديرية الشؤون الثقافية
1967	ليس له تمثيل	مديرية المستندات والنشرات
1968	ليس له تمثيل	مديرية المستندات والنشرات

جدول رقم 1: حضور وحدة الأرشيف في التنظيم الإداري

يمكن القول إنّ سنة 1963 عرف قطاع الأرشيف تمثيلا في الهيكل التنظيمي بوساطة مكتبين وفي سنة 1964 مثل الأرشيف بمديرية فرعية لِلْمكتبات والأرشيف .

إن التوصيف الوارد في الجهاز الإداري سنة 1967 إلى سنة 1968 قد أغفل الأرشيف وظل هذا الأخير حبيس المديرية الفرعية لِلْوثائق المكتوبة، وقد أسمينا هذه المرحلة الِانغلاق على الأرشيف نظرا لِعدم وجود هذه الوحدة رغم مرور تقريبا خمْس (5) سنوات على مدة الوثائق في مكاتبها الأصلية، فضْلاً عنِ الوثائق التى كانت موجودةً منذ 1958 .

1- جمال الخولى، **مدخل لِدراسة الأرشيف**، دار الثقافة العلمية، القاهرة، 2000 ، ص 12،13.

أما من الجانب التشريعي فبرغم أن السنوات الأولى لم يصدر فيها أي قانون يخص الأرشيف وكان قانون 62 -157 المتضمن تحديد مفعول التشريعات والقوانين الفرنسية السارية المفعول ما لم تمس بالسيادة الوطنية [1]ويجب التنويه أن هذا القانون مثل الفترة التى مرت بها البلاد بعد الإستقلال مباشرة، والتى تميزت بفترة تأسيس الدولة الجزائرية التى أتت بعد الفترة الإستعمارية مباشرة وهذا ما نتج عنه غياب الإهتمام بالجانب التشريعي "كما أن غياب الأرشيفيين إذ أن الإدارة الإستعمارية لم تسمح لأي جزائري التكوين في هذا القطاع الحساس، ناهيك على إنعدام الهياكل الملائمة لِلْحفاظ على الوثائق بصورة عقلانية. "[2]

لم يعرف قطاع الأرشيف ولا مؤسساته بالجزائر صدور نصوص قانونية بالمفهوم الضيق إلا إبتداء من سنة 1972 وهو ما جعل عملية الإعتناء والتكفل بهذا القطاع الحيوي ضعيفة قبل هذا التاريخ برغم توافر مادته الأساسية (الأرصدة الأرشيفية) وأيضا بعض النصوص المتعلقة ببعض الحالات الخاصة مثل نص 64 – 9 المتعلق بإعادة تطوير الرصيد الأرشيفي لِصالح العقار الفلاحي أو مرسوم رقم 64 – 135 المتضمن إحداث شهادة تقنية في تخصص المكتبات والأرشيف أو مرسوم 66 -171 المتعلق بتحويل محفوظات الجهات القضائية إلى كتاب ضبط المجالس القضائية .[3]

2 – وظيفة الأرشيف في وزارة الثقافة بين 1975 إلى 1988:

شهدت سنة 1975 خروج قطاع الثقافة إلى الواجهة وذلك عن طريق وزارة الأخبار والثقافة حيث شمل هيكلها التنظيمي على سبعِ (7) مديريات، وهي كالتالي :

- المديرية العامة لِلْبرامج والدراسات
- مديرية الأخبار

---

1 Journal officiel , n°2 ,1963,p. 18

2 – عبد كريم بجاجة . منهجية لِوضع سياسة وطنية لِتسيير الأرشيف : التجربة الجزائرية : **الندوة الجزائرية المنظمة من قِبَلِ مركز البحث والتكنولوجيا**، في يونيو، 2000، ص 3. متاح على الخط
//wwww .wien2004.ica org/imagesupload/pres 312 Badjadja politique.pdf :http

3- نجية ،قموح. **حفظ الأرشيف في الجزائر بين الحماية القانونية والإجراءات الفنية**، جزائر، 2006، ص 3.
http://www.cybrarians.info/journal/n09/archive.htm متاح على الخط :

– مديرية الفنون والآداب

– مديرية الفنون الجميلة والآثار والمناظر

– مديرية السينما والوسائل السمعية البصرية

– مديرية المطالعة العامة والوثائق

– مديرية الإدارة العامة

فالمديرية الفرعية لِلْوثائق والمطبوعات كانت تابعة لمديرية المطالعة العامة والوثائق التى كلفت حسب المرسوم رقم 75 – 31 مؤرخ في 22 يناير سنة 1975 بما يلي :

– السهر على التنسيق والتكامل بين مصلحة الوثائق أو التى ستوجد مستقبلا داخل الأجهزة

– اعداد وإنجاز المنشورات ذات الطابع الثقافي والسياسي والإقتصادي والإجتماعي ... الخ مثل المطبوعات والمجلات والملفات الوثائقية والقوائم البيبلوغرافية .[1]

وحسب قرار تنظيم مكاتب الإدارة المركزية لِوزارة الأخبار والثقافة المؤرخ في 10 أكتوبر سنة 1975 فإن الأرشيف كان تابعا لِلْمديرية الفرعية لِلْوثائق والمطبوعات[2] ويمكن توضيحه كما يلي :

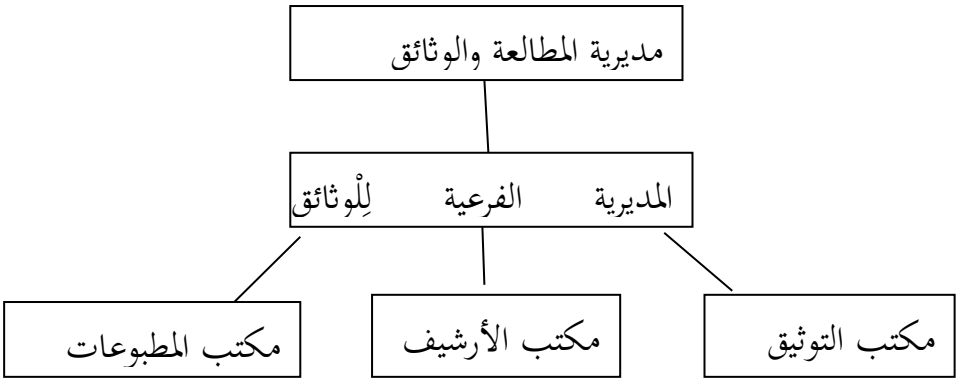

شكل 2 : تنظيم وظيفة الأرشيف وزارة الأخبار والثقافة سنة 1975

أما سنة 1981 تم تغيير مدلول الأخبار وتعويضه بمصطلح الإعلام لِتصبح هذه الأخيرة وزارة الإعلام والثقافة، و من حيث من جانب التنظيم الإداري لِسنة 1981 فهو جد متشابه مع التنظيم

1 – الجريدة الرسمية رقم 12 ، 1975 ، ص 183

2 – قرار يحدد التنظيم الإداري الإدارة المركزية لِوزارة الأخبار والثقافة لسنة 1975

السابق، حيث تكون من سبعِ (7) مديريات تم إلغاء البعض منها وتعويضها بمديريات جديدة[1]لتصبح هذه الأخيرة كالتالي :

- مديرية التخطيط - مديرية الإعلام
- مديرية الوثائق والنشرات - مديرية تطوير الإعلام
- مديرية تنسيق المبادلات - مديرية الهياكل الأساسية ومراقبة المنجزات
- مديرية الإدارة العامة

وحسب المرسوم رقم 81 -390 مؤرخ في 26 ديسمبر سنة 1981 مديرية الوثائق والنشرات شملت مديريتين فرعيتين منها المديرية الفرعية لِلْوثائق التى كلفت بما يلى :

- مساهمة في وضع سياسة وطنية في مجال الوثائق وتطبيقها .
- تنظيم وتسيير مصلحة الوثائق قصد وضع وثائق الإعلام والثقافة والمواضيع ذات المنفعة العامة تحت تصرف المصالح والهيئات المعينة
- تجمع الوثائق ذات المنفعة العامة لَدى الإدارات والهيئات الرسمية وتحافظ عليها[2]

وحسب القرار مؤرخ في 26 ديسمبر متضمن تنظيم مكاتب الإدارة المركزية لِوزارة الإعلام والثقافة فإن الأرشيف كان تابعا لِلْمديرية الفرعية لِلْوثائق ويمكن تمثيله كما يلي :

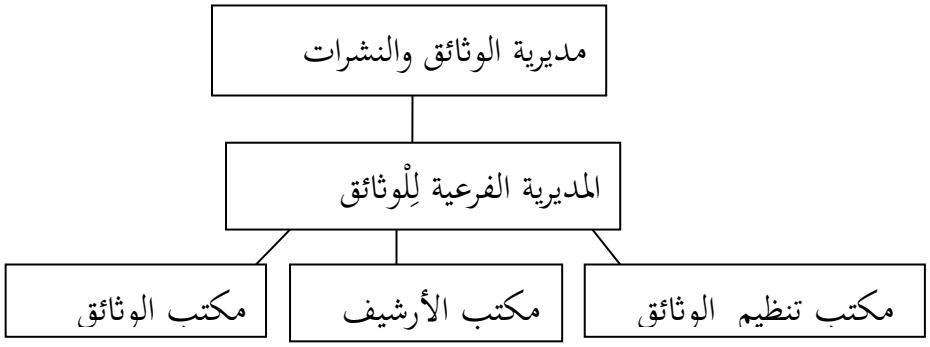

شكل رقم 3 : تنظيم وظيفة الأرشيف وزارة الإعلام سنة 1981

هذا يعني أن المديرية الفرعية لِلْوثائق تكونت من ثلاثةِ مكاتبَ، وهيَ:

مكتب التوثيق

1 - الجريدة الرسمية رقم52، 1981، ص 52

2- الجريدة الرسمية رقم 1981،52، ص 52.

مكتب التنظيم

مكتب الأرشيف [1]

شهدت سنة 1982 تأسيس وزارة الثقافة بعد اِنفصالها عنْ قطاع الإعلام أما التنظيم الإداري لهذه الوزارة تشكل من تِسْعِ (9)مديريات، وهي كالتالي :

- مديرية الدراسات وإحياء التراث
- مديرية الكتاب والمكتبات والمطالعة العمومية
- مديرية الفنون ونشرها
- مديرية المتاحف والآثار والمعالم والمواقع التاريخية
- مديرية التنشيط الثقافي
- مديرية المبادلات والعلاقات الخارجية
- مديرية التكوين والتنظيم
- مديرية التخطيط والإنجاز

مديرية الإدارة العامة

فمديرية الكتاب والمكتبات والمطالعة العمومية اِحتوت على ثلاثِ (3) مديريات فرعية منها المديرية الفرعية لِلْوثائق التى كلفت حسب المرسوم 82-286 بما يلي:

تنظيم وتسيير الوثائق ذات الطابع الثقافي والسياسي والاِقتصادي والاِجتماعي الذي يوجه لِلْمصالح المركزية والهيئات الموضوعة تحت وصاية الوزارة. [2]

- إعداد تصميم لِترتيب الوثائق الإدارية خاصة بالقطاع.

وحسب قرار المؤرخ في 20 جويلية سنة 1983 المتضمن تنظيم مكاتب الإدارة المركزية لِوزارة الثقافة فإن المديرية الفرعية لِلْوثائق كانت تتكون من ثلاثةِ مكاتبَ، وهيَ :

1- مكتب تنظيم الوثائق

2- مكتب الوثائق

---

1 - قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في وزارة الإعلام لِسنة 1981.

2- الجريدة الرسمية رقم 35، 1982 ، ص 1744

3- مكتب الأرشيف

أي أن الأرشيف كان تابعا لِلْمديرية الفرعية لِلْوثائق تحت وصاية مديرية الكتاب والمكتبات والمطالعة العمومية [1]ويمكن تمثيله كما يلي :

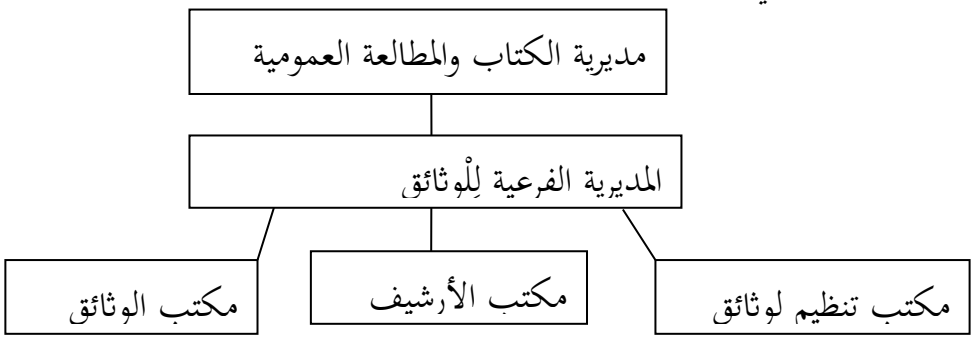

شكل رقم 4 :تنظيم وظيفة الأرشيف وزارة الثقافة لسنة 1982.

في سنة 1985 قامت الدولة بالجمع بين قطاعي الثقافة والسياحة بوساطة مرسوم رقم 85- 192 مؤرخ في 21 مايو تم تشكيل وزارة الثقافة والسياحة شمل هيكلها التنظيمي على عَشْرِ (10) مديريات، وهي كالتالي :

- مديرية التخطيط والتجهيز
- مديرية إدارة الوسائل
- مديرية التقنين والدراسات القانونية
- مديرية التراث الثقافي
- مديرية الكتاب والمطالعة العمومية والوثائق
- مديرية الفنون وتطويرها
- مديرية التنشيط والتكوين والمبادلات الثقافية
- مديرية التهيئة السياحية والحمامات المعدنية
- مديرية مقاييس التسيير الفندقي وتقنياته
- مديرية الترقية السياحية[2]

1 - قرار تنظيم مكاتب الإدارة المركزية وزارة الثقافة لِسنة 1982.

2 - الجريدة الرسمية رقم 22 ، 1985 ، ص 463 .

فمرسوم 1985 ضم كذلك تنظيم مكاتب الإدارة المركزية والملاحظ عدم وجود مكتب الأرشيف إنما تم الحديث عنِ المديرية الفرعية لِلْوثائق والمعارض التى ضمت مكتبين، وَهُما :

- مكتب الوثائق
- مكتب المعارض الدولية والوطنية .

ظلت وزارة الثقافة والسياحة لِغاية 1988 وبمقتضى مرسوم رقم 88 – 213 مؤرخ في 31 أكتوبر تم تنظيم الإدارة المركزية، أين تم إلغاء ثلاثِ (3) مديريات تابعة لِقطاع السياحة لِتصبح سَبْعَ (7)مديريات جلها لِقطاع الثقافة، وهي كالتالي :

- مديرية التخطيط والتجهيز
- مديرية إدارة الوسائل
- مديرية التقنين والدراسات القانونية
- مديرية التراث الثقافي
- مديرية الكتاب والمطالعة العمومية والوثائق
- مديرية الفنون وتطويرها
- مديرية التنشيط والتكوين[1]

2 .1– وظيفة الأرشيف في ظل التشريع:

ويمكن تلخيص فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي كمايلى :

السنوات	التمثيل للهيكل التنظيمي	المديرية الوصية
1975	مكتب الأرشيف	مديرية المطالعة والوثائق
1981	مكتب الأرشيف	مديرية الوثائق والنشرات
1982	مكتب الأرشيف	المديرية الفرعية لِلْوثائق
1985	لايوجد تمثيل	مديرية الكتاب والمطالعة العمومية والوثائق
1988	لايوجد تمثيل	مديرية الكتاب والمطالعة العمومية والوثائق

جدول رقم 2 : يوضح وظيفة الأرشيف في الهيكل التنظيمي من 1975 إلى 1988

من خلال الجدول نلاحظ أن سنة 1981،1975، 1982 مثل الأرشيف بمكتب أما سنة 1985 إلى سنة 1988 ظل دون تمثيل تحت وصاية مديرية الكتاب والمطالعة العمومية والوثائق فالحديث عن الوصاية يقودنا إلى مرسوم رقم 70- 175 مؤرخ في 16 نوفمبر متضمن إحداث مديرية

1 – الجريدة الرسمية رقم 44 ، 1988 ، ص 1167.

فرعية لِلأرشيف تكون تابعة لِأمانة الحكومة[1]ومن خلال هذا المرسوم كان من المفروض أن يكون أرشيف الإدارات تابعا لِلأمانة العامة في الإدارة إلا أنه ومن خلال الجدول لاحظنا عدم تطبيق هذا المرسوم على الإدارات المركزية، وفي هذا الشأن يقول عبد الكريم: " أما على الصعيد الهيكلي فبِاستثناء الولايات التى نصت في الخطة التنظيمية الأمانة العامة على مصلحة الأرشيف في كل منها (غالبا ما كان غير عملي) فإنّ وظيفة الأرشيف لم تكن ظاهرةً في كل المؤسسات الأخرى إلا بصورة شبه سرية، وفي أفضل الحالات كانت توجد مديرية فرعية لِلأرشيف ملحقة بمدير الديوان، أما في أسوأ الحالات فلم يكن تنظيم ينص على أي هيكلة، فكانت بعض الوزارات قد وضعت في الإطار "مديرية الإدارة والوسائل "أو مديرية فرعية أو مكتبا يجمع الوثائق والأرشيف معا على أن الِاهتمام بالتوثيق كان أكثر" . [2]

من جانب آخر هناك مجالات لِلنشاط والسلطة نذكر منها القطاع الِاقتصادي، والسلطة القضائية والشؤون الخارجية، كما يمكن أن نشير أنه في المجال الِاقتصادي لا توجد هيكلة أو تنظيم خاص ما عدا النصوص العامة المنظمة لِلْمعاملات التجارية والمالية والوثائق المتعلقة بها[3] .

من هنا نستطيع القول وعبر كل التنظيمات الإدارية التى شهدتها وزارة الثقافة لا يوجد مرسوم أو قرار يبين تبعيتها لِلأمانة العامة أو ديوان الوزارة إنما خضعت منذ تأسيسها إلى نظام المكاتب تحت سلطة المديريات و المدريات الفرعية،حيث تتكفل هذه الأخيرة بالمهام المخولة إليها من تسيير الأرشيف واِهتماما أكبر بالتوثيق.

ونظرا لِعدم حصولي على أية وثيقة إدارية تبين اِنتماء أرشيف الوزارة إلى الأمانة العامة أو الديوان سواء ذلك عن طريق قرار وزاري أو داخلي قمت بمقابلة مع الأمينة العامة لِلوزارة وأكدت لي أن الأرشيف مسؤولية المديرية الملحق بها إلا أننا نتدخل وقت اللزوم إذا تعلق الأمر بأرشيف الوزارة وكيفية الحفاظ عليه وحسن تسييره.[4] رغم الفراغ التشريعي الذي كان سائدا في فترة الستينيات من القرن

1- الجريدة الرسمية رقم 98 ، 1970 ، ص 1455.

2- عبد الكريم ، بجاجة المرجع نَفْسُهُ ، ص 6.

2- عمر ميمونى . " مؤسسات الأرشيف الوطنى" : الواقع والآفاق : اِقتراحات ونمادج. في : **مجلة المكتبات والمعلومات** ، ع3 2003 ، ص 91.

4 – مقابلة مع لونيس نادية الأمينة العامة لِوزارة الثقافة

الماضي إلا أن الجزائر إستدركت الأمر في فترة السبعينيات وذلك عبر إصدار الأمر 71/36 الذي أكد ملكية الشعب لِلأرشيف بتقرير عدم جواز التصرف فيه بالبيع أو الشراء أو هبة بالنظر إلى أنه ملك عام.

كما أن الأمر المذكور قد تولى تأسيس المركز الوطني لِلأرشيف مع إسناد الوصاية على لأرشيف إلى رئاسة الجمهورية، مما يدل على الأهمية والعناية التى أولتهما الدولة بهذا القطاع الهام وبالنظر إلى أن المواد المذكورة كانت عامة كان من الضروري تحديد بعض المسائل التنظيمية التى وردت ضمن منشور رئاسي صدر بتاريخ 8 نوفمبر من السنة نفْسِها في شكل محورين :إهتم الأول بتنظيم وتسيير الأرشيف،أما الثاني فقد فوائد الأرشيف العلمية والتاريخية مع تقسيم الوثائق إلى ثلاثةِ أقسام، وهيَ :

- وثائق العهد الأول الأرشيف الحي
- وثائق العهد الثاني الجاري أو الوسيط
- وثائق العهد الثالث التاريخي[1]

كما أوضح بعض المفاهيم، منها أهمية الوثيقة العادية والقديمة في تسيير الإدارة تسييرا سليما وفائدتها المقبلة لِلتاريخ، لِذلك فلقد حمل بعض التدابير والتعليمات الخاصة بتنظيم وتسيير الأرشيف تسييرا علميا مع إبراز الفوائد العلمية والتاريخية له خاصة إستعماله في كتابة التاريخ.

كما صدرت نصوص قانونية أخرى بعد سنة 1971 أهمها المرسوم 77- 67 الخاص بالمحفوظات الوطنية الذي عالج الأرشيف الوطني من خلال مواده المائة وثلاثة، من حيث مهام وصلاحيات وتنظيم مؤسسة الأرشيف الوطني الجهوي والمحلي، ويعتبر هذا النص إضافة إلى أمر 71-67 النصين اللذين وضعا الأسس لِلسياسة في مجال الأرشيف .[2]

وبما أن الأرشيف هو مجمل الوثائق الناجمة عن أنْشِطة الحكومة والإدارات، ومختلف المؤسسات تجلّت ضرورة المحافظة عليها لِأغراض مرجعية، ولِلإستدلال بها، وإثبات الحقوق وعملا بهذه الضرورة الملحة سارعت الجزائر إلى التزويد بالوسيلة القانونية التى تضمن لها التسيير الأمثل لِقطاع حيوي كقطاع الأرشيف بعدما كان المجال يفتقر لِقوة القانون بالرغم من وجود نصوص برهنت عبر السنين وبِاحتكاكها

---

2 – أحمد، بودوشة. التشريعات والتكنولوجيا ودورها في دعم وتطوير الأرشيف الوطنى. في : **مجلة المكتبات والمعلومات**، ع3 2003 ، ص 101

2- نجية ، قموح ، المرجع نفسهُ ، ص 4، 5 .

مع واقع الأرشيف عن نقائص أكيدة ذلك ما اِستدعى نقطة اِنقطاع إزاء الوضع الراهن آنذاك، وتمثل هذا الاِنقطاع في إصدار القانون رقم88-09 المؤرخ في 07 جمادي الثانية عام 1408 الموافق 26 يناير 1988 الذي يحدد القواعد التى تحكم سير الأرشيف الوطني وتنظيمه [1]

3- وظيفة الأرشيف في وزارة الثقافة بين 1990 الى 2005

وجاءت فترة التسعينيات من القرن الماضي تميّز أرشيف وزارة الثقافة بعدة تطورات بدءا بسنة 1990 أين تم إخفاء الحقيبة الوزارية لِلثقافة و اِستبدالها بالمجلس الوطني لِلثقافة وحسب المرسوم رقم 90 – 250 مؤرخ في 18 جوان 1990 كلف المجلس بما يلى :

- قيام المجلس بالدراسات المتعلقة بالتموين الثقافي
- التنسيق والعمل بين المؤسسات المنتجة لِلْفكر والمعرفة والعلوم.[2]

ثم جاء مرسوم آخر رقم 90 -400 المؤرخ في 15 ديسمبر يتضمن تنظيم الإدارة المركزية و كذلك تنظيم مكاتب المجلس الأعلى لِلثقافة ، حيث شمل على سَبْعِ (7) مديريات وهي كالتالي:

- مديرية التراث الثقافي
- مديرية مساندة الإنتاج ونشر الثقافة
- مديرية الفن والمراسلات
- مديرية التنظيم والتطوير
- مديرية التعاون والتبادل
- مديرية إدارة الوسائل
- مديرية التوجيه .[3]

في سنة 1990 لم يتمَّ إدراج وحدة الأرشيف في المرسوم رغم الحديث عن تنظيم على مستوى المكاتب ولحسن الحظ تم إعادة وزارة الثقافة إلى الواجهة الوزارية سنة 1991 وإعادة بناء جدري لهيكل الوزارة على غرار الهيكل التنظيمي الذي كان سائدا سنة 1982، وبمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 91

1- مصطفى عريش .-" أسس التشريع ونصوصه التطبيقية ". في : الوثائق العربية : **مجلة عربيكا** ، ع 15 ، ص 25

2 - الجريدة الرسمية رقم 36 ، 1990 ، ص 1012.

3- الجريدة الرسمية رقم 55 ، 1990 ، ص 1488.

-447 مؤرخ في 16 نوفمبر متضمن تنظيم الإدارة المركزية تشكل التنظيم الإداري من خمس (5) مديريات وهي كالتالي :

-مديرية التراث الثقافي

- مديرية الفنون والآداب

- مديرية الفنون السمعية البصرية

- مديرية التخطيط والتنظيم

- مديرية إدارة الوسائل[1]

أما القرار المؤرخ في 21 ديسمبر 1991 المتضمن تنظيم مكاتب الإدارة المركزية لِوزارة الثقافة فتم إدراج مكتب التوثيق ضمن المديرية الفرعية لِلْوسائل العامة التابعة لمديرية إدارة الوسائل أما الأرشيف فلم يتمَّ تمثيله في التنظيم الهيكلي لهاته السنة[2]

ونظرا لِعدم تأكدي هل كان تابعا لمكتب التوثيق" قمت بمقابلة مع مدير مصلحة الإدارة والوسائل لِسنة 1991 فأكدت لي أن الأرشيف كان ضمن مكتب التوثيق تابعا لمديرية الإدارة والوسائل .

تميزت سنة 1992 بجمع كل من قطاع الثقافة والإِتصال فأصبحت هذه الأخيرة تسمى وزارة الثقافة والإِتصال، حيث تشكل هيكلها التنظيمي بمقتضى مرسوم التنفيذي رقم 92 -145 مؤرخ في 14 أفريل من ست (6) مديريات، وهي كالتالي :

- المديرية العامة لِلثقافة

- المديرية العامة لِلاتصال

- مديرية التخطيط

- مديرية التنظيم والدراسات القانونية

- مديرية العلاقات الدولية

- مديرية الإدارة والوسائل

---

1 - الجريدة الرسمية رقم 40 ، 1991 ، ص 1281

2 - قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في وزارة الثقافة لِسنة 1991 .

كما جاء في المادة الثامنة : أن تنظيم المكاتب في الإدارة المركزية لِوزارة الثقافة والاِتصال يحدد بقرار من وزير الثقافة والاِتصال

فمديرية الإدارة الوسائل تكونت من أربع (4) مدريات فرعية، وهي كالتالي :

-المديرية الفرعية لِلْمستخدمين

- المديرية الفرعية لِلْميزانية والمراقبة

- المديرية الفرعية لِلْوسائل العامة

- المديرية الفرعية لِلْوثائق والمحفوظات[1]

وحسب القرار المؤرخ في 1 نوفمبر 1992 الذي يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية لِوزارة الاِتصال ، فإن المديرية الفرعية لِلْوثائق والمحفوظات تكونت من ثلاثةِ مكاتبَ، وهي كالتالي:

- مكتب الأرشيف

- مكتب التوثيق المختص

- مكتب التسجيل والتدوين[2]

ويمكن توضيح وضعية مكتب الأرشيف في الشكل كما يلى :

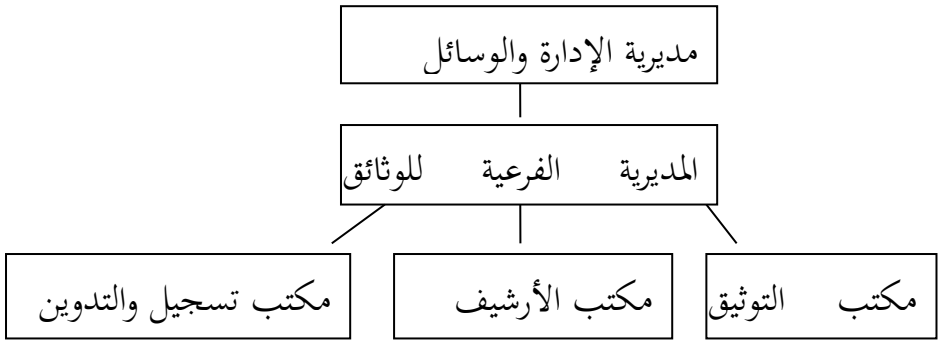

شكل رقم : 5 تنظيم وظيفة الأرشيف وزارة الثقافة والاِتصال سنة 1992

كما عرفت سنة 1994 عودة وزارة الثقافة بتنظيم إداري يضم حسب مرسوم رقم 94 – 169 مؤرخ في 15 يونيو من ست (6) مديريات، وهي كالتالي :

1- الجريدة الرسمية رقم 28 ، 1992 ، ص 816

2- قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في وزارة الثقافة والاِتصال لسنة 1992 .

– مديرية التراث الثقافي والفنون التقليدية – مديرية الفنون والآداب

– مديرية الفنون السمعية البصرية والعمل الثقافي والتسلية – مديرية التنظيم والتعاون

– مديرية التخطيط والتكوين – مديرية إدارة الوسائل

كما جاء في المادة 10: يحدد وزير الثقافة تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في حدود مكتبين إلى أربعة مكاتب في كل مديرية فرعية.

فمديرية إدارة الوسائل تكونت من أربع (4) مديريات فرعية، وهي كالتالي :

– المديرية الفرعية لِلْموظفين– المديرية الفرعية لِلْميزانية والمحاسبة والمراقبة

– المديرية الفرعية لِلْوسائل العامة– المديرية الفرعية لِلْوثائق والأرشيف[1]

وحسب قرار مؤرخ في 21 سبتمبر 1994 يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية لِوزارة الثقافة فالمديرية الفرعية لِلْوثائق والأرشيف كانت تضم ثلاثَةَ (3) مكاتب، وهي كالتالي :

– مكتب المحفوظات

– مكتب التوثيق المختص

– مكتب التسجيل والتدوين[2]

فالأرشيف كان تابعا لِلْمديرية الفرعية لِلْوثائق كما يوضحه الشكل التالي :

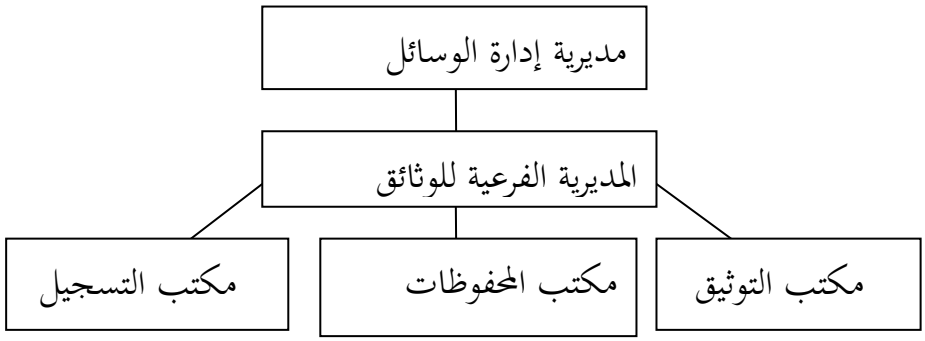

شكل رقم 6 : تنظيم وظيفة الأرشيف وزارة الثقافة سنة 1994

أما التنظيم الإداري لِسنة 1996 فحسب المرسوم التنفيذي رقم 96 -141 مؤرخ في 20 أبريل المتضمن تنظيم الإدارة المركزية لِوزارة الإِتصال والثقافة فتشكل من تِسْعِ (9) مديريات، وهي:

1- الجريدة الرسمية ، رقم 40 ، 1994 ، ص 21

2- قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في وزارة الثقافة والإتصال لِسنة 1994.

- مديرية أدارة الوسائل
- مديرية التنظيم والدراسات القانونية
- مديرية التعاون والتبادل
- مديرية التخطيط والتكوين
- مديرية الإتصال لِلصحافة المكتوبة
- مديرية الإتصال السمعي البصري
- مديرية التراث الثقافي
- مديرية الفنون والآداب
- مديرية العمل الثقافي

كما جاء في المادة 12: يحدد وزير الإتصال والثقافة بقرار تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في حدود إثنين إلى أربعة .[1]

وحسب القرار المؤرخ في 11 سبتمبر 1996 الذي يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية المديرية الفرعية لِلْمنازعات التابعة لمديرية التنظيم والدراسات القانونية تضم أربعة (4) مكاتب، وهي كالتالي :

- مكتب نزاعات العمل
- مكتب المتابعات القانونية
- مكتب المنازعات العامة
- مكتب المحفوظات العامة [2]

فالأرشيف كان تابعا لِلْمديرية الفرعية لِلْمنازعات كما يوضحه الشكل التالي:

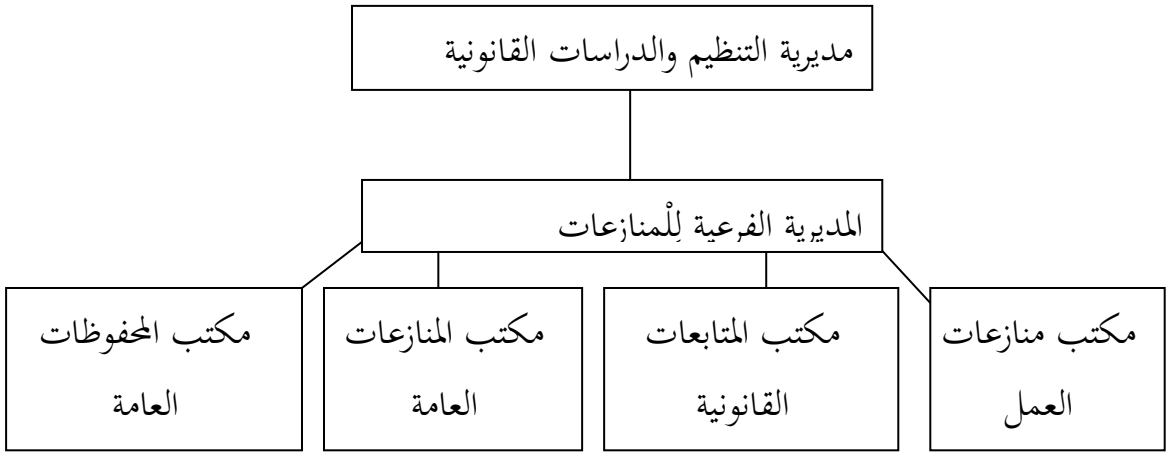

شكل رقم 7 : تنظيم وظيفة أرشيف الإتصال والثقافة لسنة 1996

1- الجريدة الرسمية رقم 25 ، 1996 ، ص 16.

2- قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في وزارة الإتصال والثقافة لسنة 1996.

وفي سنة 2005 شهدت عودت وزارة الثقافة إلى الدائرة الوزارية وستبقى إلى ما هي عليه الآن فهيكلها التنظيمي حسب مرسوم 05 -80 المؤرخ في 26 فبراير المتضمن تنظيم الإدارة المركزية تكون من تسع (9) مديريات، وهي:

- مديرية الكتاب والمطالعة العمومية
- مديرية تطوير الفنون وترقيتها
- مديرية تنظيم توزيع الإنتاج الثقافي والفنى
- مديرية الحماية القانونية لِلْممتلكات الثقافية
- مديرية حفظ التراث الثقافي وترميمه
- مديرية التعاون والتبادل
- مديرية الشؤون القانونية
- مديرية الدراسات الاِستشرافية والتوثيق والإعلام الآلي
- مديرية الإدارة والوسائل

فمديرية الدراسات الاِستشرافية والتوثيق والإعلام الآلي تكون من ثلاثِ (3) مديريات فرعيةٍ، وهي:

- المديرية الفرعية لِلتقييم
- المديرية الفرعية لِلدراسات الاِستشرافية والتطوير
- المديرية الفرعية لِلأرشيف والتوثيق والإحصاء والإعلام الآلي[1]

وحسب القرار المؤرخ في 25 أفريل يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية ، والذي يعتبر أول قرار نشر في الجريدة الرسمية على غرار القرارات السابقة التى كانت تتم داخليا عن طريق وزير الثقافة أو وزير الاِتصال أو بمشاركة مع وزير المالية والمكلف بالوظيفة العمومية فالمديرية الفرعية لِلأرشيف والتوثيق والإحصاء والإعلام الآلي حسب هذا القرار ضم مكتبين:

- مكتب الإعلام الآلي والإحصاء
- مكتب التوثيق والأرشيف[2]

وهذا يعني أن الأرشيف كان تابعا لِلْمديرية الفرعية لِلأرشيف والتوثيق والإحصاء والإعلام الآلي كما يوضحه الشكل التالي :

---

1 الجريدة الرسمية رقم 16 ، 2005 ، ،ص 14

2 الجريدة الرسمية رقم 40 ، 2006 ، ص 16

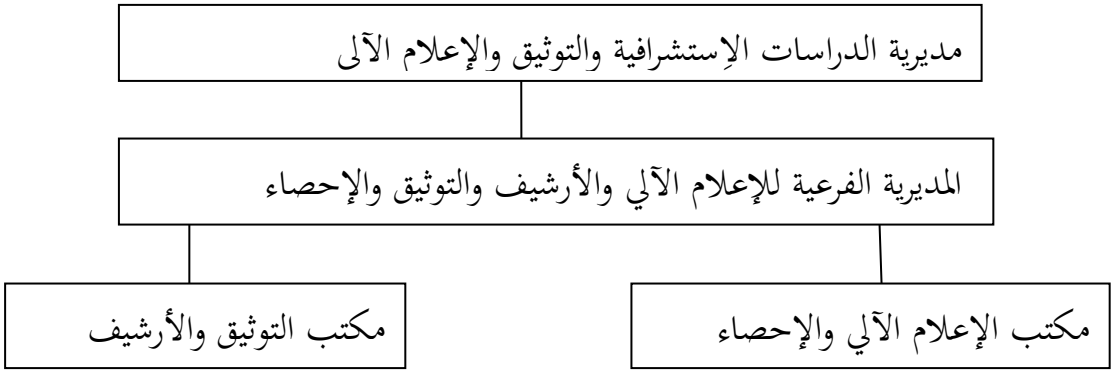

شكل رقم 8 : تنظيم وظيفة أرشيف وزارة الثقافة سنة 2005

3 .1- وظيفة الأرشيف بعد التشريع:

ويمكن تلخيص هذه المرحلة كمايلي :

السنوات	التمثيل لِلْهيكل التنظيمي	المديرية الوصية
1990	ليس هناك تمثيل	//////////////////////
1991	مكتب التوثيق	مديرية الإدارة والوسائل
1992	مكتب الأرشيف	مديرية الإدارة والوسائل
1994	مكتب الأرشيف	مديرية الإدارة والوسائل
1996	مكتب المحفوظات العامة	مديرية التنظيم والدراسات القانونية
2005	مكتب التوثيق والأرشيف	مديرية الدراسات الإستشرافية والتوثيق والإعلام

جدول رقم 3 : يوضح وظيفة الأرشيف في الهيكل التنظيمي من 1990 إلى 2005

تميز التنظيم الإداري في سنوات التسعينيات من القرن الماضى بسمة التذبذب ، ففى الوهلة الأولى تم إلغاء وزارة الثقافة وإستبدالها بالمجلس الوطنى لِلثقافة ،ومن المفروض عند إنشاء أي جهاز إداري فإنه من الضروري أن يبدأ بوحدة الأرشيف حتى يمكن حصر مانتج عن نشاطه من الوثائق في مكان واحد لكن ما شهدناه في سنة 1990 عدم إدراج وحدة الأرشيف في الهيكل التنظيمى، كما أن سنة 1991 لم يتم تمثيل الأرشيف إنما تم إدراج فقط وحدة التوثيق وهذا يدل على عدم الوعي بأهمية الأرشيف ودوره في خدمة هاته الإدارات، حيث لا يمكن رد الإعتبار لِلْوثيقة ولِلساهرين على حظوظها إذا لم يتم إدماج

وظيفة الأرشيف ضمن الوظائف العادية التى تضطلع بهيكل من الهياكل. العمومية والخاصة [1]كذلك يرجع السبب الرئيس في تهميش الوظيفة الوثائقية إلى عدم ربطها بتسيير شؤون البلاد والعباد ، بحيث تستقبل دور الأرشيف وثائق لم تعد المصالح العمومية بحاجة إليها أو تتصرف في وثائق موروثة عن عهد سابق لم تعد ترتبط به المجموعة البشرية المعنية بالأمر وفي هذه الحالة نفهم كل مظاهر التهميش التي اِعتدنا ملاحظتها لِذا نعتقد أن السبيل الوحيد لَدينا هو اِعتماد المفهوم الشامل والحديث لِلأرشيف.[2]

لقد قامت المؤسسة الوطنية لِلأرشيف، منذ صدور القانون رقم 88 المؤرخ في 26 جانفى 1988 والمتعلق بالأرشيف الوطنى، بوضع عمل اِستعجالى يهدف إلى صيانة التراث الأرشيفي على مستوى الإدارات المركزية، كما سمحت أيضا المؤسسة الوطنية لِلأرشيف بإجراء فحص أولى حول وضعية الأرشيف وتسييره على مستوى الإدارات المركزية والتى تتميز بمايلى :

- عدم اِستقرار موظفي الأرشيف
- عدم تساوي هياكل الأرشيف
- الظروف غير الملائمة لحفظ الوثائق والتى ترجع أساسا إلى الاِنتقالات المتعددة لِلْوزارات وإعادة هيكلتها. [3]

فمنذ 1992 نجد أن الأرشيف طرأ على البرامج الحكومية الذي دعا إلى حماية التراث الثقافي وأرشيف وزارة الثقافة[4]

وجسد ذلك على أرض الواقع من خلال التمثيل في الهيكل التنظيمي سنة 1992 و1994 عن طريق مديرية فرعية لِلْوثائق والأرشيف .

3 .2- نطاق تمايز بين الأرشيف والتوثيق:

رغم أن هناك تمايزا بينهما فالوثائق هي تلك التى تكتسى البعد الإداري والقانونى وتتميز عن الوثائق التقنية التى تطبع بالصبغة التقنية والعلمية في اِختصاص ما، أما الأرشيف فهو تلك الوثيقة التى يكرس

1- منصف الفخفاخ. كلمة السيد منصف الفخفاخ رئيس الفرع الإقليمي العربي لِلْمجلس الدولي لِلأرشيف. في : الوثائق العربية: مجلة عربكا.ع 15، 1990، ص 14.

2 - منصف الفخفاخ، المرجعه نفسهُ، ص 14.

3 - المنشور المتعلق بتنظيم تسيير الوثائق المشتركة والمنتجة من قِبَلِ الإدارات المركزية.

4- أُنظر برنامج الحكومة لِسنة 1992.

فيها مفهوم القيمة التاريخية النهائية والتى تحفظ حقوق الأشخاص والمؤسسات، أما إذا عدنا إلى الوظيفة فالتوثيق نعنى به العملية الإدارية والتقنية التى يقوم بها منتجو الوثائق ومستعملوها وهي تخص أساسا كيفية اِستعمالها واِستغلالها لِلأغراض الإدارية المستجدة في إطار نشطات المؤسسة المنتجة أو المستلمة لِلْوثيقة.[1]

كما أن مفهوم ملف يقابل الأرشيف والتوثيق، فملف الأرشيف وحدة عضوية لها دور وظيفي أما ملف التوثيق فيجمع أكثر من المعلومات الممكنة حول موضوع محدد اِبتداء من مصادر متنوعة تسعى إلى الإجابة بطريقة سريعة وفاعِلَة عن طلب إعلامي.

ويمكن التمييز بينهما في النقاط التالية :

طريقة الإنتاج :

– محتومة . آلية بالنسبة لِلأرشيف

"– إرادية منظمة ، موجهة بالنسبة لِلتوثيق

طريقة التنظيم :

آلية ، عضوية مارة من التكديس إلى الفرز بالنسبة لِلأرشيف

– عشوائية حول إشكال بالنسبة لِلتوثيق

المعالجة :

– موضوعية بالنسبة لِلأرشيف ، لأِنها مستنسخة من تنظيم موجود مع آجال الحفظ متوقفة على نصوص داخلية في كثير من الأحيان.

– ذاتية بالنسبة لِلتوثيق لأِنها متوقفة على تعريف الإشكال مع كامل الحرية في الفرز ونزعة شاملة مبدئيا في المؤسسة.

القيمة :

– وحيدة بالنسبة لِلأرشيف قيمة إثباتية.

---

3 الندوة العلمية لِفرع الإقليم العربي لِلْمجلس الدولي لِلأرشيف حول تقنيات وتطبيقات الأرشيف ، 2006 في :همزة وصل :نشرة إعلامية داخلية ع 4، 2009 ،ص 29 –30

– نوعية معرفة المصادر والمعلومات المجموعة تكون قيمة التوثيق [1]

الكثافة :

– ضخمة بالنسبة لِلأرشيف مع أوعية مختلفة وأرصدة مختلفة

– محصورة أكثر في التوثيق مع تجميع السلاسل والأرصدة [2]

كما يمكن القول إن الأرشفة تعنى تحضير الوثيقة الإدارية لِولوجها حظيرة التاريخ مع التأكيد طابعها الرسمي الأصلي وعدم قابليتها لِلتقادم أو لِلتعويض وذلك عبر المعالجة الأرشيفية، أما بالمفهوم العصري اِنفردت التجربة الأسترالية بعد الكندية بالمبدأ القائم على الفصل بين الوثيقة والأرشيف وذلك بتقنين مسار الوثيقة في عبارة Records Management Documents administratifs هذه النظرة توسعت وتم تجسيدها عبر التقنين الدولى المتعامل به أرشيفيا وذلك في إطار المقياس ISO 1548 والذي توسع تطبيقه ليشمل التعامل حسب تكنولوجيات الإعلام والاِتصال، وبذلك تطابقه مع التسيير الإلكترونى لِلْوثائق والأرشفة الإلكترونية لِيأخذَ مساره التطوري الجديد Records continuum[3].

ويمكن القول إن اِرتباط الأرشيف بوحدة التوثيق يرجع كذلك لِطبيعة التكوين في الجزائر منذ صدور مرسوم رقم 64 – 135 المؤرخ في 24 أفريل سنة 1964 متضمن إنشاء معهد علم المكتبات والأرشيف [4]، فوحدة الأرشيف كانت دائما ولا تزال ضمن علم المكتبات والتوثيق لِذا نجد وحدة التوثيق في كافة الإدارات الجزائرية كما أنّ وظائف الأرشيف يشترط من شاغليها الحصول على شهادة ليسانس في علم المكتبات والتوثيق وأنّ المكتبيين في الجزائر يمكن عملهم عمل الأرشيفيين.

مع ظهور الإدارة الإلكترونية المتعلقة بِإستراتيجية " إ– الجزائر 2013 " والذي يتناول سير تطبيق برنامج عمل،بغرض تهيئة الجزائر لِلتحول إلى مجتمع المعلومات والاِقتصاد الرقمي على مدى خمس سنوات المقبلة .[5] أصبحت وحدة اللأرشيف مرتبطة مع الإعلام الآلي.

---

1 - CENCEP. Op.Cit.,p.32-33

2- CENCEP. Op.Cit.,p.33

3 – الندوة العلمية لِلفرع الإقليم العربي لِلْمجلس الدولي لِلأرشيف حول تقنيات وتطبيقات الأرشيف، ص 31.

4– الجريدة الرسمية ، رقم 44 ، 1964.

5– المجلس الوطنى الاِقتصادي والاِجتماعي . رأي المجلس الوطنى الاِقتصادي والاِجتماعي حول ملف " إ الجزائر 2013"، 2009.

إنّ حفظ ذاكرة المؤسسات أيًّا كان نوعها يرتكز على الوظيفة الأرشيفية في إدارة المعلومات وفق ما تقتضيه النصوص القانونية النافذة في مجال الأرشيف لا سيما ما ينص عليه القانون رقم 88-09 المؤرخ في 26 جانفي 1988 المتعلق بالأرشيف الوطني والقانون رقم 90-30 المؤرخ في 1 ديسمبر 1990 المعدل والمتمم المتضمن أملاك الدولة،وكذا التطلعات المستقبلية في مجال الرقمنة ومجتمع المعلومات خاصة بمشروع "الجزائر 2013"[1] لِذا في هذه الفترة بين 2005 إلي 2012 عمدت الدولة إلى تمثيل الأرشيف والتوثيق في المديرية الفرعية لِلإعلام الآلي والإحصاء وكأن هذه المديرية يمكن أن تتحكم في التسيير الإلكترونى لِلْوثائق ,أن الأرشيف مهنة تقليدية.

خاتمة:

يمكن القول ومن خلال وظيفة الأرشيف في وزارة الثقافة إنها كانت ممثلة فقط بمكتب طوال السنوات الماضية دون توضيح المهام المخولة لمكتب الأرشيف في الوزارة في أيِّ قرار رئاسي لِذلك ظلَّ الأرشيف يعاني التهميش والإهمال نتيجة لِذلك كما سنراه في الفصول الأخرى ومما يلاحظ أنَّ وظيفة الأرشيف في الوزارة عموما يمكن تقسيمها إلى ثلاثِ مراحل، وهيَ:

مرحلة عدم الوعي بوظيفة الأرشيف في كلِّ هياكل الدولة ، أما المرحلة الثانية فاِتسمت بِالِاهتمام بالأرشيف التاريخي أكثر من الأرشيف الإداري وهذا ما لحظناه في كل النصوص التشريعية المرتبطة بأرشيف. أما المرحلة الثالثة فأولت الدولة اِهتماما وبدرجة كبيرة بالأرشيف الإداري إلاّ أنَّ وزارة الثقافة كانت الأخيرة في ذلك وهذا ما قاله عنها الأستاذ عبد الكريم بجاجة وكما رأينا ذلك في سنة 1992 من خلال جعل الأرشيف ضمن مديرية فرعية تتشارك فيها مع الوثائق وظهورها أول مرة في الهيكل التنظيمي إلاّ أنَّ الأرشيف ظلَّ ممثلا بمكتب أما مهامه بقيت مبهمة حتى الآن رغم اِرتباط الأرشيف بِالمديرية الفرعية لِلإعلام الآلي والإحصاء والأرشيف .

– قائمة المصادر و المراجع:

– بجاجة عبد كريم. منهجية لِوضع سياسة وطنية لِتسيير الأرشيف : التجربة الجزائرية : الندوة الجزائرية المنظمة من قِبَلِ مركز البحث والتكنولوجيا في يونيو 2000.

– بدوي أحمد زكي، **معجم المصطلحات الإدارية**، قاهرة :دار المصري اللبناني ، 1983.

– برنامج الحكومة لِسنة 1992.

– مذكرة توجيهية رقم 36 المؤرخة في 8 أوت 2010 حول هيكلة وظيفة الأرشيف في المؤسسات العمومية.

- بودوشة أحمد. التشريعات والتكنولوجيا ودورها في دعم وتطوير الأرشيف الوطني. في: **مجلة المكتبات والمعلومات**، ع3. 2003.
- الجريدة الرسمية رقم 41، 1963.
- الجريدة الرسمية رقم 50، 1964.
- الجريدة الرسمية، رقم 44، 1964.
- الجريدة الرسمية رقم 91، 1967.
- الجريدة الرسمية رقم 93، 1968.
- الجريدة الرسمية رقم 98، 1970.
- الجريدة الرسمية رقم 12، 1975.
- الجريدة الرسمية رقم1981،52.
- الجريدة الرسمية رقم 1981،52.
- الجريدة الرسمية رقم 35، 1982.
- الجريدة الرسمية رقم 22، 1985.
- الجريدة الرسمية رقم 44 ، 1988.
- الجريدة الرسمية رقم 36، 1990.
- الجريدة الرسمية رقم 55، 1990.
- الجريدة الرسمية رقم 40، 1991.
- الجريدة الرسمية رقم 28 ، 1992.
- الجريدة الرسمية، رقم 40، 1994.
- الجريدة الرسمية رقم 25، 1996.
- الجريدة الرسمية رقم 16 ، 2005 .
- الجريدة الرسمية رقم 40 ، 2006 .
- الخولى جمال، **مدخل لِدراسة الأرشيف**، القاهرة : دار الثقافة العلمية ، 2000 .
- الفخفاخ منصف. كلمة السيد منصف الفخفاخ رئيس الفرع الإقليمي العربي لِلْمجلس الدولي لِلأرشيف. في : الوثائق العربية: **مجلة عربيكا** .ع 15 ، 1990 .
- قرار تنظيم مكاتب الإدارة المركزية وزارة الثقافة لِسنة 1982.
- قرار يحدد التنظيم الإداري الإدارة المركزية لِوزارة الأخبار والثقافة لسنة 1975.
- قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في وزارة الإعلام لِسنة 1981.
- قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية لِوزارة التوجيه الوطني لِسنة 1964.
- قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في وزارة الثقافة لِسنة 1991 .
- قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في وزارة الثقافة والإِتصال لسنة 1992 .
- قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في وزارة الثقافة والإِتصال لِسنة 1994.

- قرار يحدد تنظيم مكاتب الإدارة المركزية في وزارة الإتصال والثقافة لسنة 1996.
- قموح نجية. حفظ الأرشيف في الجزائر بين الحماية القانونية والإجراءات الفنية ، 2006 .
- عريش مصطفى." أسس التشريع ونصوصه التطبيقية ". في : الوثائق العربية : **مجلة عربيكا**، ع 15.
- المجلس الوطني الإقتصادي والإجتماعي. رأي المجلس الوطني الإقتصادي والإجتماعي حول ملف " إ الجزائر 2013" ، 2009.
- مديرية الأرشيف الوطني، الحكومة المؤقتة لِلْجمهورية الجزائرية ، في همزة وصل ، ع 12 ،2008 .
- مذكرة توجيهية رقم 36 المؤرخة في 8 أوت 2010 حول هيكلة وظيفة الأرشيف في المؤسسات العمومية.
- مقابلة مع لونيس نادية الأمينة العامة لِوزارة الثقافة.
- المنشور المتعلق بتنظيم تسيير الوثائق المشتركة والمنتجة من قِبَلِ الإدارات المركزية.
- ميمونى عمر." مؤسسات الأرشيف الوطنى": الواقع والآفاق: إقتراحات ونماذج.في: **مجلة المكتبات والمعلومات**، ع3. 2003.
- الندوة العلمية لِفرع الإقليم العربي لِلْمجلس الدولي لِلأرشيف حول تقنيات وتطبيقات الأرشيف ، 2006، في :همزة وصل :نشرة إعلامية داخلية، ع 4، 2009.
- الندوة العلمية لِلفرع الإقليم العربي لِلْمجلس الدولي لِلأرشيف حول تقنيات وتطبيقات الأرشيف.
- Carol, Couture .- « Aspects généraux et particuliers de l'administration d'un service d'archives » In :**La Gestion d'un centre d'archives Québec** :Presses de l'université du Québec ,2003 .
- Carol ,Couture ,Daniel,Ducharme. -« La Recherche en archivistique :Un état de la question » In :**Archives**,**vol.30**,**n°3**,**1999**. [Consulté le 10 juin 2013]
Disponible à l'adresse :
http://www.archivistes.qc.ca/cora/afficheFic.php?fic=vol30_3-4/30-3-4-ducharme-couture.pdf.
- Journal officiel , n°2 ,1963.
-Giuseppe, Continolo, **Comment organiser le classement et les archives** .Paris :Entreprise moderne d'édition,1968.
- Marcel ,Caya.-« Les Vrais regards de Janus :Les rôles complémentaires de la gestion des documents et des archives ».-In :Archives, vol.33,n°2,2002.[Consulté le 22 mars 2013]
Disponible à l'adresse : h ttp://www.archivistes.qc.ca/revuearchives/vol33_2/33-2-caya.pdf
-Michel,Duchein, **le respect des fonds en archivistique** :**Principes théoriques et problèmes pratiques**.
- National archives of Australie DISPONNBLE :http://www.gov.au/records management/publication/glossary.

-Pérotin,Yves. **Algerie** :**Archives publiques** : **Programme régulier**.Paris : Unesco,1964,

سيرورة الهجرة من الرّيف إلى المدينة

الأستاذ: شاكي عبد العزيز

جامعة سطيف 2

سيرورة الهجرة من الريف إلى المدينة

مقدمة

لقد شكلت الهجرة محور اِهتمام العديد من الباحثين منذ بداية القرن العشرين حيث حاول العلماء دراسة دوافع الهجرة وتأثيرها في البلدان المضيفة ولقد كانت الدراسات في هذا المجال محكومة بنظرة جزئية أحادية، أي أن دراسة ظاهرة الهجرة من وجهة نظر المجتمع المضيف وتأثيرها فيهِ غير أن إسهامات عبد المالك صياد أحدثت قطعاً مع هذه الدراسات وتناولت الهجرة ككل متداخلة لها دوافعها التي يجب وضعها في سياقها الاِجتماعي التاريخي ولها تأثيرها في المجتمع الأم، لِلمهاجر والمجتمع المضيف له،وينظر معظم العلماء في ميدان العلوم الاِجتماعية إلى الهجرة على أنها مشكلة ديمغرافية، اِقتصادية واِجتماعية وأخيراً نفسية حيث إن المهاجر يدخل في عملية اِتخاذ قرار قبل أن يتحرك فعلاً وتُؤَدِّيْ شخصيته وثقافته دوراً هاماً في التفاعل مع المجتمعات الجديدة، إذ يهتم علماء الاِجتماع بدراسة عملية الهجرة من حيث تأثيرها فيْ العلاقات الاِجتماعية لِلمهاجر وكذلك بدراسة الاِختلافات والفروق في النظم الاِجتماعية والثقافية بين المجتمعات المصدرة والمجتمعات المستقبلة.

1– الهجرة المفهوم والسيرورة:

أ– مفهوم الهجرة:

تُعَدُ الهجرة ظاهرة جغرافية واِجتماعية قديمة لازمت الإنسان منذ ظهوره على وجه الأرض فالإنسان منذ القدم كان يرتحل وينتقل من مكان لِآخر طلبًا لِلرزق وتحسين مستوى معيشته أو بحثاً عن الأمن والاِستقرار ومنه قوله تعالى:﴿**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً**﴾.[1]

والهجرة الإنسانية عبر التاريخ كانت في صورة لهجرات جماعية كما هو الحال بالنسبة لِلقبائل التي كانت تهاجر بين روافد الأنهار سعياً وراء الرزق، ثم عرف الإنسان ما يسمى بالهجرة الفردية أين سكن الوديان واِستقر بها فمارس الزراعة والري واِتخذ لِنفسه أسرة فكانت تقريباً معظم الهجرات إجبارية بحثاً عن الرزق والاِستقرار والأمن.

1– سورة النساء: الآية: 100

وإذا أَخذنا كلمة الهجرة في اللغة العربية لَوجدناها مأخوذة من الهجر والذي هو ضد الوصل، يقال هَجَرَ هَجْراَ، صرمه وهما يتهاجران ويهتجران، ومنه الهجرة وهجرت الشيء إذا تركته، والهِجْرَةُ والهُجْرَة الخروج من أرض، قال الزهري: وأصل المهاجر عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن، ويسمى المهاجر لأِنه ترك داره ومسكنه فكل من فارق بلده سواء كان بدويًا أو حضريًا فهو مهاجر والإسم منه الهجرة.[1]

ولِلهجرة في معناها الإِصطلاحي تعاريف عديدة فهي متعددة الجوانب والزوايا فيختلف مفهومها وفقاً لِلزاوية التي يتناول بها كل باحث موضوع الهجرة والتي تعني بمفهومها العام:" الإِنتقال من مكان إلى آخر وخاصة من دولة إلى أخرى أو من إقليم أو من مكان الإقامة إلى مكان آخر ويشمل هذا المفهوم الهجرة المستمرة التي تقوم بها الجماعات البدوية وغيرها، ومنه فمصطلح الهجرة يشير إلى مختلف أنواع التحركات السكانية مع الإِفتراض الضمني أنه سوف يترتب على هذا الإِنتقال تغيير في محل السكن أو الإقامة كما أن هناك أيضاً عددا من المصطلحات يرتبط بمفهوم الهجرة مثل: النزوح والوفود أو القدوم وهي مصطلحات تطلق على مفهوم الهجرة[2]، فالهجرة هي اِنتقال الإنسان من مكانه الأصلي أو سكن المغادرة إلى مكان آخر يُدعى المكان المقصود أو مكان الوصول [3] كما أنها تعني "اِنتقال الفرد أو الجماعة من مكان لِآخر داخل الدولة الواحدة أو من دولة لِأخرى بقصد الإقامة الدائمة أو المؤقتة وقد تكون إجبارية أو اِختيارية.[4]

ويعرف قاموس الديمغرافيا الهجرة بأنها: "حركة الفرد نتيجة لِتغيير مكان الإقامة"[5] أما الهجرة من وجهة نظر الأحصائيين فهي: "كل حركة لِلسكان خارج الحدود ما عدا حركات السياحة تدخل ضمن إحصاءات الهجرة، فإذا كانت الحركة لمدة سنة فأكثر تحسب على أنها هجرة دائمة وإذا كانت أقل من سنة تعتبر مؤقتة"[6]، فالتركيز من جانب الأحصائيين كان على زمن الإقامة في البلد المستقبل لِلمهاجر وعليه يتم تحديد الهجرة من عدمها.

1- اِبن منظور : **لسان العرب**، المجلد، دار الجيل ودار لِسان العرب، بيروت، لبنان، د، ت ، ص 771.

2- محمد الجوهري، عبد الله الخريخي : **علم السكان**، ط3، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 171.

3- علي لبيب: **جغرافية السكان**، الثابت والمتحول، ط2، دار العربية لِلعلوم، بيروت، 2004، ص159.

4- محمد الغريب عبد الكريم : **سيسيولوجيا السكان**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982، ص85.

5- عبد الحميد ديلمي: **الواقع والظواهر الحركية**، منشورات جامعة قسنطينة، قسنطينة، د، ت، ص 93.

6- عبد القادر القصير: **الهجرة من الريف إلى المدينة**، دار النهضة العربية، بيروت، 1992، ص105.

وقدمت الأمم المتحدة تعريفًا لِلهجرة على أنها: "اِنتقال السكان من منطقة جغرافية لأِخرى وقد تكون عادة مصاحبة بتغيير محل الإقامة ولو لِفترة معينة وهو أمر ينطبق على السكان المستقرين الذين لهم جِهَات إقامة ثابتة.[1]

من خلال هذا التعريف يتضح لنا أن الأمم المتحدة ركزت في تعريفها لِلهجرة على معيارين هامين وهما:

– المعيار السكاني:

تشير الهجرة إلى تغيير موطن الإقامة أي الاِنتقال الدائم من بلد أو موطن إقامة إلى بلد آخر أو موطن إقامة آخر.

– المعيار الزماني:

هو ما يتعلق بمدة الهجرة وهذا معيار هام في التمييز بين الهجرة بِاعتبارها نقلة دائمة من أنواع الحَراك المكاني الآخر، فهناك اِنتقال عبر المكان ولكنه يفتقر إلى البعد الزماني الذي يجعل منه هجرة ولكن لو قمنا بفحص لهذين المعيارين لتبين لنا أنهما غير كافيين في الاِعتماد عليهما ولِذلك لا بد من إضافة شروط أخرى مثل الموقف الشخصي لِلمتنقل فالسائح أو القائم بالأعمال التجارية لا يُعتَبَر مهاجراً.

و تعرف الهجرة الريفية الحضرية على أنها اِنتقال أو تحول أو تغير فيزيقي لِفرد أو جماعة من سكان من منطقة اِعتادوا على الإقامة بها إلى منطقة أخرى داخل حدود البلد.[(2)]

إذنْ، الهجرة ليست مجرد عملية بسيطة تتمثل في مغادرة الفرد لمنطقة معينة من أجل الاِستقرار في منطقة أخرى وإنما سيرورة وآليّات لها عدة مراحل متداخلة ومتتالية يمر بها المهاجر وسنحاول أن نتطرق إلى السيرورة أو المراحل التي يمر بها المهاجر اِنطلاقاً من مرحلة اِتخاد قرار الهجرة حتى التكيف والاِندماج في الوسط الحضري أو منطقة الوصول ونحن في دراستنا سنتطرق لِلهجرة الريفية الحضرية والمراحل التي يمر بها المهاجر دون التطرق إلى اسباب الظاهرة أو نتائجها.

1- خليل عبد الهادي البدوي: **علم الاِجتماع السكاني**، ط1، دار الحامد لِلنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص64.

2- علي عبد الرزاق جبلي: **علم اِجتماع السكان**، دار النهضة العربية لِلطباعة و النشر، بيروت، 1984 ص: 218.

ب– مراحل الهجرة:

– إتخاذ قرار الهجرة :

قبل أن يغادر المهاجر موطنه الأصلي يتخذ قراره وغالباً لا يتم هذا الأمر بين ليلة وضحاها، وإنما يأخذ وقتاً تتفاوت مدته بحسب الظروف الشخصية والإجتماعية والإقتصادية لِلْمهاجر، فعملية إتخاذ القرار بحد ذاتها هي سيرورة معرفية معقدة، يتم مِن خلالها إختيار تصرف معين أو فعل معين من بين إحتمالات عدة ممكنة[1]، وتتوقف الهجرة على عملية إتخاذ القرار رغم أن هناك عوامل جذب وعوامل طرد حيث إن هذه العوامل لا تؤثر فيْ كل الأفراد بالتساوي ولكن الذي يهاجر هو مَن يتخذ قرار الهجرة وبالتالي يشبه قرار الهجرة قرار الزواج فلا يمكن تحقيقه حتى لو توافرت كل الظروف والشروط الضرورية إلاَّ إذا تم إتخاذ قرار شخصي بالزواج[2]، وقرار الهجرة الذي يتم عن طريق الجماعة المشتركة كالأسرة يُعتبَر القرار المؤثر أكثر مِن القرار الفردي الذي يتخذه المهاجر وحده[3]،أما من حيث طبيعة قرار الهجرة وكيفية إتخاذه فيقودنا الحديث عن الهجرة الطوعية وهي التي تعتمد على الإختيار الحر لِلْفرد وغالباً ما تكون إقتصادية، وهناك الهجرة القسرية أو الإجبارية التي من خلالها يهاجر الفرد أو الجماعات مجبرين نتيجة الحروب والكوارث الطبيعية والصراعات الأهلية وبالرغم من ذلك فإن إتخاذ قرار الهجرة ليس بالأمر السهل والبسيط وفي جميع الأحوال تترافق هذه المرحلة مع مشاعر الخوف من المستقبل والتردد واليأس من الوضع الحالي والإحباط وفقدان الأمل في تحسن الظروف[4].

2– الوصول وأماكن الإستقرار:

بعد إتخاذ قرار الهجرة من قبل الأفراد أو الجماعات المهاجرة إلى المدينة يصلون إليها وهم يحملون معهم الكثير من عناصر الثقافة الريفية التقليدية، فتلك القيم والعادات والتقاليد والأعراف ليس بالسهل التخلي عنها في الحياة الحضرية إلاَّ بعد مدة من الزمن قد تطول أو تقصر.

1– عزام أمين: **سيكولوجيا المهاجرين، دراسة تحليلية نظرية** ،مركز حرمون لِلْدراسات المعاصرة، ديسمبر 2016،سوريا، ص 15.

2– الحمودي نور محمد: **الهجرة الريفية الحضرية**، دراسة في تكيف المهاجرين إلى مدينة جدة، ط1، دار المنتخب العربي لِلطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ص، ص 16–17.

3–كريم عزة: **الهجرة الريفية إلى الأقطار النفطية العربية**، دراسة الآثار الإجتماعية والإقتصادية في الريف المصري، المركز القومي لِلْبحوث الإجتماعية والجنائية، القاهرة، 1993، ص 33.

4– عزام أمين: المرجع السابق، ص 15.

وبوجه عام فإن المهاجرين من المناطق الريفية يأتون من أصول ومن بيئات ثقافية متجانسة نسبياً وفي المدينة يصطدم الوافد بذلك الإتساع واللاتجانس المحُيِّر وغير المفهوم من وجهة نظره وفي الغالب يعيش الريفي المهاجر لِبعض الوقت مع أمثاله الريفيين أو المهاجرين من أقاربه الذين سبقوه إلى الهجرة[1]، وتكون الإقامة عادة في أحياء سكنية محدودة على حافة المدن وضواحيها وذلك من أجل فرض أسلوب حياته القديم على حياة المدينة التي هاجر إليها وكله حذر منها لِأنه لا يثق فيها ولهذا نجد أن أعضاء التجمع الريفي نفسه يتجمعون من جديد في المدينة من أجل الأمن (الثقة) من خلال التجارة أو تأجير سكن جماعي أو بوسائل أخرى مختلفة تسمح بدوام الإتصال بين الأعضاء، فالمقهى مثلاً تعتبر مكان إلتقاء الجماعات من نفس الأصل الجغرافي في أوقات الفراغ[2]، إذاً فالثقة والأمان لا يجدهما النازح الجديد إلى المدينة إلاَّ من خلال قريب من أقاربه وأعضاء جماعته الريفيين الذين سبقوه إلى الهجرة وهذا ما أوضحه الباحث بن عطية حين تكلم عن المستقرين الجدد في المدينة وكيف يتجمعون في أكواخ حسب شبكة العلاقات العائلية في القرية التي تمنحهم الأمن خاصة عندما تكون لديهم علاقات قرابة مع أعضاء مستقرين في المدينة منذ زمن بعيد وبالتالي يحاولون نقل معاييرهم (قواعدهم) إلى هذا الميدان[3] الذي أصبحوا يعيشون فيه، فالمهاجر إلى المدينة إما أن يتكيف مع المجتمع الجديد من خلال العمل والحصول على سكن وإما يصطدم بواقع المدينة ويحاول الرجوع والعودة إلى موطن الأصل خاصة إذا إتخذنا في الحسبان طريقة الهجرة إلى المدينة والتي كانت قسرية أو إجبارية دون رغبة الفرد المهاجر هذا الأخير سيبقى حتماً على صلة بموطنه الأصلي ينتظر فرصة إنتهاء أسباب الهجرة لِلْعودة إلى ديار الأصل وتكون هذه الحالة عادة في الحروب والكوارث كما كان حال الأرياف الجزائرية خلال العشرية السوداء فبعد إستقرار الوضع الأمني رجعت وعادت عائلات كثيرة إلى القرى والمداشر التي قدموا منها وسنتطرق ونوضح هذه العلاقة التواصلية بين الفرد المهاجر وموطنه الأصلي في هذا العنصر.

1- محمد عبده محجوب : **الإتجاه السوسيوأنثربولوجي في دراسة المجتمع** ، وكالة المطبوعات، الكويت ،د ت ص79.

2 - BOUTAFNOUCHET.M : **systèmet changment socialen algerie**. Opu alger 1985. p85.

3 - ibid. p90.

3- الموطن الأصلي بين الاِرتباط والاِنقطاع:

بعد اِتخاذ قرار الهجرة والاِستقرار بالمدينة كان يظن المهاجر الريفي أنه سيدخلها لِيكون حراً ومالكاً فإذا به يصير مملوكاً حولته المدينة إلى مَدِين مرمياً على حافتها وهوامشها[1]، أين تقطن معظم الجماعات الريفية المهاجرة إلى المدينة هذا التدفق المتواصل لِلريفيين على المدن جعل الأجيال الحضرية الجديدة في كثير من الأحيان غير مقبولة اِجتماعياً من قبل أهل المدن الأصليين وتعيش نوعاً من العزلة الاِجتماعية، فالإنسان إذا ما أنكر عليه المجتمع الذي يعيش فيه إشباع حاجاته فقد يرغب في الاِنفصال عنه متخذاً العزلة وسيلة لِذلك[2]، وهذه العزلة كانت نتيجة نظرة اِحتقار السكان الأصليين (المدينة) لِلسكان المهاجرين وقد أشار إلى ذلك **"ردفيلد"** في كتابه عن المجتمع الريفي والثقافة بأنه عندما يتكلم المتحضرون عنِ القرويين أو الريفيين فإنهم يقصدون بذلك إبراز عدم قدرة هؤلاء الريفيين على الاِنسجام في الأَنْشِطةِ الاِقتصادية والاِجتماعية التي تقوم من خلال المنظمات الجمعية فيما يتعلق بعمليات الإنتاج والتسويق وهذا يحمل في طياته وضع هؤلاء الريفيين في منزلة اِجتماعية أدنى من تلك التي يحتلها الأشخاص الحضريون[3] فالريفيين لا تزال الروابط الريفية حية فيهم فهم يقتحمون المدينة ويعيدون تشكيلها[4]، وليس من شاهد على اِكتساح القيم الريفية لِلْمجال الحضري في المدن الحديثة أكثر مما نجده في الحضور المتواصل لِصورة الريف في الوسط الحضري من حظائر لِتربية الحيوانات مثلا فواقع البطالة دفع بالكثير من الريفيين إلى نقل أدواتهم وركام أشيائهم وصنائعهم وعرباتهم المجرورة وحرفتهم إلى عقر المدينة والتجول بوسائل نقلهم الريفية بداخلها مشهد يعكس اِختلالاً صارخاً بين الانسان والوظيفة.[5]

فالريفي المهاجر أو المتحضر الجديد حسب **"فان فالزن" VAN VALSEN**يعمل على أن يحقق في بيئته الجديدة ما يضمن متانة علاقته في المدينة بمجتمعه الأصلي ورغم هجرته لِلْمدينة طلباً لِلْعمل فإنه لا ينقطع عن مجتمعه الأصلي مرة واحدة وإنما تبقى هذه الصلة مستمرة ومتواصلة على الأقل خلال

1- إدريس مقبول: **المدينة العربية الحديثة، مجلة عمران**، العدد 16، بيروت، 2016، ص62.

2- نفسه: ص 60.

3- محمد عبده محجوب ، المرجع السابق، ص 50-51.

4- جان فرانسوا تراون: **الإنسان والمجال**، تعريب علي التومي ،دار الغرب الإسلامي ،د ت، ص 298.

5- إدريس مقبول: المرجع السابق، ص 61.

الجيل الأول والجيل الثاني[1]، فالمهاجر يأتي لِلْمدينة بموقفين أحدهما في إطار اِقتصادي وآخر في اِنتظار غير مخطط لاِندماج اِقتصادي اِجتماعي في المدينة ولهذا يجلب معه كل العلاقات العائلية الاِقتصادية والاِجتماعية التي تربطه بأصله الريفي ويبقى محافظاً عليها[2]، وبالتالي الريفي المهاجر ليس بعيداً عن مجتمعه التقليدي الذي عاش فيه ردْحا من الزمن وحسب **"جلوكمان"** أن المهاجر حينما يعود إلى قريته فإنه غالباً ما سيلك من جديد نفس السلوك الذي كان يسلكه قبل هجرته إلى المدينة ولهذا لا يُعتُبر المهاجر حضرياً بمجرد أنه يعيش في المدينة[3] فقد نجد فلاحين في المدينة حسب الباحث **بن عطية** عندما أشار إلى اِستمرار العلاقات العائلية الاِقتصادية والاِجتماعية داخل المدينة بين العالم الريفي والحضري[4]، ومصطلح الفلاحين في المدينة اِستعمله **"مانجين"** في كتابه **"الفلاحون في المدينة"** حيث وصفهم بأنهم أفراد ينتقلون من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية حاملين معهم عاداتهم وأنماط سلوكهم التي تعلموها في بيئتهم الأصلية ويعتقد أنهم من غير المحتمل أن يتخلصوا من هذه المكونات الثقافية فور وصولهم إلى المدينة بيد أنهم يغيرونها ويكيفونها بعد الإقامة في المناطق الحضرية[5]، وفي حديثه عن التكيف والإقامة في المناطق الحضرية يقصد طول مدة الإقامة بها أي تحتاج عملية الاندماج لِوقت أطول حتى يصبح الفرد الريفي حضرياً وهذا ما سنتكلم عنْهُ في عنصر التكيف والاِندماج داخل الوسط الحضري لَدى الأفراد النازحين لِلْمدينة.

4- التكيف والاِندماج داخل المجال الحضري:

رغم اِستقرار معظم المهاجرين على أطراف المدينة وضواحيها إلا أن هذا لا يمنعهم من التكيف والاِندماج عن طريق الحَراك المجالي داخل المدينة بمعنى أن الاِندماج لا يكون مباشرة وإنما يكون عبر مراحل يتكيف من خلالها المهاجر ويتعايش مع جماعات قرابية وأخرى مصلحية حتى يحقق اِندماجه في

1- محمد السويدي : **بدو الطوارق بين الثبات والتغير**، المؤسسة الوطنية لِلْكتاب الجزائر،1986 ص209.

2 - BENATIA. F.alger agregat ou cit integration citadine de 1919 snod raghaia 1980. P96.

3- غريب محمد سيد أحمد: المرجع السابق، ص227-228.

4 - BENATIA F. OP CIT. P96

5- إسماعيل قيرة: الفلاحون في المدينة بين التكريس والعولة، مجلة الباحث الاِجتماعي، العدد 02، جامعة قسنطينة، 1999، ص57

المجتمع المضيف مرورا بالمناطق الهامشية التي إستقر بها أول مرة ويوضح "**لويس ويرث**" ذلك في دراسته عن"**القيطو**"حين قال إن **القيطو** أول محطة لإستقرار المهاجرين الجدد من أوربا وهذا لما يحمله من توازن بين التقليد والتكيف[1]،فالمهاجر الذي أقدم على الهجرة يكون غالبا أكثر إلى التجديد والعصرنة أكثر سخطا على واقعه ورغبة في تغييره ويحاول أن يتكيف مع ثقافة المدينة قدر المستطاع[2]،فالإطار الحضري الجديد يعطي المهاجر خصائصَ جديدةً تتميز بها حياته الإجتماعية في مجتمع المدينة فهو يعمل على أساس مختلف ويتناول طعامه في وقت مختلف بل ربما طعاما مختلفا عما يتناوله في قريته ويعمل في المدينة تحت سلطات سياسية مختلفة كما يتعرف على أصدقاء وزملاء مختلفين[3]،ويحاول أن يحقق المزيد من النجاحات ويتحصل على الإمتيازات التي حرم منها في الريف ولهذا يقول الشاعر البريطاني"**شارلزكاليب كولتون**:"**CH.C.COLTON**"إذا شئت أن تُعْرَفْ ولا تَعرف عش في القرية،وإذا شئت أن تَعْرِف ولا تُعْرَفْ أُسكن المدينة[4].

إن تكيف المهاجرين مع البيئة الحضرية الجديدة يعتبر من المؤشرات الهامة في مجال التحضر ولهذا إعتبر "**فلكس**" شعور المهاجرين بالرضا داخل الموطن الحضري الجديد كمؤشر على تكييفه مع المجتمع الحضري ولاحظ أن هناك عدم وجود إرتباط بين درجة تفاعل الشخص مع أقاربه وبين شعوره بالرضا أو عدم شعوره بذلك داخل المجتمع الحضري الجديد، كما أن علاقات المهاجر القرابية لم تحل دون إنتمائه لِلْكثير من التنظيمات الإجتماعية الموجودة في المدينة، ومقياس التحضر حسبه يعتمد على عنصر التكيف مع المجتمع الحضري الجديد من خلال مؤشرين أو متغيرين وهما:شعور المواطن المهاجر بالرضا عن المجتمع الجديد.

---

1 -YVES GRAFMEYER : SOCIOLOGIE URBAIN, NATHAN, PARIS, 1994, P 83.

2- عاطف عدلي العبد، **نهى عاطف العبد: الإعلام التنموي و التغير الإجتماعي**، ط 5، دار الفكر العربي القاهرة، 2007، ص: 215.

3- غريب محمد سيد أحمد: **علم الإجتماع الحضري**، دار المعرفة الجامعية ،الأزاريطة 2006 ص: 227، 228.

4- إدريس مقبول: المرجع السابق، ص: 55.

مدى مساهمته أو مشاركته في النشاطات الإجتماعية التي تؤديها التنظيمات غير القرابية[1] ويعتبر كل من "**روبرت بارك**" و"**أرنست برجس**" من الأوائل الذين إهتموا بالتكيف الإجتماعي وإعتبروا عملية إختراق وإندماج يكتسب خلالها الأفراد والجماعات ذاكرات ومشاعر ومواقف مجموعات وأشخاص آخرين وذلك بمقاسمتهم تجاربهم وتاريخهم ليندمجوا معهم في حياة ثقافية مشتركة،[2] ومعاشرة الجماعات المختلفة لبعضها البعض في إطار إحتكاك متواصل وطويل يعتبر تعايشاً أي القبول بالآخر من منطق الجيرة والمصادفة فهذا التقارب المجالي يفرض على الطرفين الإحتكاك والتفاعل ومنه القبول الطوعي والمتعمد بالآخر[3]، وقد يصل هذا التقارب إلى مرحلة أرقى وأعمق من التماثل وهي مرحلة الإندماج أين تذوب العادات والقيم في بعضها البعض وتختفي الفروارق بين الجماعتين.

ولكي يندمج المهاجر في المجتمع الحضري الجديد عليه أن يطابق سلوكه مع نمط هذا المجتمع وقد يصل هذا التطابق إلى حد تجريد المهاجر من ثقافته الأصلية وفي هذا الإطار نستطيع أن نحدد الإندماج على أنه إنقطاع عن ثقافته الأصلية يؤدي به حتماً إلى التخلي النهائي وبالتدريج عبر الأجيال عن ثقافته وفي هذا الإتجاه يصبح الإندماج مرحلة نحو الذوبان وعندها فإن ثقافة المجتمع الجديد تمتص من الهاجر ثقافته الأصلية بكيفية نهائية[4].

– قائمة المصادر والمراجع:

– إبن منظور: **لسان العرب**، المجلد، دار الجيل ودار لِسان العرب، بيروت، لبنان، د، ت .

– البدوي خليل عبد الهادي: **علم الإجتماع السكاني**، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م.

– تراون جان فرانسوا: **الإنسان والمجال**، تعريب علي التومي ،دار الغرب الإسلامي ،د ت.

– جبلي علي عبد الرزاق: **علم إجتماع السكان**، دار النهضة العربية لِلطباعة و النشر، بيروت، 1984م.

– الجوهري محمد، عبد الله الخريجي : **علم السكان**، ط3، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م.

– الحمودي نور محمد: **الهجرة الريفية الحضرية**، دراسة في تكيف المهاجرين إلى مدينة جدة، ط1، دار المنتخب العربي لِلطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994م.

1– عبد الرؤوف الضبع : **علم الإجتماع العائلي**، ط1،دار الوفاء لِدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ،2003، ص 125–126.

2– ياسين علي كبير: **المهاجرون في طرابلس، دراسة حالة التماثل**، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1982، ص97.

3– فريد يريك معتوق: **قاموس علم الإجتماع، انجليزي، فرنسي، عربي**، مراجعة معهد دبس، أكاديمية بيروت، بيروت،1993، ص 97.

4– محمد مسلم: الهوية في مواجهة الإندماج عند الجيل المغازي الثاني بفرنسا، دار قرطبة،الجزائر،2009، ص 50.

- ديلمي عبد الحميد: **الواقع والظواهر الحركية**، منشورات جامعة قسنطينة، قسنطينة، د، ت.
- القصير عبد القادر: **الهجرة من الريف إلى المدينة**، دار النهضة العربية، بيروت، 1992م.
- السويدي محمد : **بدو الطوارق بين الثبات والتغير**، المؤسسة الوطنية لِلْكتاب الجزائر،1986م.
- الضبع عبد الرؤوف: **علم الاِجتماع العائلي**، ط1،دار الوفاء لِدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ،2003م.
- قيرة إسماعيل: الفلاحون في المدينة بين التكريس والعولة، **مجلة الباحث الاِجتماعي**، العدد 02، جامعة قسنطينة، 1999م.
- عزام أمين: **سيكولوجيا المهاجرين، دراسة تحليلية نظرية** ،مركز حرمون لِلْدراسات المعاصرة، سوريا، ديسمبر 2016م.
- عزة كريم: **الهجرة الريفية إلى الأقطار النفطية العربية**، دراسة الآثار الاِجتماعية والاِقتصادية في الريف المصري، المركز القومي لِلْبحوث الاِجتماعية والجنائية، القاهرة، 1993م.
- عاطف عدلي العبد، **نهى عاطف العبد: الإعلام التنموي و التغير الاِجتماعي**، ط 5، دار الفكر العربي القاهرة، 2007م.
- غريب محمد سيد أحمد: **علم الاِجتماع الحضري**، دار المعرفة الجامعية ،الأزاريطة 2006 م.
- الغريب محمد عبد الكريم : **سيسيولوجيا السكان**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982م.
-كبير ياسين علي: **المهاجرون في طرابلس، دراسة حالة التماثل**، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1982م.
- محجوب محمد عبده: **الاِتجاه السوسيوأنثربولوجي في دراسة المجتمع** ، وكالة المطبوعات، الكويت ،د ت.
- مقبول إدريس: **المدينة العربية الحديثة، مجلة عمران**، العدد 16، بيروت، 2016م.
معتوق فريد يريك: **قاموس علم الاِجتماع، انجليزي، فرنسي، عربي**، مراجعة معهد دبس، أكاديمية بيروت، بيروت،1993م.
- مسلم محمد: الهوية في مواجهة الاِندماج عند الجيل المغازي الثاني بفرنسا، دار قرطبة،الجزائر،2009م.
- Benatia. F. **Alger agregat ou cit integration citadine de 1919**, snod Raghaia 1980.
- Boutafnouchet.M : **systèmet changment socialen Algerie**. Opu Alger 1985.
-Yves Grafmeyer: **Sociologie urbain**, Nathan, Paris, 1994.

علاقة القبائل اللّيبيَّة بمصر من ما قبل الأسرات حتى الدولة الحديثة

(3500–1150 ق.م)

المداني علي صوشة

طالب دكتوراه علوم/السّنة الثّالثة

madaniali71@yahoo.fr

علاقة القبائل اللّيبيَّة بمصر من ما قبل الأسرات حتى الدولة الحديثة (3500–1150 ق.م).

مقدمة

شهدت منطقة شمال أفريقيا قبل الفترة التاريخية ظهور عدة حضارات منها العاترية والسبيلية التي تنسب إلى قرية سبيل بمصر والقفصية، واللاّفِت لِلإنتباه هو التأثير الحضاري الموجود بينها إذ وجدت آثار الحضارة العاترية بمصر في واحات سيوة والداخلة والخارجة[1] كما وجدت آثار الحضارة السبيلية بمنطقة رقان وعين صالح وسط الصحراء الجزائرية[2] أما عن آثار الحضارة القفصية فوجدت بالفيوم ووادي ميدامود بالقرب من الأقصر وحلوان وشمال واحة الفرافرة[3] ويعتقد البعض أنَّ القفصيين سكنوا مناطق قريبة من النيل[4]، وكان اِنتقال هذه التأثيرات الحضارية عبر مناطق هوافتيح والجبل الأخضر وفزان بليبيا، والملاحظ أنّ التأثير الحضاري لِلْعاترية والقفصية في مصر كان أكبر من تأثير السبيلية في الجهة الغربية.

وتواصل هذا التأثير أثناء الفترة التاريخية التي تزامنت بدايتها مع ظهور التباين بين الشمال الشرقي الذي تمثله مصر والشمال الغربي الذي أخذت منه القبائل الليبية المختلفة الجزء الأكبر ويشير الباحثون إلى بداية اِنتشار الجفاف في الجهة الغربية مما شجع أهلها على التفكير في الهجرة وعلى العكس من ذلك كان جيرانهم في مصر في بداية توهجهم الحضاري وتطور عمرانهم على ضفاف نهر النيل والدلتا بعد اِستصلاحها واِنعكس كل ذلك على ظهور الحرف وتطور الإقتصاد.

فالإنسان الليبي كانت ظروفه مظطربة وأصبح بقاؤه مهددا عقب اِنتشار الجفاف وطمع الأجانب كشعوب البحر والإغريق، ففقد الليبي أسباب البقاء في بيئته وجعلته مجبرا على الهجرة نحو المناطق التي تحفظ بقاءه فكان اِختياره لأقرب منطقة وهي مصر، فكانت لِلْحدود المشتركة والجغرافيا المتشابهة دور بارز في تنويع العلاقات بين مصر والقبائل الليبية والتي تراوحت بين السلمية تارة والعدائية تارة أخرى.

1- Alimen (H.),**Préhistoire de l'Afrique du Nord**, Paris, Boubee(éd) ,1955

2- Ibid, P192.

3- غانم محمد الصغير، **مواقع وحضارات ماقبل التاريخ في بلاد المغرب القديم** ، دار الهدى لِلطباعة والنشر، الجزائر، 2003م.

4- العقون أم الخير، **اللّيبيّون وتأسيسهم لِلدولة في مصر الفرعونية** ، أطروحة لِنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران، 2003-2004م، ص، 36.

1- مؤشرات عن العلاقات السلمية بين مصر وليبيا:

1-1- أثناء الدولة القديمة:

تشير الآثار المصرية إلى العلاقات العدائية بين الليبيين والمصريين التي اِمتدت من بداية الأسرات إلى غاية منتصف الدولة الحديثة، لكن بالمقابل توحي بوجود علاقات سلمية بين الجارتين حتى نهاية الأسرة الثامنةَ عشرةَ.

- لوحة صيد الأسود:

والتي تعرف أيضا بلوحة الصيادين[1]وترجع في تاريخها إلى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، وما يميز هذه اللوحة هو إبرازها لِلْملابس والأزياء الليبية القديمة المتمثلة في أثواب مشدودة من الوسط بحزام ينتهي بذيل حيواني وتظهر في هذه المشاهد أيضا شعورهم المضفورة، وضفائرهم المنسدلة على أكتافهم، ولحيهم الطويلة المسترسلة، والريشة البارزة في مؤخرة الرأس، بالإضافة إلى الأسلحة التي يحملونها بأيديهم كمهشمات الرأس وعصيّ الرماية والسواطير المزدوجة والأقواس والحراب ذات الرأسين والعصيّ المعقوفة وحبال الصيد.[2]

ومن حلال التحليل الأنثروبولوجي والثقافي تبين أنهم ليبيون[3]، وترى العقون أم الخير أنَّ مشاهد هذه الصلاية تدل على وجود علاقة طيبة بين الجانبين المصري والليبي، بما أنهم كانوا يخرجون معا لِلصيد وتظهر في الصورة حيوانات الوعول والأنعام والأرانب، وإذ ما صح ذلك فإنّه دليل آخر على أنَّ العنصر

1- هي ألواح من الطين أو الحجر بوسطها بؤرة دائرية، كانت تستخدم في صحن مستحضرات التجميل، لها أشكال مختلفة، بدأت تظهر ما بين العصر الحجري الحديث وعصر بداية الأسرات أُستعملت لِتاريخ حدث معين، بدأت تختفي مع ظهور وسائل الكتابة.

2 - عدواني محمد الطاهر، **الجزائر في التاريخ عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ**، د.ط، المؤسسة الوطنية لِلْكتاب، الجزائر، 1984م، ج1، ص217.

3 - عيساوي مها، **المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي**، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري (قسنطينة)، الجزائر، 2010/2009م، ص 85.

الليبي هاجر إلى مصر منذ فترة طويلة، حيث الخروج لِلصيد يجعلنا نعتقد أن هناك صداقة متأصلة بين الطرفين[1].

- المصاهرة في الأسرة الرابعة:

لم تكن الصلة بين الليبيين والمصريين مبنية فقط على العلاقات العدائية التي عادة ما تشير إليْها الأحداث العسكرية، فهناك ما يشير إلى حدوث علاقة مصاهرة خلال الأسرة الرابعة، وهذا ما يظهر في إحدى المقابر، فإحدى زوجات الفرعون خوفو الأسرة الرابعة، صاحب الهرم الأكبر كانت ذات أصل ليبي[2]، وعرف ذلك من خلال الهيئة التي رسمت بها الملكة "حوتب حورس الثانية" في مقبرة اِبنتها الملكة "مرس عنخ الثالثة، حيث تبدو مناظرها ملونة فهي شقراء الشعر زرقاء العينين، والملاحظ أنها تختلف عن باقي السيدات المدفونات معها.[3]

ويتساءل عالم المصريات أحمد فخري إن كانت هذه الصفات كافية لإثبات أصلها الليبي أم لا؟ يعني ربما يكون هذا الشعر الأشقر مستعارا.[4]

ونحن بدورنا نتساءل لماذا هي فقط من تلبسه؟ لكن الدلائل الأثرية في الأسرة الخامسة أزالت اللّبس بعد ظهور أفراد قبيلة التمحو ذوي الشعر الأشقر في مصر، وما يؤكد ذلك أنَّ المستعمرين الإغريق في قورينة كانوا يرقصون مع فتيات شقراوات ذوات الأصول الليبية[5]، كما يشير جرمنال[6] إلى أصلها الليبي، ويعتقد أنها تزوجت من خعفرع الذي أنجب منها "نيساهي نفر حوتب أس"، التي من المحتمل أنها كانت والده الملك أوسركاف.

- النبيل حرخوف:

1- العقون أم الخير، المرجع السابق، ص 123.

2- فخري أحمد، **الأهرامات المصرية**، ترجمة أحمد فخري، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص184،183.

3- William (S.S), **Ancient Egypt**, Boston Museum Of Fine Arts, 1960, P51.

4- كمال مصطفى عبد العليم، **دراسات في تاريخ ليبيا القديم**، د.ط، بنغازي، المطبعة الأهلية، 1966، ص54.

5- نفسه، ص54.

6- Grimal (N), **Histoire De L'Égypte Ancienne** ,France Librairie Artheme, Foyrd, 1988, p84.

تدعى كذلك مسيرة حرشوف جرت في حدود 2230 ق.م ترجع إلى فترة الأسرة السادسة، وبأمر من الفرعون "مري أن رع " اِبن بيبي الأول، قام النبيل وحاكم المقاطعة حرخوف بأربع رحلات إلى الجنوب، وفي الثالثة ذكر قبيلة التمحو الليبية فيقول" أرسلني جلالته إلى يام مرة ثالثة فخرجت من المقاطعة على طريق الواحات ووجدت رئيس يام قد ذهب إلى أرض التمحو ليضرب التمحو في ركن السماء الغربي فذهبت وراءه وأرضيته حتى مدح الآلهة" وكان ذلك كافيا لإرضاء الملك.[1]

أما عن أهداف هذا الصلح فكانت إظهار مساعي النبيل حرخوف الحميدة وتأمين طريق التجارة من تهديدات القبائل[2]، ويضيف سليم حسن إلى ذلك أن حرخوف لم تقتصر هيمنته على القوافل التجارية بل تعدت هيمنته إلى حماية الحدود الجنوبية في مصر العليا[3]، ويرجح كذلك أنَّ حرخوف كان يهدف من خلال كل هذا إلى التقرب أكثر من سيده بإظهار مدى قدرته على التحكم في أوضاع الناحية الجنوبية، وبما أنَّ التهديدَ كان من حاكم يام فان تدخل حرخوف كان لِصالح قبيلة التمحو الليبية ضد رئيس يام، الذي كان ينوي محاربتهم ولهذا نعتقد أنَّ التمحو الليبيين كانوا تحت حماية الدولة الفرعونية في تلك الفترة أو أنهم كانوا حلفاء لها، خاصة أن مصر شهدت في الدولة القديمة القيام بعلاقات محتشمة مع العالم الخارجي وأنها وجدت في المناطق المتاخمة لها متنفسا في ذلك.

- المرتزقة الليبيون ضمن الجيش المصري:

لقد جاء ذكر الليبيين في الوثائق التي خلفها القائد أونيفي عهد الفرعون بيبي الأول الأسرة السادسة، والتي يذكر فيها أن ملكه قد أمره بتشكيل جيش لمواجهة الهجومات الأمورية في سوريا، فاِعتمد على المرتزقة الذين من بينهم الليبيون وهم سكان الصحاري الغربية من قبائل التمحو[4]، ونعتقد هذا الأمر أي اِنضمام التمحو إلى الجيش المصري ربما يعكس طبيعة العلاقة وهي الاِستقرار في مصر بعيدا عن المناوشات.[5]

1- جاردنر، **مصر الفراعنة**، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة لِلْكتاب،1973م، ص 119.

2 - صالح عبد العزيز، **الشرق الأدنى مصر والعراق**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2012م، ج1، ص 203.

3- سليم حسن، مصر القديمة في مدنية مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الأهناسي، القاهرة، الهيئة المصرية لِلْكتاب، 1962م، ج2، ص 362.

4- صالح عبد العزيز، المرجع السابق، ص 203.

5- كمال مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص21.

وبالنظر لِلإمتيازات التي يحصل عليها المرتزقة كالأراضي والضياع والإعفاء من الضرائب، فانَّ الفراعنة كانوا في حاجة ماسة لِلْمرتزقة الليبيين الذين عُرفوا بمهارتهم العسكرية، ولا عجب إذا عرفنا أنهم كانوا أكبر سند لِلْفرعون نال بعضهم لقب أمير[1]، مما يدل على قربهم من الفرعون وحاشيته ومما زاد في مكانتهم وعودة الجيش سالما دون خسائر حسب تعبير قائده أوني.

1-2- أثناء الدولة الوسطى:

من مظاهر العلاقات السلمية في الدولة الوسطى وصول أحد الليبيين إلى منصب حاكم مقاطعة القوصية[2] ويدعى سنبي[3]، الذي كان يشغل وظيفة سامية في الإدارة المصرية، مما يدل على مكانة الرجل وحكام المقاطعات كانوا بمثابة أعوان مقربين من الفرعون ينفذون أوامره ولا بد أنه نال رضا الفرعون وثقته.

وتزداد قيمة الرجل ووظيفته إذا علمنا أن القوصية من بين أهم المقاطعات المصرية، حيث يذكر مهران[4]، أنها اِحتلت مكانة ممتازة في الدولة القديمة والوسطى واِزدادت مكانة حكامها خاصة في الدولة الوسطى، ومن خلال الزي الذي يرتديه "سنبي" الشريطان المتقاطعان وجراب العورة لا شك أنه يفتخر بأصله الليبي.

وما يستدل به على العلاقة السلمية أن سنوسرت الثالث (الأسرة 12) عند توليه الحكم، بدأ بغزو كوش وأكمل ما بدأه أسلافه منذ مائة سنة ووصف بكونه الفاتح الحقيقي لها، لِذلك هناك من يرى أن الخطر الحقيقي في هذه الفترة كان مصدره الجنوب وبأن الأمن بالجهة الغربية المحاذية لِليبيين كان مستتبا، وأنَّ التبادل التجاري بين مصر وجيرانها الغربيين قد اِستمر وأنَّ سنوسرت الثالث بعث أحد عماله لِيأتي له بمنتجات بلاد التحنو.[5]

1-3- أثناء الدولة الحديثة:

1- سليم حسن، المرجع السابق، ج2، ص 371.

2 - ذكرت أول مرة في معبد الملك سنفرو وتقع على بعد 60 كم من أسيوط.

3- العقون أم الخير، المرجع السابق، ص 135.

4- مهران محمد بيومي، **المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ج1، ص96.

5- صالح عبد العزيز، **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة لِلْكتاب، 1997م، ص 139.

لا نصادف أي نص يشير إلى الليبيين أثناء حكم الهكسوس لمصر ومرد ذلك ربما اِستغلالهم فرصة اِنشغال الهكسوس بتوطيد حكمهم لاسيما وأنهم غرباء، فوفد الليبيون وتوغلوا فرادى وجماعات بالطريقة السلمية، غير أنَّ هناك من يرى[1] أنَّ المصريين وفي خضم هده الظروف اِستعانوا بالليبيين الذين كانوا في منطقة الجنوب في صحراء النوبة لإخراج الهكسوس.

إنَّ المصريين بعد أن ذاقوا مرارة الاِحتلال أول مرة لم يسمحوا بأدنى تهديد وكانوا أشد حرصا على الحدود الشرقية والجنوبية عكس الغربية التي لم نعد نسمع بإقامة تحصينات حولها، ورغم ذلك بقي الليبيون يستشعرون نفور المصريين من الأجانب لِذلك كان دخولهم مصر مرتبطًا بموافقة الفرعون.

هناك عدة إشارات إلى العلاقات السلمية في هذه الفترة منها تسمية أحمس الأول 1580–1558ق.م لاِبنته سيدة تحنو[2]، وكذلك مشاركة بعض جنود التمحو في الجيش المصري الذي أوكلت إليه مهمة تتبع آثار الهكسوس حتى منطقة الشام، ولِكون مصر تمر بفترة حرجة فإنَّ الاِستعانة بالليبيين تؤشر لِثقة المصريين بهم وأيضا توضح قدرة الجندي الليبي ولا عجب في ذلك، إذ سبق واِستعانوا بهم في الأسرة السادسة.

أما أهم الآثار التي تبين مدى وثاقة هذه العلاقة بين المصريين والليبيين هي تلك المناظر في الدير البحري لحتشبسوت 1490–1468ق.م، ومما تذكره السجلات أن كميات هائلة من العاج وسبعمائة سن فيل وقطع كبيرة من جلود النمور، أتى بها الليبيون الذين يضعون الريش على رؤوسهم، ولكن السؤال يبقى مطروحا هل هي عملية تجارية؟ لِأن هناك من يشكك في ذلك ويرى أن الليبيين كانوا مجبرين على دفع الجزية.

وقد اِستفاد الليبيون من هذه السياسة وأقاموا علاقة تجارية مع مصر، إذ تشير بعض الدلائل إلى وجود تبادل تجاري بين سكان الواحات الليبيين ومصر حين كانت هذه الواحات مصدرًا لِلْمنتوجات الزراعية منها الكروم التي يستخرج منها النبيذ وبعض أنواع الفاكهة والسلال التي تحملها والحصائر المختلفة، ويظهر كل هذا في جدارية مرسومة لِوزير يسمى أوسر من الأسرة الثامنة عشر.[3]

1- عدواني محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 224.

2- مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص22.

3- مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص25.

ونجد في معبد الدير البحري لِلْملكة حتشبسوت مناظر تصور رقصات ليبية، كتب بجانبها رقص تمحو، لكن "هوشلر" حسب الباحثة أم الخير العقون يعتقد أنَّ هؤلاء مصريون يؤدون رقصات خاصة بالتمحو لأِنه ما كتب هو رقص من تمحو وليس راقصين من تمحو، لكن المهم في هذا كله هو وجود علاقة بين الطرفين وأنَّ العنصرَ الليبي له ما يؤثر به حتى لو كان تأثيرا ثقافيا.[1]

واِستمرت في عهد الفرعون أخناتون 1372-1354ق.م إشارات العلاقة السلمية بل وتطورت، إذ بعدما كان تعامل الليبيين في الأمور التجارية مع أعوان الفرعون، أصبح الآن أقرب إلى القصر وأصبح حضورهم أقرب إلى الرسمي حيث نراهم ضمن السفراء الأجانب على جدران مقبرة "رعموزا " بالبر الغربي بالأقصر، وفي هذا ربما إشارة إلى تعاون هؤلاء مع مصر في اِستتباب الأمن على الجهة الغربية كما نرى اِنضمام الجندي الليبي إلى الجيش المصري ونميّزه عن غيره من الجنود من خلال الشعر القصير والضفيرة المتدلية، كما عمل الليبيون ضمن الحرس الخاص لأِخناتون.

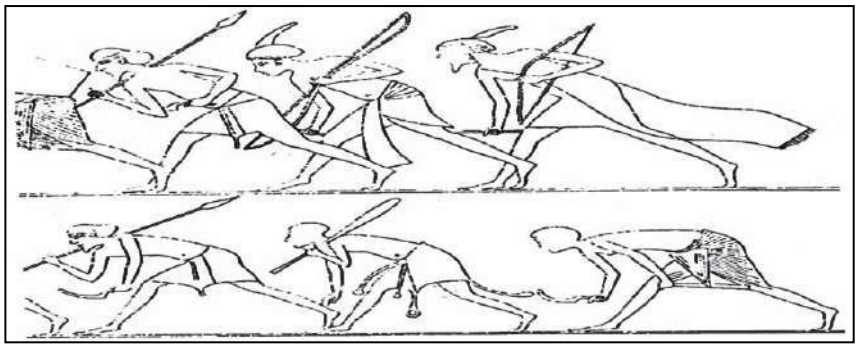

الليبيون ضمن الحرس الخاص لأِخناتون.

Morkot (R.J), Historical Dictionary Of Ancient Egyptian, Oxford, The Scarecrow-Press, 2003, p77.

2 – مؤشرات عن العلاقة العدائية بين مصر وليبيا:

– لوحة الأسد والعقبان:

1 – العقون أم الخير، المرجع السابق، ص137.

يعود تاريخ هده اللوحة إلى مرحلة جرزة[1] من حضارة نقادة مثلها مثل لوحة صيد الأسود، وتكمن أهمية هذه اللوحة لِكونها تحوي على علامات تصويرية يعتقد أنها من أقدم العلامات الكتابية التي تعني أرض التحنو أي أرض الليبيين، وعلى أحد وجهي اللَّوحة صور لمعركة عنيفة وفي وسطها أسد ضخم والأسد يرمز إلى أمير أو ملك لِأنَّ المصريين يصفون ملوكهم بالأسود وهو تعبير عن سلطة الفرعون وقدرته.[2]

ومن رموز اللَّوح تتبين مدى قوة الصراع الذي تعبر عنه القسوة الشديدة لِلأسد الذي يمثل الحاكم وهو يصارع أعداءه الّذين من خلال مظهرهم يتبين أنهم ليبيون فهم ملتحون وشعرهم طويل مفلفل يرتدون جراب العورة.

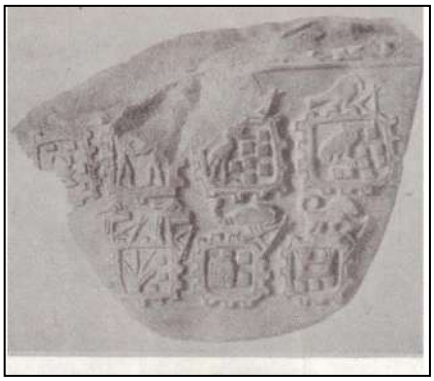

لوحة الأسد والعقبان **لوحة الحصون والغنائم**

– لوحة الحصون والغنائم:

تسمى أيضا بلوحة ليبيا[3] وتعتبر أقدم وثيقة وصلت إلينا عن ليبيا، أُكتشفت في أبيدوس، وصور فيها الفنانُ على أحدِ وجهي اللَّوحة غنائمَ الحرب التي شنها ملكه، وصور فيها الثيران والحمير والكباش، وتحتها أشجار الزيتون وبجانبها ما يدل على كلمة التحنو بمعنى أرض ليبيا.

1– من حضارات ما قبل الأسرات، تقع حاليا بمحافظة الجيزة، أُكتشفت 1910 من قِبَلِ وينرايت، تعرف بنقادة الثانية، فيها ثبتت قواعد الحضارة الزراعية وتحددت المواسم الزراعية. لِلْمزيد من التفاصيل أُنظر: – ممهران محمد بيومي، **دراسات في عصور ما قبل التاريخ**، دارالمعرفة،القاهرة،2011م، ص281.

2 - Grimal (N), op. cit, p48.

3– صالح عبد العزيز، الشرق الأدنى مصر ...، ص 102.

تمثل هذه اللَّوحة مدى ثراء ليبيا بالنظر لِلْغنائم التي حصل عليها الملك العقرب، وصور على الوجه الآخر لِلوحة سبعة مربعات محاطة بالأسود وهي تعبر عن المدن المحصنة، أو تعبر ربما عن قلاع لها أسوار من الطوب واللبن كما تظهر بوضوح أيضا صور لِعقرب وأسد وصقر، وقد تشير إلى صفات الملك لكون الحيوانات المصورة تمتاز بالقوة والدهاء، وهناك من يعتبر أنَّ هذه اللَّوحةَ تعتبر أقدمَ وثيقة تبرهن عن وجود ليبيا كأرض معروفة معمورة وهي تتزامن مع بداية الحضارة المصرية القديمة.[1]

3- الحملات غير المنظمة:

بعد توحيد مصر أصبح الليبيون أكثر إصرارا على دخولها بسبب الحدود التي وضعت وتنامي ظاهرة الجفاف، في هده المرحلة يبدو أنَّ الملك مينا(نعرمر)[2]، قد قام بشن غارة على الليبيين في غرب الدلتا كان الهدف منها طرد الليبيين الموجودين داخل الدولة التي أنشأها، وأسر منهم حوالي عشرين ألف، ومليون وأربعمائة وعشرين ألفا من الأغنام[3]، تبدو الأرقام مبالغا فيها، لكن يمكن أن تبين مدى الغنى التي كانت تتميز بها الأراضي الليبية، وفي الأسرة الثانية حدثت اِضطرابات داخل مصر واِحتل الليبيون الدلتا لكن الملك خع سخم أخرجهم منها إذ عثر على لوحة له تبين أنه يصارع ليبيًّا ذا رأس ملتح والريشة فوق رأسه.[4]

بعد أنْ هدأت الأوضاع خلال الأسرتين الثانية، بدأت بوادر التأزم بداية من عهد سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة، الذي قام بحملة ضد التحنو وأسر منهم أحد عشر ألفا ومائة وثلاثة وثلاثين ألف ومائة رأس من الماشية[5]، لكن ربما يكون هذا الرقم أكبر بكثير مقارنة بحجم القبيلة، فيعتبر البعض هذا الرقم يبين بأنَّ تربية المواشي بما فيها الكباش[6]أخذت أشواطا متقدمة وتزايدت أعدادها وهذا اِستنادا إلى ما تمَّ

---

1 - مهران محمد بيومي، دراسات في عصور... ، ص 101.

2 - نعرمر –عحا–مينا هي أسماء لملك واحد والاِسم الأول هو نعرمر ثم لقب بعحا التي تعني المحارب اِعتزازا لجهودهفي توطيد ملكه، ثم لقب ب منا بمعنى الراعي أو الخالد تنويها بنجاحه في تثبيت ملكه. لِلْمزيد من التفاصيل أُنظر: - صالح عبد العزيز، الشرق الأدنى مصر ...، ص 115.

3- رمضان عبده علي، **تاريخ مصر القديمة**، القاهرة، دار نهضة الشرق،2000م، ج1،ص437-446.

4 - عدواني محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 221.

5- العقون أم الخير، المرجع السابق، ص131.

6 - الكباش التي ظهرت في النقوش التي يعود تاريخها إلى 5000 قبل الميلاد، ماهي إلا مخل عبادة قد تكون الشمس وكان رمزا لها، أو أنها قرابين لِلتضحية وليست معبودًا، وخاصة إذا وجدت على عنقها رباط، وتتبع صاحبها، تستبعد العقون أم الخيرهذا الطرح، وترى

العثورُ عليه من لوح بالرمو، والذي يعبر عن مدى كثرة قبائل التحنو لكن يذهب (أديب. س) إلى أبعد من هذا العدد بالنسبة لِلْماشية ويؤكد أنه جلب من ليبيا ما يُقارب من 131000 رأس من الغنم، وبالتالي فهو يقارب ماتم جلبه من منطقة النوبة (جنوب مصر) في الحملة التي قبلها ووصل العدد إلى 200000 رأس من الغنم[1]، وفي الأسرة الخامسة تجدد النشاط العسكري ضد الليبيين ويظهر ذلك على آثار الملك ساحورع ثاني ملوك هذه الأسرة ظهر فيها أفراد القبائل الليبية مستسلمين مع تصوير الغنائم التي تعد بالآلاف من المواشي كما صور إله الغرب آش وإله التحنو وهما يقدمان لِلْملك خيرات البلاد الأجنبية[2].

وفي الدولة الوسطى حين بدأت مصر تستعيد عافيتها من فوضى عصر الإنتقال الأول، توخي الفراعنة الحيطة والحذر فأرسل لِفرعون أمنمحات1938-1904 ق.م. جيشه بقيادة اِبنه سنوسرت، الذي اِستطاع أسر عدد كبير من الليبيين والحصول على قطعان من الماشية.[3]

إنَّ العدد الكبير من الغنائم الذي يتغنى به الفراعنة لَيجعلنا نشك في أسباب الأنْشِطَةِ العسكرية ضد القبائل الليبية، وأنها مجرد ذرائع اِتخذوها لتبرير اِعتداءاتهم على الليبيين.

4- الحروب الليبية المصرية المنظمة:

تراوحت العلاقة المصرية الليبية مند بدايتها إلى نهاية الأسرة الثامنةَ عشرةَ بين السلم والعداء، لكن مع بداية الأسرة التاسعةَ عشرةَ شكلت المواجهات العسكرية العنيفة السمة الأبرز لهده العلاقات، نتيجة لِلظروف التي طرأت على منطقة الشرق الأدنى والبحر الأبيض المتوسط، إذ ساد الإرتباك في مصر وتحولت مصر من مهاجمة إلى مدافعة مند عهد رمسيس الثاني، مما شجع الليبيين على تجديد نيَّاتِهِمْ في دخول مصر.

شهدت مصرا تراجعا بعد اِنقضاء عهد تحوتمس الثالث1490-1436ق.م ومجيء أخناتون1370-1349ق.م الذي كان ميالا لِلناحية الدينية على حساب الفتوحات التي تراجعت

في الكباش المرسومة في بلاد المغرب ومصر قديما لها نوع من الرابط الثقافي الديني.لِلْمزيد من التفاصيل أُنظر: العقون أم الخير، "المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين"، **مجلة عصور**، العدد 03 2003م، ص165.172.

1- أديب سمير، **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**، العرب لِلنشر والتوزيع، القاهرة ،2000م، ص519.

2 - عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، ص52.

3 - جمال مختار، **موسوعة مصر عبر العصور**، الهيئة المصرية العامة،القاهرة، 1997م، ص130.

وقلت معها الموارد المالية، وصراعه مع الكهنة زاد الأمر سوءا وإزداد المصريون ميلا لِلحياة السهلة والتراخي.

كما كان لِظهور شعوب البحر المفاجئ الأثر السلبي فيْ الكثير من المناطق المتمدنة في غرب آسيا ومصر وفينيقيا، فهدفهم كان الإستقرار فيْ الأراضي الخصبة وإختيارهم مناطق الهجرة لم يكن صدفة بل عن معرفة سابقة، ونشروا فيها الرعب والخراب وأصبحت منطقة البحر المتوسط غير آمنة.

ويمكننا أن نقسم المواجهات العسكرية بين مصر وليبيا في الأسرتين التاسعةَ عشرةَ والعشرين إلى مرحلتين، الأولى كانت بمثابة جسّ نبض لِلْقوات المصرية في عهد سيتي الأول ورمسيس الثاني والتي كانت مقدمة لِلْمواجهات المنظمة أمام مرنبتاح ورمسيس الثالث.

أ- المرحلة الأولى:

- سيتي الأول 1318 -1298 ق.م:

رغم الظروف التي ذكرناها إلا أنَّ المصريين كانوا يعيشون على ذكريات الملك المحارب العظيم تحوتمس الثالث، وكانوا يحلمون بإمكانِ إعادة مصر إلى مكانتها على يد سيتي الأول، الذي بدأَ توسعاته بإستيلائه على فلسطين وفينيقيا والجزء الجنوبي من سوريا، وبدأت طموحات سيتي الأول1 تزداد لكنَّ أخبارا غير سارة جاءته من الحدود الغربية لِبلاده فأُضطر لِلْعودة مكتفيا بما حققه، لكن هل كان الليبيون على علم بوجود سيتي الأول وجيشه في غرب آسيا؟ يبدو أنَّ الأمر كذلك وأن لِليبيين أعينًا داخل الأراضي المصرية، وبدأت المناوشات بتغلغل الليبيين المشواش في الدلتا في السنة الثانية من حكم سيتي الأول 1308 ق.م، الذي قاد المعركة بنفسه، إما لِقوة القبائل الليبية أو أنَّ الفرعون أراد أن يبرهن لِشعبه أنه لا يقل شانا عن تحوتمس الثالث بإعتباره أول حاكم مصري يفكر في التوسعات بعد تحوتمس، أما عن

---

1 - الملك سيتي الأول من ملوك الأسرة التاسعةَ عشرةَ (1320ق.م إلى غاية 1300) كتب على مقبرته أجناس العالم الأربعة المعروفين عند المصريين ومن بين هذه الشعوب شعب التمحو وتبينهم الرسومات أنهم ذوو بشرة بيضاء والعيون الزرقاء إضافة إلى ظهور الوشم على أجسادهم، وأثناء حكمه شن الليبيون حوالي 1318 ق.م هجمات أكثر تنظيما تميزت بالجرأة مما اضطر الملك سيتي الأول لِتوقيف عملياته الحربية في الشرق والعودة إلى مصر والإهتمام بهذا الأمر وكسر شوكة التمحو .... هذا الأر يبدو أنَّ التمحوا أصبحوا خطرا وشيكاً على والدليل توقف العمليات العسكرية لِلْملك وبالتالي أصبحت قضية التمحو جوهرية وأكثر أهمية من البلاد الأحرى لِلْمزيد من التفاصيل أُنظر: - مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ، ص 23.

نتائج المعركة فقد اِنتصر سيتي الأول ولو أنَّ هناك من يرى أنه اِكتفي برد الهجوم، واِعتبرها الليبيون عملية جس نبضٍ لِلْقوات المصرية، واِبتداء من هنا أضحت مصر مدافعة أكثر منها مهاجمة.

– رمسيس الثاني:1290–1223 ق.م:

تمثل بداية حكم رمسيس الثاني بداية تراجع حقيقية لِلدولة المصرية، فبعد أن تمكن سيتي الأول من الحفاظ على سمعة بلاده ببعض الفتوحات الباهتة، ولم تعد حدود الدولة المصرية في عهده تتجاوز شمال بيروت الحالية، حاول رمسيس الثاني أنْ يحافظَ على مكتسبات مصر ويعززَها، ففي السنة الرابعة من حكمه دهب إلى أطراف ملكه في آسيا من أجل الإطمئنان على ممتلكاته لا من أجل فتوحات جديدة، واِصطدم بالحيثيين في معركة قادش في العام الخامس من حكمه التي اِنتهت دون منتصر وأُختتمت بمعاهدة مصرية حثيه أنهت الصراع بينهما على الأقل في عهد رمسيس الثاني.

ذكرنا سابقا أن سيتي الأول حين واجه الليبيين المشواش لم يحقق نصرا كبيرا وإنما اِكتفى برد الهجوم، لِذلك نجد الليبيين يجددون نشاطهم في عهد رمسيس الثاني بسبب الإلحاح الدائم لِلاِستقرار في مصر وضغط الهجرات الآرية (أو ما يعرف بشعوب البحر) التي اِتجهت إلى السواحل الليبية بسبب اِنهزامهم أمام رمسيس الثاني في السنة الثانية من حكمه 1289 ق.م، ومن العوامل التي بعثت آمالهم من جديد هو تراجع القوة العسكرية لمصر خاصة وأنَّ عهد رمسيس الثاني خال من المعارك الكبيرة.

وحتى يتقي خطر الليبيين أقام سلسلة من القلاع الممتدة على طول شواطئ البحر المتوسط وربما حتى منطقة العلمين حيث عثر على بعض الألواح التي تؤكد ذلك[1].

ب– المرحلة الثانية:

لم تقف التحصينات التي أقامها رمسيس الثاني حاجزا أمام الليبيين الَّذين تحالفوا مع شعوب البحر ووصلوا حتى غرب الدلتا، وبرر المؤرخون هذا الزحف بعدة أسباب منها زوال شخصية رمسيس الثاني ذات الشهرة الحربية بالإضافة إلى العوامل الاِقتصادية، حيث أنَّ ليبيا بلد فقير لم يكن يستطيع إطعام سكانه ولِذلك نرى دلك الإصرار الكبير على دخول مصر لِلتخلص من حياة الصحراء المتعبة والتمتع بالأمن والراحة على حدود وادي النيل.

1 – جاردنر،المرجع السابق، ص 298.

في حين ترى الباحثة العقون أم الخير أنَّ العواملَ الإقتصاديةَ يمكن تقبلها في حالة قبيلة التحنو المستقرة على حدود مصر وحوافّ الصحراء القاحلة، لكن السبب الإقتصادي يكون غير مقنع بالنسبة لِبقية القبائل، فبالنظر لِلْغزوات الكبرى ضد ميرنبتاح ورمسيس الثالث بإعتبارها كانت ضد الريبو والمشواش وهم مستقرون على ساحل البحر الأبيض المتوسط إبتداء من برقة شرقا بإتجاه الغرب، وهي أرض معروفة بالخصوبة وكثرة خيراتها ومواشيها حتى حين إشتد الجفاف وزاد التصحر[1]، بدليل ما كان يفتخر به الفراعنة حين يحصلوا على الغنائم التي تضمُّ الكثيرَ من أنواع الحيوانات، إذ لا يمكن الحصول على غنائم بهذا العدد من مناطق فقيرة.وما إندفاع الإغريق نحو ليبيا إلاّ دليل على أهمية المنطقة.

ويفسر "ويلسون" العوامل الإقتصادية في هده التحركات، حيث يرى أن شعوب البحر حين أخضعوا كريت أصبحوا الخلفاء الطبيعيين لِلتجارة البحرية الكريتية، ومن المحتمل أنه في تلك الفترة كانت التجارة البحرية المصرية قد أصابها الوهن، فحصل دلك الصراع بين مصر وشعوب البحر من أجل تجارة البحر المتوسط، وهو سبب مقبول لِلتحالف الذي وقع بين الليبيين وشعوب البحر لِلْوقوف معا ضدَّ مصرَ.[2]

– حرب الليبيين مع مرنبتاح (1235 –1224 ق.م):

إنَّ عملياتِ الردع التي بدأها سيتي الأول ورمسيس الثاني لم تحقق أهدافها المتمثلة في إبعاد خطر جيرانه الليبيين بل ساد التراخي داخل الجيش المصري وأهملت حراسة الحدود في أواخر عهد رمسيس الثاني ولِذا فالمواجهات إزدادت حدتها لِسببين رئيسيين وهما: إزدياد ضغط شعوب البحر من جهة والوحدة والتنظيم الذي أصبح يميز القبائل الليبية من جهة ثانية.

ففي السنة الخامسة من حكم مرنبتاح، تعرضت مصر لِغزو ليبي يبدو أنه أخطر من المواجهات السابقة، لأنها كانت بِمَنْزِلَةٍ هجرة جماعيةٍ نحو مصر بقيادة "مري بن دد" ملك الريبو ومن معه من القبائل منها القهق والمشواش، والتي وصفها برستد بعملية الإستيطان.

1- العقون أم الخير، المرجع السابق، ص 142.

2-Wilson (J), **The Libyan And The End of The Egyptian Empire**. A.J.S.L. NO47 Chicago, 1935, p75.

وبالنظر إلى مكان اِنطلاقهم وهو برقة ثم مرورهم على أرض التحنو وإجبارهم على المشاركة في الغزو ثم اِحتلال واحتي الفرافرة والبحرية، لَيوحي لنا بعدة إشارات منها التخطيط المسبق بين المتحالفين وإصرارهم على تحقيق أهدافها، أما عن مكان المعركة فجاردنر يرى أنه من غير شك قد تمت في مكان يُدعى **بي-ير**، داخل الدلتا على حافة وادي النطرون إلى الشمال الغربي قليلا من منف.

كان الاِنتصار حليف مرنبتاح وجيشه وتكبد المتحالفون خسائر فادحة حيث قتل من الليبيين 2370 ومن شعوب البحر 6200 وأسر منهم جميعا 9367، وكان من بين القتلى ستة من أبناء مري بن دد الذي تمكن من الهرب واِستطاع أن يخترق خط الدفاع المصري ليلا.[1]

أما عن آثار مابعد المعركة، فمن الجانب الليبي تمّ التخلي عن القائد مري بن دد لأنَّ مكانته مرتبطةٌ بمدى نجاحه عسكريا، وعين بدلا منه أخوه، وبقدر ما كانت الآمال معلقة على الاِنتصار بقدر ما كانت الخيبة كبيرةً، لا سيما وأن حجم التحضيراتِ كان يوحي بأنَّ الاِنتصار سيكون حاسما.

أما عن الجانب المصري، فقد كانوا يدركون مدى الفوضى التي كانت ستقع لو دخلها المهاجرون منتصرون، لِذلك كان الاِنتصار غير عادي، حيث لم يكن هذا النصر مانعا لخطر داهمٍ فحسْبُ، بل كان فرجا وخلاصا من كابوس أثقل كاهل الأهالي.

Seth (R), Libya Domestica :Libyan Trade And Society On The Eve Of The Invasions Of Égypt. J.A.R.C.E , Volume Xxxvi , 1999, p11.

5- الحرب الليبية الأولى:

1-Anthony (J.S), War In Acient EGypt, **The New Kingdom**, Oxford, Blackwell Publishing, 2005, p235.

– حروب الليبيين مع رمسيس الثالث (1194–1163 ق.م):

رغم الخسائر التي لحقت بالليبيين وحلفائهم من شعوب البحر في حربهم مع مرنبتاح، إلاّ أنهم كانوا متمسكين برغبتهم القوية في دخول مصر مستغلين في ذلك التراخي الذي أصاب المصريين، وترجعه الباحثة أم الخير العقون إلى ضعف الحكام بعد مرنبتاح وتفشي الفوضى وتوافد الأجانب وتمردهم على القوانين المصرية.1

– الحرب الأولى في العام الخامس من حكمه:

تختلف أسباب هذه الحروب عن سابقاتها، إلاّ أنَّ إصرار رمسيس الثالث* على فرض حاكم على الليبيين الذين رفضوا تدخل رمسيس في شؤونهم، وإعتبروا أنفسهم ليسوا عاجزين عن اِختيار حاكم ولم يشكوا يوما من فراغ سياسي ونظامهم القبلي كفيل بملء هذا الفراغ، وأيضا لِكون هذا الحاكم الذي عيّنه الفرعون رمسيس الثالث عليهم، رغم أنه من التحنو إلا انه عاش في مصر، هذه أسباب يذكرها المؤرخون ويستأنسون بها[2].

إلا أننا نرى أنها أسباب ثانوية لا ترق لان تكون السبب الرئيسي الذي يبقى الرغبة الجامحة في دخول مصر، والذي لم يتغير يوما على الأقل منذ عهد مينا ووضعه للحدود المصرية، وتشير الآثار المصرية إلى أنّ هدف المتحالفين هو حكم مصر حسب ماجاء في معبد هابوا "قد تجمعوا واِحتشدوا في جمع لا يحصى من الليبيين والسبد والمشوش... وأنْ يجعلوا أنفسهم سادة مصر"، وهو الآخر جانب الحقيقة لِأسباب نرى أنها منطقية، فالليبيون يعيشون وفق نظام قبلي وليس لهم القدرة على تسيير دولة بحجم مصر، ودليل

1– العقون أم الخير، المرجع السابق، ص147.

*في فترة حكم رمسيس الثالث، عانت القبائل الليبية كثيراً، نذكر منهم قبيلة المشواش التي غنم منهم الكثير والكثير من الغنائم الأسرى حيث تبين أن ألقى القبض على معظم قادة المشواش، ونجد بعض العبارات التي توحي بإبادة المشواش من خلال الأيدي المقطوعة 2175 الشبان والأولاد 1494 وبعض النساء الفتيات 2052 ، وقد اِستولى 239 سيفا و603 قوساً ة92 عربة و2310 جعبة من جعب السهام و92 من العربات و184 زوج من خيول العربات، وأعضاء التناسل بلغ 2185 وعدد الأغنام من المشواش حوالي 1309 إضافة إلى الثيران والبقر و28338 من الحمير والماعز والغنم والحيل . هذه الكميات الهائلة إذا قورنت بالمنتوج الحيواني لِقبيلة في تلك الفترة يبدو كبير جدا وإذا صدق رمسيس في هذه الأرقام فنتيجة أن المشواش كانت قبيلة كبيرة جداً من جهة وتمت إبادتها من جهة أخرى . لِلْمزيد ينظر: –مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ، ص31.

2– فخري أحمد، مصر الفرعونية، **موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق.م**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،2008، ص 294.

ذلك أنّ الليبيين لم يحكموا مصر في منتصف القرن العاشرِ ق.م، إلاّ بعد أن تمصروا وتخلصوا من نظامهم القبلي وخبروا دواليب الحكم.

و يبدو أنَّ جموع المتحالفين كانت كبيرةً الشيء الذي أربك الفرعون وحاشيته، فبالغوا في تحديد هدف الغزاة من أجل القيام بتعبئة أكبر عدد ممكن.

أما تشكيلة المتحالفين فهي تشبه الإتحاد القبلي الّذي ضم الريبو والمشوش والسبد والتحنو بقيادة زعيم المشواش "تيمر"، ووصل عددهم حوالي ثلاثون ألفا، ودارتِ المعركة بالقرب من حدود الدلتا الغربية، وكان الإنتصار حليف رمسيس الثالث، ورغم الهزيمة إلا أنَّ رمسيس الثالث إستخدم قسما من الأسرى في جيشه.

– الحرب الثانية في العام الحاديْ عشرَ من حكمه:

كما أشرنا سابقا فانَّ هدف الليبيين لم يتغير، والمتغير الوحيد هو الفرص والعوامل المساعدة، المتمثلة هذه المرة في إنشغال رمسيس الثالث بحربه مع شعوب البحر في السنة الثامنةِ من حكمه، وإنجذاب المصريين إليها لما شكله هؤلاء من خطر، فتركت الحدود الغربية مفتوحة دون حراسة فأعطوا الفرصة لِلْقبائل الليبية لِدخول مصرَ وإختراقِ الدلتا بسهولة.

بالإضافة إلى هذه العوامل تعتقد الباحثة أم الخير العقون أنَّ الفضل في هذه الوحدةِ تعود لِلْجهود التي بذلتها قبيلة المشواش بقيادة زعيمها كيبر في بعث روح الإنتصار لَدى القبائل الليبية بعد الإنهزام في الحرب الأولى وإعادة وحدة صف[1]، وربما تريد أن تنال حظها من القيادة وأنها تشعر بإمكانِ تحقيق النصر، وواقع الحال يبين أنّ أفرادها يمتازون بفتوة ونشاط كانا السبب في هذا الإندفاع.

ونظرا لِدورها البارز في الدعوة لهذه الحرب فانَّ قبيلة المشواش تزعمت هذا التحالف الّذي ضم الريبو بالإضافة إلى شعوب البحر منها أسبت ، وشاي،وبكنوقبيلة كيكش وقبيلة هس.

أما عن بداية الغزو فكانت من قِبَلِ الليبيين، حيث بدأوا بحصار قلعة تشوالتي تبعد عن حدود الدلتا بأحدَ عشرَ ميلا، وهنا إنقض عليهم الفرعون بخيوله وعرباته الحربية، وأحس اللّيبيون بالعجز أمام المصريين فوقع قائدهم "كبر" في الأسر وسلَّم نفسه وسلاحه، وبعد ذلك تبعهم رمسيس الثالث بجيوشه حتى تأكد من خروجهم.

1- العقون أم الخير،المرجع السابق، ص149.

وفي المعركة قتل" مششر" قائد المشواش وقتل ما يقارب ألفين ومائة وسبعة وخمسين وأسر حوالي ألفان واِثنان وخمسون وقال رمسيس: "لقد اِعتقلت رؤساءهم في قلاعي بِاسمي، ووسمت قوّادهم الّذين وهبتهم لِتلك القلاع كعبيد بِاسمي، وعاملت نساءهم وأولادهم المعاملة نفسها".[1]

وبهذا تنتهي آخر حرب ليبية على مصر، ويتخذ اللّيبيون طريقا آخر لِدخول مصر سلميا لِأسباب أرى أنّ أهمها الضعف الّذي بدأ يستشري في الدولة المصرية مما أضعف الحكم المركزي الدعامة الأساسية لمراقبة الحدود.

خاتمة:

تحكمت في العلاقات اللّيبية المصرية التي تراوحت بين السلمية والعدائية عدة عوامل من بينها ضعف الدولة المصرية وقوّتها ، فكلما كان الحكم في مصر ضعيفا اِستفاد اللّيبيون من ذلك ودخلوا مصر فرادى وجماعات دون أن يجلب ذلك اِنتباه المصريين المهتمين بمشاكلهم الداخلية أما في حالة وجود حكم مركزي قوي في مصر فإنّ ذلك كان يجبر اللّيبيين على المواجهة العسكرية مع المصريين خاصة خلال فترة مابعد الهيكسوس إذ لم يعد المصريون يثقون في الأجانب وحدوث تغير في السياسة المصرية التي أصبحت تعتمد على الهجوم لِاتّقاء شر الأجانب وهو مازاد متاعب القبائل اللّيبية.

ورغم العراقيل التي وقفت في بعض الأحيان ضد اِستمرار العلاقات اللّيبية المصرية، إلاّ أنَّ الجغرافيا والحدود المشتركة أبت إلاّ أنْ تؤدي دوما إلى اِستمرار العلاقات فمهما تباينت من فترة لِأخرى إلاّ أنَّ عُرى الصداقة لم تنقطع بينهما.

يعتقد الكثير من الباحثين أنّ اللّيبيين أكبرُ المستفيدين من دخولهم مصر لِكونهم فارّين من الجفاف الذي اِنتشر في بلادهم، وأنَّ المصريين أكبرُ الخاسرين لِأنَّ الوافدين اللّيبيين هدفهم الاِستيطان في مصر ومشاركتهم أرزاقهم، لكن تتبعنا لهذه العلاقات على الأقل منذ الأسرة السادسة يجعلنا ندرك أنَّ اللّيبيين أعطوا مصر أكثر مما أخذوا منها، إذ تمكن الفراعنة أنْ يستفيدوا من العناصر اللّيبية كجنود مرتزقة في صفوف الجيش المصري حين كان المصري لا يرغب في مهنة الجندية كما اِستفاد المصريون من الغنائم

1 – جيمس هنري بريستد، **تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي**، ترجمة حسن كمال، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1996، ص325.

المتمثلة خاصة في أعداد كبيرة من الأنعام كما كان لِلْعناصر اللّيبية دور بارز في إنقاذ مصر من الاِحتلالين الفارسي والإغريقي.

– قائمة المصادر والمراجع:

– أديب سمير، **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**، العرب لِلنشر والتوزيع، القاهرة ،2000م.

– بيومي مهران محمد، **المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

– بيومي ممهران محمد، **دراسات في عصور ما قبل التاريخ**، دارالمعرفة،القاهرة،2011م.

– رمضان عبده علي، **تاريخ مصر القديمة**، القاهرة، دار نهضة الشرق،2000م.

– جاردنر، **مصر الفراعنة**، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة لِلْكتاب،1973م.

– جمال مختار، **موسوعة مصر عبر العصور**، الهيئة المصرية العامة،القاهرة، 1997م.

– جيمس هنري بريستد، **تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي**، ترجمة حسن كمال، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1996م.

– فخري أحمد، مصر الفرعونية، **موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق.م**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،2008م.

– فخري أحمد، **الأهرامات المصرية**، ترجمة أحمد فخري، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

– سليم حسن، مصر القديمة في مدنية مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الأهناسي، القاهرة، الهيئة المصرية لِلْكتاب، 1962م.

– صالح عبد العزيز، **الشرق الأدنى مصر والعراق**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2012م.

– صالح عبد العزيز، **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة لِلْكتاب، 1997م.

– عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي.

– عدواني محمد الطاهر، **الجزائر في التاريخ عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ**، د.ط، المؤسسة الوطنية لِلْكتاب، الجزائر، 1984م.

– العقون أم الخير، **اللّيبيّون وتأسيسهم لِلدولة في مصر الفرعونية** ، أطروحة لِنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران، 2003–2004م.

– العقون أم الخير، "المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين"، **مجلة عصور**، العدد 03 2003م.

– عيساوي مها، **المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي**، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية العلوم الإّنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري (قسنطينة)، الجزائر، 2010/2009م.

– غانم محمد الصغير، **مواقع وحضارات ماقبل التاريخ في بلاد المغرب القديم** ، دار الهدى لِلطباعة والنشر، الجزائر، 2003م.

– كمال مصطفى عبد العليم، **دراسات في تاريخ ليبيا القديم**، د.ط، بنغازي، المطبعة الأهلية، 1966م.

- Alimen (H.),**Préhistoire de l'Afrique du Nord**, Paris, Boubee(éd) ,1955.

-Anthony (J.S), War In Acient EGypt, **The New Kingdom**, Oxford, Blackwell Publishing, 2005.

- Grimal (N), **Histoire De L'Égypte Ancienne** ,France Librairie Artheme, Foyrd, 1988.
- William (S.S), **Ancient Egypt**, Boston Museum Of Fine Arts, 1960.
-Wilson (J), **The Libyan And The End of The Egyptian Empire**. A.J.S.L. NO47 Chicago, 1935.

تم بعون الله وتوفيقه